

دار الكتب والخط

مكتبة
الشيخ محمد

الأدب السنياني

في

سنة ١٩٨٧

مراجعة فاطمة نوري

الطبعة الأولى

الطبعة الثانية

١٩٨٧

٥

دكتور
نظمي عبد البريغ محمد

الأدب السِّيَاسِيّ

في النزاع

بين "على" و "معاوية"

دراسة تحليلية نقدية موازنة

القسم الأول

الدراسة والتحليل

بسم الله الرحمن الرحيم

تفصير

باسم الله الملهم للقنواب ، والسداد ، للهدى المادى إلى طريق الرشاد
جوسلة وسلاما على نبي الهداية والرحمة .

وبعد :

فهذه الفترة من تاريخ الأمة العربية الإسلامية بكل ما وقع فيها من
أحداث ليست بخافية على أحد ، فقد حوتها أمهات الكتب التى درنها
عقبات المؤرخين من أمثال « ابن سعد » و « ابن عبد البر » و « ابن
حجر » و « ابن كثير » و « ابن الأثير » وغيرهم .

ولا يخفى أن أدنى شك فى أن هؤلاء المؤرخين لم يعترفوا أدنى تهاون
أو تساهل فى النقل الأمين لوقائع العصر وهم يدرون أحداث تلك
الفترة العسيرة من تاريخ الأمة - فما أظنهم نسبوا لأحد من وجالات
تلك الفترة وعلى الأخص الصعابة (رضوان الله عليهم) شيئاً لم يحدث
منه ، أو قولاً لم يقله أحد منهم - بمعنى أنهم لم يتعاطوا الكذب فيما
دونوا بحق أى منهم .

هكذا والأحداث التاريخية للنزاع بين الخليفة الإمام ' على ' و
الوالى « معاوية » وقائمها ظاهرة شهيرة تجذب كل من يحاول النظر
فى التاريخ الإسلامى ، وقد وسعت تلك الأحداث نشرًا وسائل النشر

الحديثة، فحملتها إلى سائر أطراف المعمورة بمختلف اللغات يقرأها العرب والعجم على اختلاف ملهم ونظمهم .

ولا يملك أحد أن يستطيع الحجب على الفكر الإنساني فيحرمه حق الاضطلاع أو النظر في أحداث تلك الفترة بمحاولة الحجب أو الإخفاء القسرى ، ولا ينبغي أن نترك ترائنا عملا دون تمحيص له طبقا لفكرنا وقيمنا نزولا على أى اعتبار ، أو تحوفا ومروها تحت أى ظرف كان . ولا ينبغي كذلك أن نجبر على تخطى أحداث تلك الحقبة — خاصة وأن اللادة العلمية مدونة مطروحة مبسطة منشورة في بطون المصادر التاريخية وفي مقانول أبدي الجميع .

غير أن التقصير في المرض السليم لأحداث ذلك النزاع في جانيه التاريخي والأدبي تملعتنا بسببه للامة نحن جماعة المؤرخين والأدباء أمام أجيال شباب الأمة ، فلربما عرضهم هذا التقصير منا للارتقاء على ما كتبه للشرقون أو المؤلفون للفرضون — مما يشوه صورة التاريخ الإسلامى . ويشوشه في أذهانهم ، وما يؤدى بهم إلى اهتزاز ثقتهم في شخصيات كبار الصحابة وضوان الله عليهم نتيجة للنظر في بعض تصرفاتهم إذا ما أولعت بلمحة من مائة مدخولة منقولة لتسقط الثقة في عظاماء الأمة الإسلامية .

وتكون نحن السبب المؤدى لتلك النتائج للؤلة بتقصيرنا في المرض والبيان الأمين لحقائق النزاع الذى وقع — حيث لا ينقصنا الفكر — ونزباً بأنفسنا عن أن تكون مجردة من المزم . وإذا أمكن القول بأن المؤرخين قد أدوا دورهم حيال تلك الأحداث

تجلية وإيضاحاً فإن استطيع القول بأن الأدب لم يؤد دوره بمدنيا يتعلق بهذه الأحداث - حيث قد خشي القران منها القملتها بشخصيات لما خطر لها في التاريخ الإسلامي ، فقصرت الكتابة الأدبية في حق العرض والبيان لئلا غراض والفنون والخصائص والسمات الأدبية التي تنبعث عن أحداث القوران العاطفي الناجم عن ذلك النزاع - مما عرضها للشفاء وعدم الانضاح في أذهان دارسي الأدب - حيث قد أصبح من المؤلف لديهم الاقتتال من أدب صدر الإسلام وتخطيه إلى أدب العصر الأموي معتصمين في الغالب على مجرد العرض التاريخي السريع لانقال مسئولية الحكم إلى الأمويين ، والإهمال للربيع لأخصب ألوان الأدب المنتج في تلك الآونة .

وإذا كانت المصور الأدبية سلسلة متعاقبة الحلقات فلا ينبغي الإهمال حلقة منها بقطبها وإغفال الحديث منها .
وإذا كان الأدب صورة لفكر الأمة وسجلا لأحداث حياتها فلا يسوغ لنا الطمس لفكرها حتى وإن كان الفسك في قمة غليانه غضبا ، ولا يسوغ لنا التفتير في حق الجلوة للأحداث التي ألت بالأمة حتى وإن كانت أحداث حرب أهلية اجتليت بها في مسار حياتها المدينة أعاقها عن تحقيق آمال أرحب كان يمكن أن تمتد إليها .

وإذا كان قد صح الحكم لدى الأدباء بأن الشاعر لا يجيد القول إلا إذا استغضب فبناء على هذا نستطيع القول بأن أدب ذلك النزاع يمثل القمة في الصدق الفني من أدب الاستغضاب العنيف الواقع على أوتار الشاعر الملتهبة ، فقد أنتج خطر النزاع ، والنزاع الخطر بين الخليفة للبايع له

والوالى الذى يرفض التسليم بملك البيعة، وقد انماز إلى كل مفاسرون ومؤازرون، والجمع عرب فصحاء بلغاء شعراء خطباء ورسل سفراء - ورنه أخصب عصور الفصاحة والبلاغة التى وفرت بها أوطانها من مدد. بيان القرآن الكريم والأحاديث الشريفة.

ولما كان النزاع سياسيا لتعلقه بنظام الحكم طبقا للشرع فى الدولة الإسلامية فكيف يسوغ لنا الإهمال لتقييم الأدب السياسى الذى خلقها العرب بسبب أن ذلك الأدب نتاج نزاع بين كبار الصحابة ١١٩
إن النزاع بين الخليفة الإمام « على » وبين والى الشام « معاوية » يمثل فترة التحول السياسى فى نظام الحكم فى الدولة الإسلامية من الخلافة الراشدة إلى الحكم للتوارث.

ولما كانت هذه فترة تحول خطيرة إذن لابد وأن يكون نتاجها الأدبى للواكب للنزاع والتحول خطيرا أيضا - خاصة أن الأمة العربية ما تزال خلال تلك الفترة تسطر بشعرها سجل تاريخها، وتنبض مشاعرها. ولما كان العرض السليم لتاريخ أحداث ذلك النزاع كفيلا بصون عقول الأمة وتحصينها من أدواء الانحراف والتلاعب بها بما يندس للمفرضون من المستشرقين^(١) فكذلك نحن المشتغلين بالأدب علينا التنبه بواجبنا الأدبى بحثا ودرسا وبيانا لمواطن القوة وتبددا للثغراء حتى يتم التضام والاتحاد والوصل بين حلقات العصور الأدبية، ويبدأ التأريخ الصحيح السياسى لحياة الأمة العربية، فليس من المقبول ولا من المقبل عقلا

(١) راجع ملحق الخلافة والملك - لآبى الاعلى المودودى ص ٢٠٣ وما بعدهما.

أن تكون الأمة العربية قد بدأت شعرها السياسي بسفاحم النقائص المرونة كخصيصة للأدب الأموي مزدهرة كما وجدت دون أن يكون النزاع أى أثر على صفة ما أنبثت تلك الأماجي وأزنت لما فاستحاتت نيا بعد إلى ماصارت إليه من إقذاع في السب والشتم ثم فيه التخطي للقيم الإسلامية مؤدًا إلى رذائل الجاهلية .

فأولدفن شمري كاملاً منذ ميلاده ، إذ لا يد له من فترة حضارة سابقة تُنضجه ، ثم يُلقى به وليدًا بعد أن تهباله الظروف السياسية والاجتماعية التي تعين على تنشئته وازدهاره .

هذا - وللصحابة (رضوان الله عليهم) أقدارهم التي لا تطاولها عظمت أحد ، وم قمم لهم في نفوسنا كل تجلّة وإعظام ، وقد استوجبوا علينا ذلك بما كان لهم من كفاح بطولى في سبيل الدين حفظًا وصيانة وفداء وإعلاء ونشرا - استحقوا به وضعا دينيا كريمة لا يبرم فيه أحد .
ونحن هنا بعدد التناول لأدبهم خلال فترة النزاع أراى قد أثّرت نفسى ألا أخرج في المرض للموقف المياسى عن حدود ماورد في أمهات للصادر التاريخية الوثيقة .

وفي مجال التحليل البياني والنقد للنصوص لن أتعدى دائرة للمعانى التي تمحيها وتضمئها الألفاظ دون عمد إلى تأويل أو تزيد يدنع إليهما أو إلى أى منهما التعامل أو المائلة - مما يخرج بنا عن حدود الإنصاف في التحليل أو النقد للنص .

والدلالة المعنوية للنص هي الوسيلة للنقل والكثرة لدينا لعجلة
البيان الأدبي .

ولن يكون منى وقوف إلى جانب الدفاع والسائدة أو المعارض والمضادة
لأى من المواقف التي حدثت :

فالموقف السياسي لا يمتنع منه غير التقدمة والبيان للدوافع التي
أسهمت ودعت إلى ميلاد النص وإنشائه : قصيدة كان أو خطبة
أو حواراً أو رسالة - لتتضح المناسبة التي قيل فيها ، ويرتبط النص
ويظل موصولاً بدوانه ، وتظل الأحداث تترى مشوكة في تيسار
جريانها .

ولست في مجال التقييم للمصرفات التي صدرت ، أو النقد والتعريض
بمن صدرت عنه - وإنما الذي يمتنع فعلاً هو البيان الأدبي ، والتقييم
لقنون الأدب الذي أنتجه النزاع .

ولن أتعلل المأذير ، أو أحاول ارتكاب القأويل في محاولة
البيان لمعنى لفظ ناب ورد على لسان أبي من رجالات النزاع ، وإنما
سأقتصر على بيان المعنى المراد طبقاً للدلالة التي تميزها اللمنة فقط .

هذا - وليس في الدنيا عظيم ليست له فلتات لسان عند الإغضب
الهم إلا من معدم الله - وقليل مأم .

والفاعة لا تنلح في عظمة العظيم ، والخطأ لا يمكن الدفاع عنه ،
ونحن بشر ، وكل ابن آدم خطأ !!!
فالهم جبا الخطأ ، وألمنا السداد والرشاد .
هذا ويأله التوفيق .

دكتور
نظمي عبد البديع محمد

القاهرة في ٢٥ / ٧ / ١٩٨٢

تقديم

فضلت السرد التاريخي للأحداث وفق تسلسل حدوثها ، ومرضت النصوص في أثنائها متصلة مرتبطة بالأحداث والحوادث التي دفنت إلى إنشائها - من بعد أن مارستُ فعلاً منهج الفصل بين الأغراض والفنون الأدبية ، وجمعتُ كل غرض على الغرض المجانس له .

غير أني وجدتُ أن الفصل للنص الأدبي عن الحدث الذي بعده أمر يميته ، ويحرمه حيويته ، ويقضى على الحساس له لافصاله عن جذوره التي أنعمت ، ودفنت إلى ميلاده .

كما أني تحققتُ من أن اقتلاع النصوص قصد تجميعها في أغراض وفنون يقضى على أسر للكتابة لسلسال السرد التاريخي للأحداث مما يشنت القارئ ، ويفقده حماسه للاضطلاع ، ويدفعه إلى اللل ، وربما يخل بالوضوح الفكري عنده وينشئ الأحداث عليه نتيجة للتوزع الذي تؤدي إليه فكرة البتر للنصوص عن الأجواء والناسبات التي قيلت فيها بحجة التجميع والضم - كوجهة نظر عند من عتاها - لارتباط الفنون الأدبية بأحداث تاريخية ، وممارك سياسية وقتالية دفنت إليها .

لذا - تراني قد عدلتُ من السور طبقاً لمنهج النصوص للفقلة المبدورة من مناسباتها استجابةً مني للأسباب السالفة التي صحت عندي وجاهايتها .

وأخذت نفسى بالالتزام للثابتة للسرد التاريخى للأحداث، وأورد فى أنشائها النصوص فى مواضعها طبقاً لأحداث وقوعها ، حتى لا أعزل القارئ العربى من تاريخه، وأستعين بارتباطه بتاريخه على تزويده ببيان واضح من المعانى والدلالات التى يمكن أن يعمد إليها ويتناولها النص. عند الدراسة والتعليل له وهو فى مهن مكانه ، وفى موضع ميلاده غير مثبت الصلة بدولفه ومناسبته ، والأحداث المتبعة له التى ترتبت عليه. هذا - وقد عمدتُ إلى تقسيم المؤلف إلى قسمين :

(أ) الدراسة والتعليل :

سالكاً فى ذلك منهج العرض للوقوف السياسى متخذاً منه مقدمة ومناسبة تعين على تفهم النص ، ثم البيان الأدبى عنيب القصيدة والتملوق إثر الخطبة أو الرسالة أو الحوار للتعليل والتعليل .

(ب) التقييم للفنون والأغراض الأدبية التى شملتها الفترة الزمنية للدراسة - وهى المحددة ببدء نشوب النزاع وحتى التحكيم . سالكاً منهج النقد للأغراض والفنون الأدبية ، والبيان للجديد منها ، وانغصائص والسمات التى تميز بها كل غرض .

ولقد حاولتُ الجمع للنصوص مما انتشر فى بطون كتب التاريخ غير أنى لحظتُ أن عملية التفتيح والجمع ، ورصد الحدث ونصوصه مرتبة فى خاص السكان الذى لما كان أمراً مُعتنّاً وعسيراً .

وأثناء التفتيح كان أن تمّ الاهتمام إلى مصدر تاريخى وثيق جليل.

المأونات الجمع ، ووفر منى الجهد للدراسة والتقييم — وكان هذا ممثلاً
في كتاب (وقعة صفين) لـ « نصر بن مزاحم المقرئ » حيث لم يكن
على يد من أن اعتمد على متسكاً تاريخي وثيق يقودني بأمان عبر أحداث
الفتراع .

حول المصدر التاريخي

كتاب (وقعة صفين) لـ « نصر بن مزاحم » يعتبر أقدم نص
محمود لدينا في هذه الوقعة .

ومؤلفه أقدم من ألف فيها ، ويمتد في طبقة شيوخ شيوخ « الطبري »
الذي روى أحداث الوقعة أسماء سرده التاريخي لأحداث عام ٣٣ - ٣٧ هـ .
وقد روى « الطبري » أحداثه تلك عن روى عن « أبي مخنف
الأزدى » الذي يمد للؤلؤ « ابن مزاحم » الذي معنا من طبقة ومن
معاصريه .

قال « ابن النديم » عن « نصر بن مزاحم » إنه من طبقة « أبي مخنف »
للتوفى قبل عام ١٧٠ هـ .

وبرى للزرخون في صاحب (وقعة صفين) أنه كان من النفاة كما
ذكر « ابن حبان » أنه كان من أصحاب الحديث .

وقال عنه « ابن أبي الحديد » هو ثقة ثبت صحيح غير منسوب إلى
هوى أو إدغال .

وقد عاصر للألف « عبد الله بن عمر الراقي » للتوفى ٢٠٧ هـ وهو
تأخر مؤرخ لوقعة صفين .

هذا- وقد ساق المؤلف أحداث الوقعة في خلق وحصافة ، وصور
حروبها بدقة واسقضاء ، وروى الأحداث والأحاديث والأشعار .
والخطيب في انسجام واستواء واتساق .
ويُلمس في مؤلفه هذا روح الهدوء التي يفعل بها المؤرخ الثبت الذي
لا تسفزه عصبية أو هوى يخرجانه من انزانه في موقفه بين الشخصيتين .
والكتاب فوق تسجيله لأحداث الوقعة هو مؤلف زاخر بالحوادث .
والأعلام والشعر والرجز والخطب والآثار الأدبية القيمة^(١) .

(١) راجع مقدمة الطبعة الثانية لوقعة صفين .

في الطريق إلى (صيف)

للووقف السياسي : غادر الخليفة « حل » (البصرة) بعد أن خرج
من معركة (الجبل) متقصرا حيث قَدِمَ الكوفة ^(١) فاستقبل من
أهلها استقبالا حافلا كريما ثم آوى للمسجد فسطحهم قائلا :
« أما بعد يا أهل (الكوفة) فإن لكم في الإسلام فضلا ما لم
تبدلوا وتغيروا — دعوتكم إلى الحق فأجبتم ، وهذا تم بالمشكر فغيرتم
إلا أن فضلكم فيما بينكم وبين الله في الأحكام والقسم ، فأنتم أسوة من
أجابكم ، ودخل فيما دخلتم فيه .

ألا إن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى ، وطول الأمل .
فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق — وأما طول الأمل فيُنسى الآخرة
ألا إن الله قد تَرَحَّلَتْ مُذْبِرَةٌ ، والآخرة تَرَحَّلَتْ مُقْبِلَةٌ ، ولكل
واحدة هَنُوءٌ :

فكونوا من أبناء الآخرة — اليوم عمل ولا حساب ، وغدا حساب
ولا عمل .

الحمد لله الذي نصر وليه ، وحلَّ هُدُوءَهُ ، وأعطى الصادقَ الحقَّ ،
وأذلَّ الناصِرَ الباطلَ .

عليكم بجمعي الله ، وطاعة مَنْ أطاع الله من أهل بيت نبيكم —

الذين هم أولى بطاعتكم فيها أطاعوا الله فيه من اللعينة المذمومة القائلين
 لا إلهنا . يقتضون بفضلنا ، ويحادثونا أمرنا ، ويهازونا حقنا ويدانسوننا
 عنه ، فقد ذاقوا وبال ما اجتزحوا نسوف يلقون خيئاً .
 ألا إنه قد تم من نصركم رجال فأنا عليهم مانع زار ،
 فامجروهم وأسموهم ما يسكروهم حتى يميتوها ^(١) — اعرف بذلك
 حزب الله عند التفرقة »

التعليق :

وفي الخطبة بيان وتوضيح لأمر جدت في زمن الخليفة الإمام

« علي » :

(أ) فالفضل في الإسلام أصبح مفقوداً بالثبات والاستمساك بالأسس
 والأصول التي ألزمها للسلع وأباع عليها ، ومحاولة التنوير والتبديل لما
 ألزم به مسيطرة لفظة - وانتقاع الخطبة دعوة صريحة لأهل الكوفة أن
 يلتزموا بما يمتهم « عليا » .

(ب) استخدام أسلوب الوعظ المطوّل للعث على جماعة الله ، وسحب
 هذه الطاعة على المطعم لله من آل بيت النبي عليه السلام (ومعنى بذلك
 نفسه) مما يترك في الخطبة باسم حسن الاستخدام للمطاعة الدينية في
 نفوس المخاطبين جذباً لهم تجاه طاعته ، والانضواء تحت سلطانه —
 لظهور حقه في ذلك دنيا وعقيدة .

(ج) حديث من العصر والذلان ، والبر ، والقل ، وإظهار الحجة

(١) يقدمون ما يرضى عنهم

في مقام التعبير لفعل عند النقاش لإقناع الموالين ، ودفع الشك عن نفوس المناصرين ، والرد على مَنْ حاول التشكيك في صنع « علي » بضرب المثل بمن خرج على بيعته بقتالهم في موقعة (الجمل) (فقد ذاقوا وبال ما اجتروا) بمنازعتهم حقه ، ومدافعتهم إياه .
والمباراة تحمل معنى التهديد بأن مثل ذلك الصنيع من القتل والقتال أمر قائم في وجه كل من يحاول الخروج على الخليفة الإمام .

عقاب وإعتاب

في جانب الخليفة الإمام

الموقف السياسي : يدخل « سليمان بن مرد الغزالي » على « علي » ابن أبي طالب ، وكان ممن تخلفوا عن وقعة (الجمل) فيمات به الخليفة الإمام قائلا :

علي : ابرئت وتربعت وراعت ، وقد كنت من أوثق الناس في نفسي وأسرهم — فيا أظن — إلى نصري .

فأقدمك من أهل بيت نبيك ؟ وما زعلك في نصري ؟ (١)

سليمان : (مُعْتَبَا إِلَى الْإِمَامِ) يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ — لَا تُرَدِّدْ الْأُمُورَ عَلَى أَعْيَابِهَا وَلَا تُؤَيِّنْ بِمَا مَضَى مِنْهَا ، وَاسْتَبِقْ مَوَدَّتِي تَخْلُصَ لَكَ نَعِيتِي — وَقَدْ بَقِيَ أُمُورٌ نَعْرِفُ فِيهَا وَلِيكَ مِنْ عَدُوِّكَ (٢)

ويدخل « سميد بن قيس » على الإمام فيلقى السلام فيرد عليه بمفودة وقسوة ومرارة عاتبا فيقول :

«وعليك - وإن كنتَ من التَّريِّين»

ويطلب «سعود» لنفسه البراءة فيقول :

حاشا لله يا أمير المؤمنين - لستُ من أولئك »

فورد الإمام قائلا : «فهل الله ذلك »

ثم يعقب الإمام على أشرف (السكونة) قائلا :

« ما أبطأكم عني وأنتم أشرف قومكم ؟ والله إن كان من ضيف

النية ، وتقعير البصيرة إنكم ليؤر - والله إن كان في شك في فضلي

ومظاهرة على إنكم لمنور^(١) »

ويعقب الأشرف الخليفة الإمام قائلا :

حاشا لله يا أمير المؤمنين - نحن سبيلك وحزب عدوك .

ويعكث الخليفة « على » بالسكونة بعد العقاب لمن قعد عن نصره .

وبعد توضيحه لدوافعه إلى فقال أصحاب (الجل) حيث اتفق شك الشاكين ،

واستبان خطأ المقصرين ، واعتذر من اعتذر ، وهدأت النفوس وقرت .

فما كان من الشاعر الأعور الشقي « بشر بن مُنفذ » وكأنه قد استعطل

فترة قرار الخليفة « على » بالسكونة دون نهج . فالتحرك إلى الشام لقتال

واليها الذي لم يبايع .

فما كان منه إلا أن أنشأ قصيدة تُعتبر من البدايات الشعرية في العصر

على - معاوية « قال فيها^(٢) :

قل لهذا الإمام قد حَبَّتْ الحر ب ، وَتَمَّتْ بِذلِكَ القَمَاءُ

(١) وقعة صفين ص ٧ (٢) وقعة صفين ص ٩٨

وَفَرَقْنَا مِنْ حَرْبٍ مَنْ نَقَضَ الْمَنْعَ سَدَّ ، وَبِالشَّامِ حَكْمَةً صَمَاءُ
تَفَنَّتْ السَّمَّ لِمَنْ نَهَشَتْهُ فَأَوْمَرَهَا قَبْلَ أَنْ تَعْمَلَ شِفَاءُ
لِإِنِّهِ وَالَّذِي يَجْعَلُ لَهُ الدَّيَا مَنْ ، وَمَنْ دُونَ يَفْقَهُ الْبَيْدَاءُ
لِضَعِيفِ النَّخَاعِ إِنْ رُمِيَ الْهَوَى مَ يَحْمِلُ كَأَنَّهَا الْأَسْلَاءُ ^(١)
جَانَحَاتٍ ^(٢) تَحْتَ الْعِجَاجِ مَخَالٍ ^(٣) تُجْهِضَاتٍ ^(٤) تَحَالُهَا الْأَسْلَاءُ ^(٥)
تَهَارَى بِكُلِّ أَصِيدٍ ^(٦) كَالْفَصَا يَهْلُ - يَكْفِيهِ صَعْدَةُ سَمَاءُ
ثُمَّ لَا يَبْقَى الْحَدِيدَ وَلَا يَغْضِبُ الْعَامِلِينَ مِنْهَا الدَّمَاءُ
إِنْ نَذَرَهُ فَا «مَعَاوِيَةَ» الدَّهْرُ سَرَّ بِمَطْلُوكٍ مَا أَرَاكَ تَشَاءُ
وَلِنَيْلِ الْبَيْتِ أَقْرَبَ مِنْ ذَا لَكَ وَتَجْمَعُ الْعِيُونُ وَالْمَوَاءُ ^(٧)
فَأَضْرِبَ الْحَدَّ وَالْحَدِيدَ إِلَيْهِمْ لَيْسَ وَاللَّهِ غَيْرَ ذَلِكَ دَوَاءُ

البيان الادبي :

التصديقة تُمتدح من الهدايا الشمرية في التعريض على الرأى
« معاوية » والافتتاح فيه التذكير بالنصر المحرز على ناقضى البيعة

(١) خيل كثيرة منتشرة

(٢) تكسر الجوانح

(٣) الصغير من ولد الضأن والممن

(٤) ألقى بها جنينا قبل تمام الحمل

(٥) السبل - كيس جلدى رقيق يحيط بالجنين يلمس عند الولادة - والمرآة

تغير بحيل تعظم صنوع الاعداء التى لم تقو بعد .

(٦) فارس قوى يحسن القتال بالحرب .

(٧) الديك والعيون والمواء هجوم فى السماء

عن أصحاب (الجبل) ثم أتبعه سريعاً لفتَ نظر الغليفة « هل » إلى أن
حواطن الخطر لم تنقته بعد حيث ما تزال بالشام خطورة أعظم . صدرها
والحيا (الحية الصماء) والذى يدهش للساعة للقضاء عليه لتأمين النصر
في يوم (الجبل) قبل أن يقبها لفت سيمومه والنهش والقتل ، وخصوصاً
أه الآن في حالة ضعف تقضى احتسبال الفرصة والتعجيل بالإجماع
عليه .

من أجل هذا ينصح الشاعر الغليفة ألا يقبأ في حرب « معاوية »
حتى يستجيب فيبايع ؛ بل نجد الشاعر يقطع في معرض التصدير بأن
« معاوية » لن يُبذل الغليفة « عليها » من ذلك شيئاً بطريق سهل مسلم
مؤسّر . ولم يعد من دواء لحالته هذه سوى الجِدِّ في قتاله دون تَرْتُّب .

الرؤيا الشعرية

الرؤيا الشعرية لدى الشاعر كانت واضحة دقيقة في حينها حيث
استنبأت الأحداث بصدق فاق كل حقيقة ، ما تكشفت عنه حُجُب النسيب
غيا بعد :

(١) فقد صور الشاعر والى الشام حياً قاتل سمها - وهى الآن
كامنة ، ولسكنها نهيماً للنهش ، ولن تنوائى من المهاجمة والانتفاض ،
وألمها فقط تتحين الفرصة للواتية .
لذا تنجب السامرة إلى القضاء عليها وهى لم تباشر هجومها بعد .

إله يُبَدِّ النظر الشمري الذي أدرك مكن الخطر فحذر منه ، ودعا إلى تأمين النصر بإحراز نصر آخر على خطر حقيقى يهدده .
 (ب) أعلم الشاعر الغليظة « عليا » أن « معاوية » لن يُناله ما يريد منه بأن يباهمه سلفاً إطلاقاً ، ونجوم السماء أقرب إليه من بلوغ ذلك الهدف (ويبدو أن هذا رأى كان مُدركاً واضحاً لدى أتباع علي)
 مما دعا الشاعر إلى أن يطلب من الإمام أن يسارع إلى القتال ، ولا يطمئن إلى نصر (الجمل) ولا ينتظر استجابة مرجوة من « معاوية » .
 فليس له من علاج أصح من القضاء عليه حرباً .

(ج) ولما كان أمر الحرب مخوفاً مفرغاً ، وليس من السهل الإقدام عليها إلا بعد أخذ الحذر والحيلة ، وإجراء حسابات دقيقة لهذا — نرى الشاعر قد تفرغ خلال القصيدة من الممانى ما يهون من حرب أهل الشام ، خاصة أنها إثر حرب لم يفرغ منها إلا حديثاً قترأه يصف معولاً (الشام) بأنه ضعيف اللئاع لا يقوى على حرب الإمام إن دُمى بها اليوم قبل الغد .

وهذه — دعوة إلى اقتناص فرصة الضعف إلى هو نهها الآن قبل أن تغلث ويشغل عوده وتقوى عظامه .

(د) والشاعر المدرك لأمر الحرب — نراه — في تقييمه لقوى الغليظة الإمام وقوى منازعه « معاوية » ومن معه — نراه قد خرج بنتيجة مؤدبها تفوق الإمام في احتيازه لمناصر القوة :

١ — نجيشه في قمة الروح العلوية لخروجه متمركزاً وقمة (الجمل) -

٢ - وقوة (سلاح الفرسان) أم الأسلحة آنذاك واضحة لدى الإمام ، وهي السكينة بأن تحقق النصر له لو فترتها وقوتها التي تمكنها من فرض سيطرتها على ميدان القتال إذا ما انتشرت فيه .

٣ - وتقوى الفرسان على الأعداء أمر واضح لأنهم سيمتلون أعداء ضامنا كالشمال المجهضة في برانسها ، والتي لن تملك لأففسها كحولا سوى أن تداس بسنائك الخيل .

٤ - وقوة الفرسان كامنة في قوة المقاتلين المغفلين ظهور الخيل وهم يكامل أسلحتهم التي يمجيدون استخدامها ، وقد تدودوا إلا يدودوا إلا وقد القوت رماحهم ، وتخضبت بدماء أعدائهم . وليس أوضح من ذلك بيان أرجح من كفة الإمام في ميزان قوى الجيوش ١١ بما يبدو مفرلا بالتشجيع على الهجوم ، وركوب هؤل المخاطرة .

(٥) أوضح الشاعر وأبرز منصر التنوين من شأن « معاوية »

وأهل الشام في ميزان قوى الحرب ، واتخذ من ذلك دافعا للإمام المتملك لعزوب القوة مما ينقسم فرصة ربما لن تنجح له إذا ما أطلقت ، وربما انقلب ميزان القوى ولم يعد صالحه فيما بعد ، وقد كانت هذه من الشاعر رؤيا ممتدة بعيدة القوَر في أبعاد الزمن للقيمة ، وقد صدتها الأيام والأحداث التي تلت .

والشاعر لم يهمل عنصر الزمن ، فقد دما الإمام إلى المسارعة بالإغارة قبل أن تغير الظروف ، وتختلف موازن القوى ، ويتبدل صُفُف الخصم .

إلى قوة فيصبح الموقف في حاجة إلى تقييم من جديد ، وربما لا توافي الإمام فرصة كما هي مواتمة له الآن — وهيئات أن يمود ما انتضى . وهكذا — تعتبر القصيدة مبادرة داعية إلى التعريض على وإلى الشام ومن تيمه — وقد تمت في وقت مبكر ، وكانت محسوبة بدقة طبقاً لموازين الحزب التي وازنت بوضوح بين قوى المتنازعين ، ورجعت كفة على كفة طبقاً للاعتبارات الحربية للظفورة ، ولم تهمل عامل قوة الروح المعنوية ومدى الحساس الزائد الذي كان يعتمق به جيش الإمام في ذلك الحين .

إنها رؤيا الحس الشاعري الصادق صاحب القدرة على الإدراك المبكر ، والتنبؤ بأحداث تصدقها الأيام بنتائجها التي حسبت بميزان دقيق في عالم الأفهام ذوات الرؤى الشاعرية الواضحة المقتدة .

عتاب

للموقف السياسي : بعث الإمام « علي » به « الأشتر » واليا من قبته على (الوصل ونصيبين ودارا وسنجار وآمد) وما غلب عليه من أرض الجزيرة .

وبعث « معاوية » به « الضعأك بن قيس » واليا على ما كان مسيطراً عليه من أرض الجزيرة أيضا (حران والرقه والرها وقرقيسيا) - فخرج إليه « الأشتر » فاصدا إياه به « حران » وعلم بذلك « الضعأك » فاستعد أهل المناطق للولاية له فأمدوه والتقى الولايان بمن

مهما من جند في منطقة (مرج مريتا)^(١) واقتلا قتالا شديدا
اضطر « الضمك » رجل « معاوية » إلى الانسحاب تحت جناح الظلام.
ويبلغ ذلك « معاوية » فهاخذه التعب على المنسحبين^(٢) ، وعدم بمدد
يغيثهم فلم يحدث أثرا — فيصرفون من بعد أن هددهم « الأشتر »
رجل « علي » قائلا : ألا إن الحى عزيز — ألا إن الضمار منيع .

ألا تنزلون أيها الثعالب الرواغة ؟

احتجرت احتجار الضب .

ويبدو أن « معاوية » قد أحس الانكسار نتيجة اللقاء الحرق
الأول بينه وبين « علي » وما في مرحلة السبق والسرعة إلى بسط النفوذ
على أطراف الدولة قبل أن يتم التجهيد والفصل للواقف وتجهيز
الجيش للقائهما القتلى الرئيسى الفاصل للرتقب .

وقد كانت تلك بادرة تقطع بأن الاحكامك بين المتنازعين وما
في مرحلة محاولة بسط النفوذ للوزع بينهما تقطع بأن اللقاء القتلى بينهما
أمرأ كد ترتيباً على النزاع الناشب بينهما ، والمساءلة لاحتياج طويل وقت
تستغرقه إلا وبما يستلزم لسل^٣ أنباهه بالفصل بين الموالين منهم والمخارجين
عن الولاء .

(١) نفع بين (حران والرقه)

(٢) لم ينص على عتاب « معاوية » وإنما ذكر عتاب « أيمن بن خريم »
فقال ، ويبدو أن العتاب كان بحضرة « معاوية » إثر عودة المنسحبين فكانت
المناسبة له شعراً .

فالوالى — لم يكتف فى نزاعه عند حد محاولة التثبيت لنفسه على ولاية (الشام) قطعاً ، وإنما أخذ يحاول فرض سلطانه على أطراف من الدولة الإسلامية أبعد من حدود ولايته معارضاً بذلك سلطان الخليفة وحقه للشروع .

وبهذا — يكون الوالى « معاوية » قد أخرج نزاعه مع الخليفة الإمام من أن يكون نزاعاً بين (والى وخليفة) حول وجهة نظر إدارية مميّنة وإنما صتده إلى آفاق أخطر حيث أصبح نزاعاً بين الخليفة الهامج له والوالى الطامع إلى الخلافة ذاتها — من بعد أن طعن على الخليفة فى خلافته اعتماداً على ما أظهره من الهدوى بأنه لم يقتص من حقّ الخليفة للقتال (عثمان) .

ولما كانت رواكبر الاقتتال بين جند الوالى « معاوية » وجند الخليفة الإمام قد أظهرت تفوقاً حريباً لجند الخليفة فما كان من « معاوية » الاّدى أحسن بدايات غير مشجعة لرواكبر الاقتتال إلا أن عاتب جنده المتسعين — وما كان من جنده إلا أن ردوا عتابه بما هو أقسى منه .

فقد ابهرى « أيمن بن خريم الأسدى » يعاتب « معاوية » ذاكرًا بلاء قومه (بنى أسد) فى (مرج مريتا) وساق عتابه شمرًا فقال (١) :
أبلغ أمير المؤمنين رسالة من عاتبين مساعين أنجاد
متينهم أن آثورك مشوبة فرشدت إذ لم توف بالمهاد

أُنسيتَ إذ في كل عام غارة
غارات «أشتر» في الظهول يريدكم
وضع المسالحي مُرمداً لملاككم
وحوى رساتيق الجزيرة كلها
لما رأى نيران قومي أوقدت
أَمْضَى إلينا خوله ورجاله
ثَرْنَا إليهم عند ذلك بالقنا
في (مرج مرينا) ألم نسمع بهذا
لولا مقام عشرين وطعناهم
لأنك (أشتر مذبح) لا ينشئ
في كل ناحية كرجل جراد
بمِرْق ومضرة ونسباد^(١)
ما بين هاتين إلى زبداد
غضباً بكل طيرة وجواد
وأبرائيس قاتر الإبساد
وأخذ لا يجري لأمر رشاد
وبكل أبيض كالعنقة^(٢) صاد
نهي الإمام به ، وفيه نقادي
وجلادهم بالمرج أي جلاد
بالجيش ذا حنق عليك وآد^(٣)
البيان الأدبي :

(١) القصيدة مقاب صريح لـ « معاوية » من قبل أنبأه الدين
ناصره في نزاعه مع الخليفة الإمام وخاصة في الجانب القتالي — وإن
كان القتال ما يزال في بواكيره !

(ب) ركز الشاعر عقابه في التذكير لـ « معاوية » إن كان قد نسي
وقوف قومه — (بني أسد) في وجه غارات فرسان «الأشتر» القتالية ،

-
- (١) الأشتر رجل وعلى المولى من قبله على (المفضل) وما جاورها .
(٢) البرق يبدو في وسط السحاب كالسيف المسلول
(٣) مثل الأيد أي القوة

والتي شابهت أرجال الجراد في شمولها لعديد من المناطق ، وقوة تأثيرها في إحداث الضرار والإفساد - وكل هذا تقدمه وإرصاد لإهلاككم - وعلى الرغم من أن « الأشتر » يستهدفكم بفارائنه غير أنكم لم تقابلوه إلا بفتور ، وكنا نحن مركز المقاومة الوحيد الذي انبرى له ؛ فإ كان منه إلا أن ركز حملاته الانتقامية - ومع ذلك لم نمنع فقد لاقيناه في (مرج مريتا) نيفي قتاله وقتال من أرسله ، ولولا خروجنا وقتالنا له لأطهت عليكم فرسانه بكل ما لديهم من قوة وحقق .

(ج) وفي القصيدة روح الإدلال بادية من (الأسديين) على « معاوية » بأنه لولا خروجهم لقتال « الأشتر » وفرسانه لاندفع بكل قواه حتى بلغ « معاوية » وما استطاع أحد أن يتصدى لرحنه ، أو أن يحاول الوقوف في طريقه .

ويمكن رد المعنى في مجز القصيدة على صدرها الذي افتتح بلقب (أمير المؤمنين) زبطاً للمعنى ما بين الصدر والمعجز والحاوي للمعنى الإدلال على « معاوية » بأن الشاعر يريد أن يقول :
لولا بنو أسد لما صح في « معاوية » أن يشدو أميراً للمؤمنين ؛ ابتناء على التوقع اللاشمورى المؤمل في خلافة « معاوية » للمسلمين -
فيا بمنى - وفي هذا الإدلال القاسى على « معاوية » .

(د) وسراحة العربى في التعبير عن رأيه موفورة عند كل من المعتازيين « على » و « معاوية » .

فالأنباع يناقشون ويحاورون ويقاتلون - خضوعاً للخاصية التى .

تميز بها العربى التى تمثلت فى شجاعته فى التعبير عما يريد دون خشية —
حتى ولو كان النقاش الحوارى والعتاب مع خليفة أو والى، وسمة الصدر
فى التقبل للنقاش والحوار والعتاب موفورة لدى القائمين بالأمر؛ فلهذه
القدرة على الإنصات والسمع والرضى والتقبل إذا ما توفرت الدواعى
لذلك .

غير أنه يبدو أن « معاوية » قد استطاع أن يضع حداً لدى النقاش
وحرية الرأى فى التعبير بين الموالين له .

فقد حداً بأن لا يتجاوزا المعايير التى رسمها لها ، فلم يسمح لهما بأن
يتعديا قدرهما فيفسدا عليه وحدة المجتمع والجند منه فى الشام وقد استطاع
بما أوتى من مقدرات شخصية أن يوقف الأمر فى النقاش فى حينه
عند حده الذى لا يفسد عليه أمر الموالين له ويستطيع إلزام النقاش طريقاً
واحداً لا يتعداه ويقف به عند حد معين مما يضمن له حضرة فى الحيز
المحدود الذى يمكن التحكم فيه ، ويملك صواب الحكم عليه ، وإمكانية
الإقناع به ، وتطويعه لصالحه .

وبما لا شك فيه أن إمكانية العديد لمسار النقاش فى الرأى ،
والقدرة على التوقف به حيث يجب أن يتوقف تحويله لصالح صاحبه ،
ولعدم تسريبه إلى مسارب عديدة ~~تتميز~~ ^{بأن} كل ذلك يمثل قدرات
شخصية خاصة — وبما تكون قد وضعت عند « معاوية » بشكل
ظاهر ، وانضم إليها ما يميزه من مقدرة على المداورة والحوارة والتناورة
والتحكم فى أسلوب التعامل بالإخفاء والتمغنى والإعلان والكشف
لقنهموم الذى يريده فى الوقت المناسب طبقاً لما يراه ملائماً لصالحه .

كل هذه الإمكانيات قد صنعت من « معاوية » شخصية الداهية التي عُرف بها وكان بها رجل الدولة الأقدر على سياستها ، من بعد أن تحولت الأمور في الدولة الإسلامية من خلافة راشدة إلى ملك حصّوس آل إليه .

مع سيرة الأحداث

الموقف السياسي : بادر الإمام عتيب وقمة « الجبل » بالكتابة إلى الولاة والعمال ميّداً لهم حقيقة الأمر في تلك الوقعة — ليعنى ون نفوسهم أى شك يعلق بها يسكن أن يسىء إلى تصرفات الإمام بدها من البيعة العامة له عتيب « عنان » وحق الفراغ من قتال من ناواه بعد البيعة منهم .

ويمثل هذا من الإمام الإعلام والترشيد لهم ليسكونوا على بيعة من الأمر ، ولم يتركهم في حالة حيرة كاملة تجهلهم بحقيقة ممالك الخليفة إثر مبايعته ، وخاصة أن الأمر يعلق بقتال مربريد بره ، وحرب خاطفة طاحنة بشنها ، تُقتل فيها شخصيات إسلامية مشهورة لها قدرها ووزنها ، وتخرج فيها « عائشة » أم المؤمنين تناصر فريقاً على فريق . فكان لا بد من المسارعة إلى إطلاع الولاة وإعلامهم بحقيقة الأمر كتفسير صريح لتصرفات الخليفة الجديد .

وقد عمد الإمام في وسائله الترشيدية هذه إلى التحليل السياسي للكاشف لحقيقة وقمة (الجبل) بما يصوّب موقفه ، ونراه يزواج

ترشيده بالدعوة إلى مبايعته ، لئلا يتبين مواقف الولاة منه ، ولئلا يهمل من معه ، فمنهم ومن عليه .

وقد اتبع ترشيدها عاما على الولي أن يلتزمه فيما يتعلق بمطالبته بالاستعانة والأمانة في نظام الحكم .

وبسلوك هذا الأسلوب السياسي الرشيد يستطيع الإمام أن يجري تصفية عامة للولاة تكشف حقيقة مواقفهم منه .

وقد كان من كذب إليهم الإمام من الولاة — « جريز بن عبدالله البجلي » ^(١) وقد هت إليه يقول ^(٢)

« أما بعد — فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ؛ وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له ، وما لهم من دونه من وال .

وإني أخبرك عن نأ من سرتنا إليه من جوع » طلعة « و « الزبير » عند نكحهم بغيرهم ، وما صنعوا بما لي » عثمان بن حنيف « ^(٣) إلى هبطت من المدينة بالمهاجرين والأنصار — حتى إذا كنت به — (الدَّزَب) . بعثت إلى أهل « السكونة » به « الحسن بن علي » و « عبدالله بن عباس » .

و « عمار بن ياسر » و « قيس بن سعد بن عباد » فاستنقروم فأجابوا فصرَّت بهم حتى نزلت بظهور (البصرة) فأمضت في الدعاء ، وأقلت المرأة ، وناشدتهم عقد بيسهم — فأبوا إلا قتالي ، فاستعفت بالله .

(١) كان واليا الخليفة عثمان ، على مصر (ممدان)

(٢) صفين ص ١٥ — ١٦

(٣) كان د علي ، قد ولاه البصرة قبل قدومه إليها فطلبه طائفا طلعة به

و « الزبير »

عليهم - فقتل من قُتل ، وولّوا مدبرين إلى مصرم ، فسألوني ما كنتُ
دعوتهم اليه قبل اللقاء ، فقلتُ العافية ، ورفعتُ السيف ، واستمعلتُ
عليهم « عبدالله بن عباس » وسرتُ إلى (السكوفة) وقد بعثتُ إليكم
« زحر بن قيس » فاسأل عما بدا لك »

التعليق :

وما يلحظ على رسالة الإمام الترشيدية لـ « عبدالله الهجلى » أنه
قد عرض فيها للمعانى التالية :

١ - التوضيح للصير الذى حلّ بنا كفى يمتدنى وقعة (الجبل) وقد
أورده على سبيل التهديد لكل من تحدّثه نفسه بسلك طريق الدسكث
أو الخائفة والخروج على الخليفة الهايم له .

٢ - إظهار أن الخليفة الإمام محرز للتأييد من قبل كل من له سبق
إلى الإسلام من المسلمين ، « ذوى الفضل من المهاجرين والأنصار -
أصحاب الحلّ والمقد فى المجتمع الإسلامى .

٣ - التعديد لأسلوب الخليفة الإمام فى التعامل مع الرعية ، وبيان
أنه يرتكز على الإعذار إلى القوم أولاً - لعلمهم يذهبون ويمدّون من
موقف الخائفة والتسكث ، ويدخلون من جديد فى عقد ييمقه .

٤ - اللجوء إلى القتال كحلٍّ أخير لا بد منه لمن أصرَّ على الدسكث
للبيمة .

٥ - بيان أنه مؤيد من الله فى قتاله لنا كتين - بناء على أن النقض
للبيمة عريان لا يرضى الله عنه .

٦ - القبول بالعفو ، ورفع الهيف ، ووقف القتال عند الاعتراف بانظماً والعودة إلى الصواب بالدخول في البيعة مجتهداً .

٧ - الرسالة فيها الإعلام لكل من يهجه الأمر - ولادة ورعية بالأسباب التي دعت أغلبية الإمام إلى قتال أصحاب (الجبل) ؛ أنهم : تقضوا بيعته وقتلوا عامله الميّن من قبله ، وغلّبوه على أمره ، وتركيز على بيان صحة حكمك الإمام في ذلك - خاصة وأن من بين القتلى جمع من أعيان الصعابة من أمثال طلحة وإثيرة .

هذا - ولم يذهب « زحر بن قيس » إلى « جرير بن عبد الله البجلي » وهو خاوى الوفاض من الشر - وإنما وجدناه إلى جانب رسالة الإمام يحمل أيضاً قصيدة يث بها إليه أحد أبناء أخت « جرير » من العاطنين موجهة إلى خاله « جرير » وإلى (همدان) وفيها يقول :^(١)

« جرير بن عبد الله » لا ترد المدي	وبائع « عليا » إنى لك أصبح
خان « عليا » خير من ولي الخصى	سوى واحد ولوت غادورائح
وبايته إن بايته بنصيبه	ولايك منها في ضميرك قايح
فإنك إن تطلب به الدين تخطه	وإن تطلب الدنيا فبيمك رايح
وإن قلت « عثمان بن عفان » حقه	على عظيم والشكور مناصح
لحق « علي » إذ وليك كعقه	وشكرما أوليت في الفارس صالح
وإن قلت لا ترضى « عليا » إمامنا	فدع منك بحر أضل فيه الشوايح
أبي الله إلا أنه خير دهره	وأفضل من ضمت عليه الأباطيح

البيان الأدبي :

التصيدة تتضمن نصصاً يسوقه ابن مخلص إلى خاله الوالي - وهذه الاعتيار سابق على أن تكون التصيدة نصيحة يسوقها أحد أتباع الخليفة « على » إلى والي وضعه الظروف السياسية التي تمرُّ بها الدولة الإسلامية فرصة التعيير في الاختيار بين أتباعين ربما كان لا يُدرى أيهما أصوب - في وقتٍ كثير فيه القيل والقال ، وعلا فيه الأهط وتهدتْ أتهم وتوزعت ذات اليقين وذات اليسار ، وخيم فيه ظلام الفتنه ، ووسع الأرجاء واستحال على الولاة المنتشرون في سعيق الأصوات التي يلونها التبيين لحقيقة الأمر ، وصواب ما حدث ، ودخل الجميع في مفاقة يكادون لا يتيقنون لأنفسهم منها مخرجاً - ليمد الشقة ، وبطء وسائل الاتصال وهنا تظهر قيمة النصيحة ، وتضخ أهميتها ، وتبدو كشامع هادٍ في ثغاب دياجير ظلام الفتنه المدممة .

وقد وكر الشاعر في نصحه على أمور نجملها فيما يلي :

(أ) البايعة للخلافة الإمام قبول للهدي الذي لا ينهى أن يرفضه أحد من يريدون صواب الأمر ، وسلم المنفذ في الاتباع لمن هو أولى بالاتباع والمعاينة ، فالردُّ لبيمته ردُّ هدي ، ورفض الخالص المنصح .
وقد بنى الشاعر رأيه هذا اعتماداً منه على أن الخليفة « عليا » قد انحصرت فيه التخييرية بحيث لا يفضل أحد فيها سوى الذي عليه السلام فـ « على » خير من قبله الحمى سوى « محمد » ولا يوجد من يستحق التقدم عليه في هذا الأمر (الثلاثة) من بقية الأحياء ما دام حياً -
فإذا ما انتهى من الدنيا خضوعاً لقاعدة الموت القادى الرامح انتقلت

الأفضلية منه إلى مَنْ سواه من بقية الأحرار الذين يستحقون شرف الاتِّصاف بهلأما وهو كَيْفَ فلا ينبغي أن يُتعداه إلى من سواه .
 ١١ - يتَّهم أن يُبائع الخليفة « على » بكل إخلاص لا تشوبه شائبة شك .

(ب) للبايعه - للخليفة « على » كفيَّة بتحقيق الربح المرجو للمبايع سواء كان مرغوبه أمراً دنيوياً أو أخروياً .

فالبايعه تضمن للوالى « جرير » البقاء على الولاية بكل ما لها من مظاهر الحكم ، وأبهة السلطان فى الدنيا ، والبايعه تُكسب المبايع رضا الله لما يمتعه ما شرعه من وجوب الموالاة للخليفة للمبايع له ، وطرح التكت له مهما كثرت الأقاويل حوله ، أو نُقِطَ له التهم ، فالبايعه له نافذة ما لم يثبت على الخليفة انحراف فيقوم شريعة أيضاً .

(ج) يسوق الشاعر قياساً يهدف من ورائه إلى إنبات الحق للخليفة الإمام « على » فى المتابعة له ما دام قد ولى أمر الخلافة بنفس القدر الذى كان يعتبر للخليفة « عثمان » فليس هذا بأقل من ذلك ، ومستولية الخلافة هى عين المسئولية ، وقد انتقلت من سابق إلى لاحق بنفس الثقل والعجم إذن - لا نُكَلِّت من وجوب المتابعة لـ « على » الخليفة الجديد (حق « على » إذْ وليك كعته) عِقلًا ، ومستولية ينبغي أن تُلتزم أداءً بالمتابعة لكل خليفة تم له البيعة المامة الواضحة جِهارةً نهاراً من وصى كامل ، وحرية موفورة .

(د) يطلق الشاعر فرضاً يهوداً يحذر منه خاله إذا ما مرض له - ومؤداه أن الرضى لبيعة الخليفة « على » تلقى بالرائضين فى بحر من (٣ - أدب سياتى)

الضلال لن يقوى على عبوره أحد ويضل فيه كل من يحاول خوضه .
 وإن قلت لا ترضى «علياء» إمامنا فدع عنك مجرداً ضل فيه السوايح
 وُبعد الفرض يجعل في سلامة وحسن الاستخدام لأداة الشرط
 للشككة في موضعها (إن) وصواب النصح يتصمر في فعل الأمر (دع)
 تعالى لقاء الترتيب وكان الشاعر يريد أن يسلم خاله الوالي من الوقوع
 في ضلالات لا تضمن فيها السلامة ، وأن يبرأ فسكره من فروض متينة
 لا تقود إلا إلى متاعات مُضَنَّة .

وكانى الشاعر يبرىء نفسه أيضاً من أن يفقاد وراء خاله
 الوالي إذا ما اختار خاله على سبيل الفرض الخوض في بحر الضلال ، وكانى به
 يستأذنه في عدم المتابعة له ، ويستسمحه في أن يباعد بينه وبين متابعته .
 غلظه خوفاً في الضلال ، فوجوده مع صاحب الحق الخليفة «على» يكفل
 له البراءة والسلامة .

وبناء على هذا فلن يتابعه في هذا الطريق ، وسُحفاً لرابطة خُثُولَة
 تعود إلى الضلال .

(هـ) ويختم الشاعر قصيدته بما بدأ به (إذا ما استبعدنا بيت النداء
 الأول) وفيه يكون رد المصدر على المعجز المفيد حصر التخييرية في شخص
 الخليفة «على» ما دام حياً .

وقد زاد الأمر قوة في الهيئ الأخير حيث نسب الحكم بذلك إلى
 الله جلّت قدرته وبذلك يكون حصر التخييرية والأفضلية في «على»
 حكماً إلهياً يتحتم التبول به ، ويُضد هذا بحكم ربيع آخر يقضى بأن
 الأنضلية ، لا تبارحه إلى من سواه من البشر من م سوى «محمد» .

والاختتام للتصيدة بهذه السكيفية فيه التذكير بأن « عليا » هو
الناصر الوحيد الموصى بالخيرية والأفضلية دون غيره من هم في زمانه من
المناصرين له طبقا لشرع الله في الحكم بين خلقه .

والتذكير الخاتم بهذه الطريقة فيه دفع من الشاغل لشاغل الوالي برفق
إلى ما يُعتقد تماما أنه عين الحق والصواب فيما يتعلق بوجوب المباينة
والتابغة للخليفة « علي » وقد استخدم في ذلك النصح الرقيق وسبيل
تصله إلى ما يهدف إليه من خير لشاغل الوالي ، ولخليفته الإمام - مما
كان له أطيب الأثر في استجابة « جرير » ومباينته الخليفة « عليا »
والتصيدة على الرغم من أنها منصبة على النصح في طابعتها العام
ولكنها تعتبر من شعر التأييد والناصرية - لـ « علي » طبقا لأفضليات
معيّنة قد أحرزها .

ولم يتم التمرض للمخالفين إلا لحظاً من طرف خفي لم يصل إلى حد
التجريح والتقدح في شخص أي منهم .

اعتراف وإحقاق

الموقف السياسي : يبدو من الرسائل الجوابية التي تلقاها اغلظية
« علي » من الولاة في عديد من الأمصار أنهم يرتفعون بهيمته .
فقيا يتعلق بشأن والي (همدان) « جرير بن عبيد الله البجلي » الآنف
الذكر نجد أنه فور فراغه من القراءة لرسالة اغلظية الإمام قام في الناس
خطيبا فقال^(١) :

(١) وقعة صفين ص ١٦

« أيها الناس - هذا كعب أمير المؤمنين « علي بن أبي طالب » وهو المأمون على الدين والدنيا ، وقد كان من أمره وأمر مدوه مانعاً الله عليه وقد بآيته السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان - ولو جُبل هذا الأمر شوى بين المسلمين كان أحقهم بها . ألا - وإن البقاء في الجملة ، والفناء في الفرقة ، و « علي » حاملكم على الحق ما اسقستم - فإن ملتم ألام مملكم »
فقال الناس : سمعاً وطاعة - رَضِينَا وَضَعْنَا .

التعليق :

ويمكن أن تلبس من خلال المبادرة الخطابية التي سارع إليها الوالي « جرير » في أهل ولايته فوز وروء رسالة الخطبة « علي » إليه أنها قد ارتكزت على فكرة أساسية مفادها أن « عليا » هو الأحق بالخلافة ، والأولى بالمعاينة اعتماداً على الأمور التالية :

١ - « علي بن أبي طالب » رجل مؤمن على أمور الدين والدنيا - وهذا الاعتباران هما معطى التفكير والاحكام من السلم في الدولة الإسلامية لدرجاتها حول الاحكام الذي ينشده فوزاً في حياته وبعد مماته .

٢ - أمير المؤمنين « علي » رجل جسر ، وله من الشجاعة ما يقتل له أحرار النصر على كل من يحاول الوقوف ضده - كما أنه لا يتورع من الإيقاع بمن يصاديه كما حدث منه في موقفه الأخير ضد من «أداة»^(١) .

(١) يشير الوالي إلى ما كان من انتصاره على أصحاب الجمل .

٣ - «على» هو الحق بالبيعة والأولى بها اعتقادا على الأصول
الدينية للرعية فيما يتعلق بصاحب الحق الأولى بأن تُسند الخلافة إليه
في دولة الإسلام .

ففضلا عن تقدمه لكونه للأُمون على الدين والدنيا - فهو أيضا
الذي قد انمقت له البيعة صحيحة من أصحاب الحل والتقد وأصحاب الرأي
الذين يُعتمد برأيهم في المجمع الإسلامي من ذوى السبق من : المهاجرين
والأنصار وعلى الأخص منهم (البدريون من أهل الشورى) .
وليس يمد رأى هؤلاء أى صواب آخر يمكن أن يؤخذ به ،
أو أن يكون له أى وزن أو قيمة في مجمع الدولة الإسلامى .

٤ - يطرح الوالى « جرير » في خطبته فرضاً جديداً يظهر في فكر
الولاء المسلمين - ومؤداه - أن الخلافة لو حُكِّمَتْ في أمرها الشورى بين
المسلمين ، وحُصِرَ النظر عن البيعة الثابتة الأكيدة القائمة للإمام «على»
لأنجاتٍ عن أحقيته فيها من جديد مرةً أخرى .

وافترض الشورى الذى طرحه « جرير » الوالى قد زاد من وثاقة
حق الخليفة « على » في الخلافة طبقاً لأى وضع يمكن أن تسير عليه
الأُمور ، ويتم الاختيار طبقاً له بين جماعة المسلمين .

هذا - ولم يهمل الوالى في خطبته الكشف عن رد القبل عنده وأهل
(همدان) إزاء ما أحرزه الخليفة « على » من نصر ، وما أصاب الخارجين
على بيعته من أصحاب (المجلس) من إيقاع وهزيمة وذلك بحمد الله
في خطبته على ما كان من أمر الخليفة وأمر عدوه .

وبهذا يكون الوالى قد أبدى تأييداً مستوفياً للإمام الخليفة — كما أنه قد أظهر في الوقت عينه أنه قد خرج عن دائرة المأفأة له ، بل مال إلى جانبه هو ومن يلي عليه — اعتراكاً منه بيوسته .

• — إنقاذ البهمة للخليفة « على » يحوى أهدافاً سياسية سامية علياً تتحقق للأمة الإسلامية ؛ إذ فيه الإبقاء على وجودها حية قوية بالإبقاء على الوحدة بين رعاياها من جماعة للسلمين ؛ لأن داء هذه الأمة القى يهدد وجودها كامن دائماً في تفرقها واختلافها .

ونظراً لأهمية هذين العنصرين في كيان الأمة الإسلامية إحياء وإحلاكا — نرى الوالى قد صذر تمبيره للتلحق بهذين الأمرين بالأداة : (أَلَا) للشارة بأهمية ما يليها شذاً لنفوس السامعين لتقبهن خطورتهما — حيث يتماثلان بحياتهم وهلاكهم لكونهم هم رعايا هذه الأمة القى تفارح بين عنصرى الإحياء والإفناء بالتجمع والفرق .

كما أن الوالى السطليب قد أتبع (أَلَا) أداة (إِنْ) المؤكدة لمضى الخطوة للزورة في حياة الأمة الإسلامية نتيجة لاختيار السير في أحد الطريقين الآتيين .

ولما كان الطريق للفضل والذي ينبغي أن ينصب عليه الاختيار هو طريق الإحياء والحياة بالتجمع — لذا يمكننا أن نعتبر الوالى السطليب قد كان بارها في الطريقة القى مرض بها الواقفين ضمناً منه لتسكيل السامعين بمحذيرهم عن طريق الإقناع الفسكرى لم يمدوى الانحياز إلى جانب الجماعة المهتدية للتمثلة في جماعة الموالاة للخليفة « على » .

نفكون حياتهم في حياة أمهم ، والتنوير لهم من المبادئ من تلك الجماعة فيكون في تفرقهم هلاكهم بهلك أمهم ، ولن يرتضى عقل لنفسه ولا لأمته إلا الحياة والازدهار .

٦ - ويختتم الخطيب الوالى خطبته باعتبار يؤكد به سلامة ما ذهب إليه ومؤداه أن الخليفة « عليا » أولى بالخلافة عليكم تميزه بشخصية قوية كفيلة بأن تحبسكم على ما يصلحكم بحزمكم على التزام الحق ، وسلوك جادة الصواب - كما أنه موفور الحزم والعزم والاذان بكفلاق له تفرعكم إذا ما رأى منكم ميلا أو انحرافا . وماذا تريد الرعية المسوسة من إمامها سوى الغيان لغيره وعده باستقامته عليهما ؟ ثم التعديل لانحرافه للتعاسب ومدى حيدته . إذا ما حاد أو انحرف ؟

هذا - ولم يكف الوالى « جرير » بخطبته القوية في معانيها الرائعة في أسلوبها ، والتي أحدثت فيها في نفوس سامعيها اقتناعا بصواب التأييد للخليفة « علي » فلم يلبسوا إلا الاعتراف بالسمع والطاعة له ، والرضى والافتناع به خليفة لهم .

ولم يكف الوالى بهذا - وإنما رأيناه قد اهتزت مشاعره بجلال الموقف من بعد أن جمع القلوب فاجتمعت عليه رضى به « علي » فأنشأ قصيدة ساق فيها مشاعره لتواكب روعة منطقته الخطابى ، وتكون احتفاء

واحتمالاً بطوك النتيجة الباهرة التي توصل إليها مع أهل ولايته ما نشأ
يقول (١) :

أنا كقاب « على » فلم	زود الكتاب بأرض المعجم
ولم نمن ما فيه لنا آفي	ولنا ندم ، ولنا نلم
ونحن ولادة على فترها	نعم العزيز ، ونحيي الذمم
نساقيهم للوت عند القاء	بكأس النالا ، ونشفي الترم
طحنام طحنة بالقننا	وضرب سيف تكلم الدم
مضينا يقينا على ديننا	ودين الدي مجلي الظلم
أمن الإله وبرهانه	ومذل البرية وللمقيم
رسول للهلك ، ومن بسده	خليفة القائم المدمم
« عليها » عنيت ومي النبي	مجاهد عنه غواة الأمم
له الفضل والسبق والكرامات	ويث النبوة لا يهتضم

البيان الأدبي :

تفرجه القصيدة في عرضها الأساسي إلى المناصرة لل خليفة « على »
في خلافته ، وتنفخ بتلك البياضة ، وبالصبر مع « على » في معركة
(الجمل) ويتخذ الشاعر من قصيدته ممرضا لأحاسيسه فيذكر أنه :
(أ) قد سارع بالبياضة للإمام فور ورود كتابه إليه وهو على
البعد في أرض المعجم ، ولم يكن منه عصيان بالخائفة وهو الوالي على
خر (همدان) القصي يقوم بواجبه من الحماية والمعدل .
(ب) يعرض الشاعر لصور من بطولته في لقاء الأعداء ، وما كان

له فيها من انتصارات طعن فيها أعداؤه بالقنا وأطاره وسهم بالسوف.

(ج) ينتقل الشاعر إلى (الدين) والثبات عليه ، وإلى (النبي)
الأمين على وحى الإله ، والرسول المختار هداية وعدلاً للبرية .

(د) وقد أعاد الشاعر من هذه الانتقالة تمهيدا وطأ به لإظهار
مضيقه على التأييد للخليفة القائم بالأمر « عليا » وصلى النبي عليه السلام ،
وصاحب الفضل والسبق والكرامات من بين عامة المسلمين ومن بين
خامة آل بيت النبوة أصحاب الحقوق للرعية .

وفي تصرف الشاعر على هذا الوجه يتعدده للمعاقب والأفضليات
التي حازها الخليفة « على » يكون قد وضع الدواعى التي من أجلها
قد العزم على المناصرة للإمام الخليفة ومجالة سائر الخلفين له
(هـ) جمل الشاعر من المضي في الدين ثباتا عليه (مضيقا بيقينا على
ديننا) فضلا ينبغي أن يتسحب فيشمل (المضي) في الوالاة للإمام القائم
بالأمر « على » .

(و) وقد اعتمد الشاعر على القياس على الدين ، وأخذ دليله بثبت
به صحة سلامة الخلافة لـ « على » :

فكما لا يصح التغيير في الدين كذلك لا يصح التغيير للخليفة « على »
التأم بأمر الخلافة فعلا .

هذا - ما كان من موقف وإلى (عبدان) « جرير البجلي »
ويبدو أن الاستحسان لموقف أنوالى « جرير » قد استبد بالحضور
لحرك مشاعرهم فلم يتالكوا أنفسهم فتساقطوا إلى التصديق تلك للناسبة ،
وفي صميم واليهم الذي أحسن التصرف في هذا الموقف .

فقد أشد « ابن الأزور القسري » يمدح الوالي « جريرا » قال :^(١)
 كنز أبيض والأبناء تنسى لقد سجل بخطيبه « جرير »
 وقال مقالة جدعت رجالا من الحيين خطيبهم كبير
 بدايك قبل أمسه « على » وعحك إن رددت الحق رير^(٢)
 أنك بأمره « زحر بن قيس » و « زحر » بالي حدث خبير
 فكنت بما أنك به سميها وكدت إليه من فرح تطير
 فأت بما سجدت به ولي^٣ وأت لما تمد له نصير
 ونم للبر أنت له وزير^٤ ونم للبر أنت له أمير
 فأحرز الثواب — ورب حافر كذا بالركب ليس له بعد
 ليهيك ما سبقت به رجالا^٥ من العلياء ، والفضل الكبير

البيان الأدبي :

ثناء عمدة عريض ، ومدح رائع لكل ما أتاه الوالي « جرير » في
 تلك المناسبة :

(١) فقد كانت خطبته عين الجلاء لأمو سرث بذكرها الأبناء
 وتماثلت ، وكانت خطبته مضاء الحزم في إيقاف للتقولين ينير علم عند
 حدودهم ، فقد قطعت الخطبة ألسنة القول منهم .

وعما لا شك فيه أن مقدرة الوالي على التوضيح لما أتاهم من أمور
 في أذهان من على عليهم — في حينه — والسارعة إليه ما أمكن أسرار
 كفيلا بإزالة أي لبس يخالط أفسكارهم — ومن للرعية سوى واليهم .

يزيل عنهم ما خاطبهم من إيهام أو شك ؟

وإذا انتهت التعجلية للأمر حزمًا ، كان ذلك آية النجاة من الوالى فى سياسته وعيته مما يكسبه الثقة فيه كوالى ، ويمود عليه هدمًا واستقرارًا وتقدمًا فى ولايته ، وهذا مما كشف عنه الشاعر فى بيته الأولين .

(ب) ما كان فى استطاعة الوالى « جرير » أن يحتله موقفًا غير ما اتخذ — فهو صاحب فكر فاضح لا يقود إلا إلى الصواب — كما أن خلافة « حل » هى عين الحق الذى لا يرد إلا كل من فكده واقتل م « جرير » ليس كذلك ؛ كما أن مبادئ « حل » إله بالعودة إلى البداية تكبريم لـ « جرير » تظهر ماله من خاص منزلة عند الإمام — وما أراها ألا تميزه بقول سليم يقبل الحق ولا يرفضه ، وقد كانت عين الحق فيما وافى به رسول الإمام « زحر بن قيس » حيث هو الأدرى بحقيقة ما حدث .

(ج) الامتداح للوالى « جرير » مسارعته إلى الاستجابة للباية التى كشفت من أنه الجدير بأن يندب إلى مثل هذه المهام ، وهو الذى يمدد لوالاه وللناصره إذا ما تطلب الأمر ذلك .

وتكرار لفظ (أنت) فى صدر شطري البيت يشعر بهذه الجدارة فى الإسماعد والناصره^(١) ، وقد رتب الشاعر على هذا الامتداح لـ « جرير » أنه خير وزير وأمير أحرز كل الخير فى سبقه من سواه من الرجال إلى هذا العمل العظيم .

(١) راجع البيت السادس من القصيدة

والنصيذة قد حوت لحماً خفيفاً إلى ما يمكن أن يحدث مستقبلًا من نزاع نتيجة لما يحدث في المجتمع من نقولات تسرى بها الأنباء .
وقد حدد الشاعر موقف الوالى منها — بأنه يتم الإعداد للماصرة
الإمام حيث يقول :

« وأنت لما تمد له نصير »

باعتبار أن « جريرا » الوالى هو الأولى بالماصرة والتأييد لما هو حق .

والنصيذة تأييد للإمام في خلافته — فهو فيها صاحب الحق الذى لا يُنكر ومن أجل ذلك ساغ للشاعر للديج « الوالى » « جرير » الذى سارع إلى السمع والوالاة للحق وصاحبه .

وكان الشاعر رائماً في التقاطه للسعى الفريد الذى أوردته من أن من استبد به الشعور بالقياء حُداءً وقيادة لقافلة فليس من الضرورى أن يكون صاحب بغير فيها وهكذا كان الشاعر — لم يكن على درجة من المسئولية تلزمه سلوك تصرف معين إزاء الأحداث القائمة ، ولكنه مع ذلك قد أسهم فيها بالتعبير عن رأيه كنزدي المجتمع — وإن لم يكن ذا مسئولية تامة فيه وتولى الصدارة في القيادة والتوجيه للرأى العام في الأمة وأصبح كما قال : « وَرَبَّ حَائِيَّ حِداً بالركب ليس له بغير .

• • •

ويتوالى الشعراء يسيرون عن مواقفهم إزاء ما أصاب المجتمع الإسلامى من اغتيال للخليفة « عثمان » والمبايعة للخليفة « على » .

فري « النهدى » ينشد قائلا :^(١)

أنا بالنبأ زحر بن قيس
تغيره أبو حسن (على)
رمى أعراس جاجعه يقول
فتر الحى حن بمن وأرضي
ولم يك قبته فيها خطيب
مق يشهد فصن به كثر
وليس يوحى أسراً إذا ما
له دنيا يمشأ بها ودين
عظيم الخطب من (جف بن سعد)^(٢)
ولم يك زلته فيها يمسك
أخوذ القلوب بلا تعد
ذوى العلماء من سلفي ممد^(٣)
مق قبلى ، ولا أرجوه بئزى
وإن غلب ابن قيس غاب جدى^(٤)
دنا مقى - وإن أفردت وحدى
ولى الحيجا كذى شبلين ورد

البيان الأدبى :

القصيدة مساقاة للديح زحر بن قيس رسول اخطيفة وعلى « ويكتسب
الديح للرسول على حسن تأتية في مقالته التى عرض فيها لطبيعة مهمته
التي آتى من أجلها فقد كان (أخوذا للقلوب) دون أن يتعدى القصد .
وقد ترتب على هذا الديح الضمى للإمام على وذلك لحسن تغييره .
رسوله الذى جلى أمورا عظمت خطبها .

ويبدو أن الرسول زحر بن قيس كان بارعا في عرضه للأحداث التى
أدت إلى مقتل زعمان حيث أظهر أن هؤلاء هم تسكن معه مشاركة

(١) وقعة صفين ص ١٨

(٢) المصنفون م ينو سعد المشيرة بن مذجج (حى من اليمن)

(٣) يريد أرضى أسلاف ممد بن ديمعة ومضر بنى زراد بن هذان

(٤) الجاد بفتح الجيم : الحظ

فيما بما أدخل السرور والرضى على المدنانيين من ربيعة ومضر :

(أ) فقد سُرُّوا لثبوت براءته مما يفتوه عليه للفتون .

(ب) وقد وُضُوْا بقوليه الخلافة من بعد (عُثْمَان) باعتباره الأصح
لحا والأولى بها من سواه من الأحياء الذين يمكن أن تسند إليهم
الخلافة .

ويبدو أن الرسول كان بارعاً في خطابه - حيث ثبت الشاهد أنه
لم ينهض فيهم خطيب يماثله من قبل ، كما لا يرتجى أن ينهض خطيب آخر
يماثله فيما بعد من بين سائر الخضور غيره .

ولا يسهل الشاعر الترحيب الشغوى بالرسول حيث ربط ازدهار
حظه والإحساس بالافتقار بحضور الرسول - وعامل إحساسه هذا
بما أورده في البيت الأخير من أن الرسول صاحب دنيا ودين ، وشجاع
في الحرب - مما دعا الشاعر إلى القول : متى يشهد فنحن به كثير .
ومما لا شك فيه أن سائر ألوان التمجيد التي أغرق بها الرسول مدحا
تنسحب آثارها على مرسله الخليفة الإمام تأييداً له في توليه الخلافة -
واحقاق الحق إلى جانبه .

وهذا هو النرض المتضمن الذي قدور معاني القصائد السالفة حوله

- فمى من شعر التأييد للخليفة الإمام زوعل بنو .

الخطوط العريضة للسياسة الجديدة

الموقف السياسي :

الترشيد لولاية : لم يُضَيَّع الخليفة الإمام وقتاً ، وإنما نواه يسارع
بحرم السياسة العليا للدولة ويُعلم بها وولاته بغية التنفيذ الفعلي بين الرعية
فكتب إلى « الأشعث بن قيس » وإلى (أذربيجان) فقال : ^(١)

« أما بعد - فلو لا هاتين كُنَّ فيك كنتَ الملقم في هذا الأمر قبل
الناس ، ولعل أملك بحمل بعضه بعضاً - إن اتقيت الله ، ثم إنه كان من
بهمة الناس إياي ما قد بلغت ، وكان « طلعة » و « الزهر » ممن بايماي
ثم نقضاً بيته في غير حدث ، وأخرجنا (أم المؤمنين) وساروا إلى
(البصرة) فسرتُ إليهما فالتقيتا ، فدعوتهم أن يرجعوا فيا خرجوا
منه - فأبوا ، فأبلغتُ في الوعاء ، وأحسنْتُ في البقية .

وإن عمالك ليس لك بطلعة ، ولكنه أمانة ، وفي يديك مالٌ من
مال الله ، وأنت من خزان الله عليه حق تسلمه إلى ، ولعل ألا أكون
شراً ولا نيكاً لك إن استغمت - ولا قوة إلا بالله »

التعليق :

الرسالة تؤرجح الوالي « الأشعث » بين اليأس والرجاء - لما ورد فيها
من حديث الإمام عن (هاتين) الوالي ، ثم حلَّ بعض أمره على بعضه

الأخر عما دعا الوالي إلى أن يفتق على الرسالة بأنها : قد أوحشته .

هذا — إلى تعيين الخليفة الإمام على القسطنطين (أذربيجان)
منه — غير أن الخليفة « عليا » قد شد الوالي أكثر إلى الأمل بإعلامه
بإتمام في نهاية الرسالة بأن « عليا » لن يكون شر من تولى أمره من
الولاية غيره — مما يشعر بالاطمئنان إليه نوعاً ما ١١

والفترة العامة لطريقة صوغ الرسالة تُشعر بأنها كانت مُرسلة
لوالى « الأشعث »^(١) وهى بمجانب ذلك توضح ما يلي :

(أ) « علم الإمام بالمطامير ومواطن الضعف عند الولاية — مما ذكر
به « الأشعث » في قوله : فلولا هذات كن فيك .

(ب) « يُفصح الإمام المجال أمام الوالى ، ولا يفتق دونه السبل لراجعة
نفسه فيما يتعلق بتلك (الحقائق) فأبان أنها عرضة للصفح إن تمت من
الوالى التقوى لله واعتدلت مهورته .

وما أظن هذا التمهيد إلا دفعا من الخليفة الإمام للوالى ليترك بالمحق
أصاحب الحق لإرضاء الله — والحق يقتل في المباشرة للخليفة « على »

(ج) يؤكد الإمام أنه قد يؤيد بيعه عامة الجماعة — اجتمع عليه
فيها الناس ، وترامى خبرها إلى القاصى والدانى ، ومن ذلك ما بلغ
الوالى فى (أذربيجان)

(د) يقرر الإمام أن « طلعة » و « الزبر » قد بايما ثم تقضايتهما

(١) جعلته يفتكر فى الحاق بماوية لولا تحذير قومه له بأن الموت خير له
من أن يكون ذليلاً لآل الشام بما يكشف عنه شمرهم فيما بعد .

دون أن تكون قد صدرت من الخليفة مخالفة لعقد البيعة توجب مخالفتها له .

(هـ) ثبت الإمام حمادى « طلحة » و « الزبير » في الكيد له بعد النقص لبيعتهم بمدحهما إلى الضرب عنده ، وللضادة لحقه ، وجميع المجموع لهذا النقص وزادة في الإحياء دفعا (أم المؤمنين) إلى الخروج على رأس تلك المجموع المنتقضة ، وتحشد الجميع في مسيرة إلى (البصرة) في جبهة معارضة للإمام .

(و) سارع الإمام - ولم يحسن من الخروج إليهم والاعتراف بهم - ثقة منه بأنه صاحب الحق الواضح في الخلافة ، ولا بد له من الانلقاء بالمخالفة له من ناقضى بيعة الحسن لظلال منهم سلا أو جزا .
(ز) سلك الإمام مع جبهة المعارضة لحكمه منها إسلاميا بإعذاره إلى المخالفين له بدعوتهم أولا إلى النود لطاعته ، ثم رقا في ذلك فبالغ في دعوتهم إلى النود إلى ما كانوا عليه من طاعة وموالة أئمة وعرفاء ألام الدعوة وصدر الخليفة .

ويبدو أن الإمام قد أسهب في دعوتهم - آخذا غشا بأنه يجب أن يحسن إليهم بالإبقاء عليهم مادام هناك أمل يرجى - يتبدل له فيهم - على يتنهم بدورهم إلى الطاعة .

(ح) يسوس الإمام واليه بالتلويح له بهوارق الأمل من الرفق واللين اللذان يتوقع أن يحظى بهما الوالى من خليفته إذا ما سلك طريق الاستقامة في تدمير كل أمر أنهط به كوال .
(٤ - أميباني)

والاستقامة - للمروضة في قالب الشرط - تمثل المنفع للوالى إلى الاعتراف بخلافة الإمام الباطن له - فهي استقامة منه في عمله - باعتبار أن النقص للبيعة نقص وإخلال بصحة تلك الاستقامة - كما أنها دافع إلى وجوب الالتزام بالأمانة حفظاً وصوناً لما تُؤدّه الولاية من دخل يرصد لحساب الرعية في الولاية خاصة والرعية عامة في سائر أرض الخلافة كحياسة اقتصادية يجرى السّجّ الإسلامى عليها، وأسلوب الإمام المعروض في صورة الترجي والشرط لإيراد ذكر لمراعاة فيما يقصده أساساً من الإنفاذ لبيته، وتمسك منه إلى أهدمدى بالتقوى والاستقامة يُطلبان من الوالى دفناً دائماً إلى إحداث الحق، والالتزام به في كل ما يتوّه من أمر الولاية .

إنه أسلوب السياسة والحياسة العربية في الترشيد للولاية .

رأى في الولاية للوالى

والرسالة فيها التوصيف لمهمة الوالى فيها يباشره من أعمال في ولايته بتحديد وضعه فيها (بأنه خازن) وفي هذا التقييم القانونى لمهوم الولاية بأنها (أمانة) استودعت عند الوالى لحساب رعيته .

١ - فالولاية ليست متاعاً شعاعياً أعطيه الوالى ليحتج به نفسه كمنما شاء اعتبلاً لفرصة سنحت له بالتولى لشئون قطاع من الرعية ، فهي ليست لقمة سائغة يسهل إزدرادها ، وإنما هي خدمة مرصودة لحسابهم يتم فيها التدبير لشئونهم طبقاً لما تعلمه التقوى عليه .

٢ - والشأن في الولاية أنها أمانة يعني أن تحفظ وتسان، وتُرمى بها يصلحها انتظارا ليوم أدائها إلى صاحب الشأن في حق اجتماعه عليها ومراقبة الرعية .

٣ - والشأن في الوالي أنه خازن يقول الصون لما جُمع منها بحق من مال الله ، ومهمة الوالي تنحصر في الحفظ لتلك الأموال للمملكة ملكية عامة للجميع - حتى تؤدي اتفاقا فيها يصلح أهل تلك الولاية ، أو تؤدي تسليما إلى رأس الدولة للتولي للأمر ليتفقوا في حاجة رعية الخليفة على المستوى الأوسع والأشمل لفهم الرعاية التي أنيطت بالخلافة كسبوتية بكون بشأنها على التقدير في حق من وكلت إليه رعايتهم .
وزيتها على الأحداث السالفة ببعض « الأشعث بن قيس » خليفة في أهل ولايته لترتقيهم رسالة الخليفة الإمام فيقول (٥) :

« أيها الناس إن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) قد بايع الناس وملكهم وطاعتنا له طاعة من كان قبله ، وقد كان من أمره وأمر « طلحة » و « الزبير » ما قد بلغكم ، وعلى المؤمنين على ما غاب عنا وعنكم من ذلك الأمر .

التعليق :

وهذا يكون (الأشعث) الوالي قد اعترف بخلافته (على) حيث أثبت أن طاعته له ثابتة ثباتها للخليفة « عثمان » كما أنه قد قضى على الأحداث المترضة للناس فيما يتعلق بمقتل الخليفة « عثمان » ووقعة الجبل

وبأن قول الخليفة « حل » في ذلك هو عين الصدق - لأنه المؤمن في هذا الأمر الذي لم تكن من شهوده حتى تقطع فيه برأى - وبهذا - يكون قد طرح جانباً مفتريات القول على الإمام ، وأثبت له صواب السلوك إزاء الأحداث طبقاً لما نفعه العامة في كل تصرف يزاو له كخليفة .

ويبدو أن « الأشعث » قد خشي على نفسه أن يأخذ الخليفة الإمام بمال (أذربيجان)^(١) فإيكاد يغلو بغاصته حتى يلوح لهم بأنه سيلحق « معاوية » فإذا بهم يردون عليه فكره قائلين :

« أتدع حصرك وجماعة قومك ، وتكون ذنباً لأهل الشام ١١٩ »

وينهض الشر ليفعل فعله في محاولة تنقذ الوالي « الأشعث » من التنفيذ لفكرة التي عرضت له بالاجوء إلى معاوية مويداً أنها فكرة - ينبغي أن تطرح من ذهنه جانباً لأنها لا تليق بمقام سليل (كعدة) التوسع منذ صغره ، ومن الظير له أن يُنفذ البهمة للخليفة « حل » ويدفع إليه بأموال الولاية كأمثل حل وأصوبه - فيقول^(٢) :

إلى أميذك بالقي هو مالك^٢ بمعاذة الآباهر والأجداد
عما يظن بك الرجال ، وإنما بامورك خطه ممشر أوفاد
إن (أذربيجان) التي مزقتها ليست لجذك فاشتها^(٣) ببلاد
كانت بلاد خليفة ولا كها وفضل ربيك رائع أوفاد

(١) رواه الإمامة والسياسة

(٢) وقمة (صفيين) ص ٢١ - ٢٢ ، الشاعر : الأسكوفي ،

(٣) فإليك ألا تحبها لأنها ليست ملكاً لكم تستملك به

خَدَعَ الْبِلَادَ فَلَيْسَ فِيهَا مَطْعٌ ضَرَبْتَ عَلَيْكَ الْأَرْضَ بِالْأَسْدَادِ^(١)
 خَادَعْتَ بِمَالِكَ دُونَ نَفْسِكَ لِحَنَّا قَادُوكَ بِالْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ
 أَنْتَ الَّذِي تُقَيِّمُ الْخَنَاصِرُ دُونَهُ وَهَكَشَ (كَنْدَةَ) يَسْتَهْلِكُ الْوَادِي
 وَمُعَصَّبٌ بِالتَّاجِ مَفْرُقٌ وَأَسْرُ مُلْكُكَ لَهْزَكَ رَاسِخُ الْأَوْتَادِ
 وَأَطْعَ « زِيَادًا » إِنَّهُ لَكَ بَاصِعٌ لَأَشْكُ فِي قَوْلِ النَّصِيحِ « زِيَادَ »
 وَانْظُرْ « عَلِيًّا » إِنَّهُ لَكَ جُنَّةٌ تَرَشُّدٌ ، وَيَهْدِيكَ لِلْسَّادَةِ هَادِ

* * *

البيان الأدبي .

القصيدة تنحو إلى استثارة الشهامة في نفس « الأشعث » وإحماها
 من طريق تذكيره بأنه صاحب السيادة والصدارة والملك والتعاج في
 (كندة) ومن له هذا التاريخ الخافل من الأجداد لا يلقى به إلا أن
 يتابع الخليفة « عليا » .

وفي سبيل محاورة بلوغ الشاعر هذا الغرض نراه يركز في قصيدته
 على نقاط أربع — رتبها وأحسن الانتقال فيما بينها وهي كما يلي :

١ — (أذريبعان) ليست أرضاً موروثة لك عن أجدادك فتعصمك

بمحكم لها ، وإنما هي ولاية يجوز أن تُزَلَّ عنها .

٢ — ادفع بأموال الولاية إلى الخليفة الإمام ، واستغل من بها

نفسك من أن تبقيها إلى الآخرين لإبقاء على الأموال .

(١) جمع سد أي حبل يملك وبينها بمواقع ليس من الميسور تخطيطها

٣ - استشارة النضوة في الوالى دفناه إلى الشمامه أخذا بالحل
السالف حيث لا يلقى بشريف (كثرة) صاحب الملك والتاج إلا أن
يسلك إلا هذا الطريق الشريف ، وبباعد بينه وبين أكلة بالتبعية
لأهل الشام^(١) .

٤ - الدعوة إلى الأخذ بنصح الشاعر فيما يشهر به من للجامعة
للخليفة « على » .

ولما كانت بطانة الوالى هى سر بلاته إن فسدت - ١٣ - نرى
الشاعر يميز الوالى بمال الملك وما كان لأبائه وأجداده من أجداد وملك
أن يعنى نفسه من مخططات برسمها له الأوغاد من مستشارى الشر والنساذ
الذين يبدو أنهم كانوا يزعمون له الاحتفاظ بالأموال والعاق بماوية
عما يخل بكرامته كسلول بيت ملك تالدراسخ .

وعلمية النفس والنفس لأفكار مستشارى السوء اتخذ منها الشاعر
مدخلا ينفذ منه إلى الواقع الفرضى الذى ينشده - حيث نراه قد اتخذ
من ذلك توطئة ليقيم الوالى بحقيقة الأمر - وهى أن (أذربيجان)
ليست من مملوكات أجداده ، ويرتب على ذلك أمره الناصح (ندم
البلاد) حيث لا موجب لأى مطمح له فيها ، وأتبعه أمره التناسى التالى
يدفع الأموال دون النفس ، ثم يخلص الشاعر إلى الوالى فيواجهه

(١) العبارة « وتكون ذبا لأهل الشام » تشير أن الإقليمية قد تدخلت
في النزاع ولم تقف عند حد الأشخاص وسياساتهم فقط !

بتذكيره بأجاده للورثة التي تدفعه إلى سلوك طريق الشرف الذي يهتم
عليه أن يستجيب إلى الرشد بالعناية للتعلمة الإمام « على »
ولا يبرىء الشاعر الوالى من الاوم بخصوص الولاية حيث أثبت
عليه أنه للمزق لها ، وربما كان تمزيقها يعود إلى الأموال التي جمعت
بطريقة أدت إلى ذلك التمزيق للشاعر إليه .

ظاهرة وتعليل

ويُلاحظ في القصيدة أن الشاعر وهو يصدد استشارة مشاعر الأشعث
بأنه قد أحاذه من أن يكون مجرد والٍ بولاية حتى يُحميه ويذم بالآل والى
إلى التعليل « على » ويأتى من المعاق بـ « معاوية » لذا نلاحظ أنه قد
ذكره بما كان له في التقديم من (ملك) أصيل منعد راسخ ثابت ، ومن
(تاج) انعد فوق رأسه منذ صفرة ، وحتى مشيبه مما أصل فيه وقومه
الملك منذ أمد بعيد .

وعندما يناشده مُعيذاً إياه من الاستماع إلى ما يدبره الأوغاد الذين
لم يلق منهم غير الشر — نراه يُعده بأبانه وأجداده (ولأن كان قد
قدم على ذلك إحاذته بما لى الملك)

وهذه ظاهرة جديدة تحدث في المجتمع الإسلامى ثم فيها البحث للأجناد
الشرفية التي كانت لبعض قبل الإسلام ، والتذكير بها لإظهار التعفوق
والأصالة وللأستقراطية الأمور التي قضى عليها الإسلام باشتراعه
(السواسية) كأشنان للشط محراً لى تمييز لأحد على أحد في ظلال الدين

الجدد بما كان سابقاً شاملاً وسائداً في الجاهلية .
وظاهرة أخرى تمت فيها الإعادة بما كان للآباء والأجداد من عفة
وترفع عن الإساءة لتدبير الأوغاد .

وغاية ما يمكن قوله في هاتين الظاهرتين أنه قد سم فيهما التخطئ
والتجاوز لما كان مطبقاً في صدر الإسلام من عدم التفاخر أو التحدث
بما سلف من أجداد أو أجداد كانوا في الجاهلية وفيهما العود إلى الماضي
الذي يمثل ردةً نفسية بدأت تطل بقرونها على حياء ، ثم استعصمت
فيها بعد حيث عظمت سخامها في تقاض العصر الأموي حيث مازج
التفخر المجاء .

وغاية ما يمكن التعليل به أنه ربما تكون الانشطارات
والانقسامات التي حدثت على المجتمع الإسلامي نتيجة للنزاع السياسي على
الخلافة والحكم وتسم السلطة في الدولة الإسلامية هي الأمور التي
فجعت المجال للمعصيات القبلية لتظهر ، ولأجداد الساضي وعظمة الآباء
والأجداد اكتشف ويتم التفاخر بها والتحدث عنها والإعادة منها .

وما كان البعث انبليث للمعصيات والتضر بماضى الأجداد أن يظهر
لولا النزعات السياسية التي استعصمت .

وهي إذا ما كانت ياب شرٌّ قد انفتح فقد كان فيها النهوض لنف
القول في الأدب — حتى وإن كان فيه الأحاسي القديمة ، واستتارة
المعصيات القبلية المردولة .

ولا يستغنى الشاعر « السكوني » بقصيدته الآفة ، وإنما نرى خوفه

الذى تسلط عليه كرامة أن يلحق « الأشعث » بـ « معاوية » فيضيع
عظمة الأمجاد التي عرف بها (آل كندة) و « الأشعث » سليلهم للنمذ
عليه تاج الملك ، والناسي في ظلاله .

فن منطلق التذوق هذا كشمور وإحساس داخل سيطر عليه نرى
« السكوني » يلاحق « الأشعث » بشمره الذي يدور حول هذا اللحن
خيصة كتب إليه قصيدة أخرى قصد التأكيد على الفرض الذي يهدف
إليه فيقول :^(١)

أبلغ « الأشعث » المصعب بالثا ج غلاماً حتى علاه القهر^(٢)
يا ابن آل الزرار من قبل الأ ثم ، و « قيس » أبوه فبث مطير
قد يصيب الضميف ما أمرا لا ، ويحطلي المدرّب الثعير
قد أتى بهلك الرسول « جرير » فتلقاه بالسرور « جرير »
وله الفضل في الجهاد ، وفي المعجزة والهدى - كل ذلك كثير
إن يكن حظك الذي أتت منه فخير من الخطوط صدير
يا ابن ذي القاج ، والمبجل من (كندة) ترضى بأن يقال أمير
(أذربيجان) حسرة فذوئها واثنين الذي إليه تصير
واقبل اليوم ما يقول « علي » ليس ذبا يقوله بخير
واقبل البيمة التي ليس لنا س سواها من أمرهم قطير
عترك اليوم قد تركت « عليا » حل له في الذي كرهت نظير ؟!

البيان الأدبي :

ما زال الشاعر « السكوني » يركز على التذكير « للأشعث » بأنه
 سليل بيت الملك ليثبت في نفسه حق الأصالة في بيت الملك من (آل كعدة)
 ودافعه في ذلك أن يطلق به إلى الشريف من القصر فات ، فسليل بيت
 الملك لن يقبل بالإمارة ، ولن يرضى بولاية وهو سليل ملك تليد ، وتاج
 الملك كان يحمل جبينه منذ صغره وحتى مشيبه ، والمعرق في الأصالة
 لا يلق به أن يعلق قلبه بولاية مهتزة مُنتَفِضة (كأذربيجان)

ولما كان الشاعر قد اعتبر أنه قد بلغ الغاية في الإسماء والسوء
 به « الأشعث » والاعتقير بولاية (أذربيجان) لذا — ساغ له أن يتقلد
 إلى الهدف الأسمى من قصيدته ، وغواه الدعوة إلى الرضى بما يُشهر به
 الخليفة « علي » حيث لا مُنصرف للناس منها — كما أن « عليا »
 لا يوجد من يشرکه في الصلاحية لتولي الخلافة .

وورود قصيدتين ملاحقتين لشاعر واحد ، وفي غرض واحد يشمر
 بأهمية الشمر في نقوس القوم في تلك الفترة ، ويمدّي استنثاره لحاسهم
 تجاه غرض معين ، فقد استخدم الشمر أداة لتأثير عن طريق التحسيس
 المستثير لمصرف (الأشعث) من التجره إلى « معاوية » تكريماً لنفسه
 وتاريخ أمجاد قومه ، ويأتي نصيح الشاعر له بأن يتابع (عليا) المكتمل
 الصلاحيات التي تؤهله للخلافة ، حيث يندم من يتأخره في مهامه
 تلك ومن الشرف للأشعث سليل الملك أن يكون واليا من قبل
 (علي) هذا .

ويبدو أن شعر (السكوني) قد أحدث أثره في نفس الوالي بلاشك ، حيث وجدنا له شعراً يعلن فيه وجهة نظره في الخليفة ، على بشعر يحمله إليه اسبقه ، وفضله في قصيدتين معوالييتين أيضاً - قال في أولهما (١)

أَتَانَا الرُّسُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
رَسُولُ الرَّسْمِ - وَمِثْلُ النَّبِيِّ ﷺ
بِمَا نَصَحَ اللَّهُ ، وَالْمُصْطَفَى
يُجَاهِمُكَ فِي اللَّهِ لَا يَنْتِي
وَزِيرُ النَّبِيِّ ، وَذُو صَهْرِهِ
وَكَمْ بَطْلٍ مَاجِدٍ قَدْ أَذَانِي
وَكَمْ قَارِصٍ كَانَ سَالِ (٢) النَّزَالِ
فَإِذَاكَ (على) إِمَامُ الْمُتَدَنِيِّ
وَكَانَ إِذَا دُمَا لِنَزَالِ
أَجَابَ السُّؤَالَ بِنُصْحٍ وَنَصِيرِ
فَالْقَلْبُ مِنْ شَأْنِهِ
وَمَا وَرَدَ عَلَى لِسَانِهِ أَيْضًا قَوْلُهُ (٣)

أَتَانَا الرُّسُولُ - رَسُولُ الرَّسْمِ ﷺ
رَسُولُ الرَّسْمِ - وَمِثْلُ النَّبِيِّ ﷺ
وَزِيرُ النَّبِيِّ ، وَذُو صَهْرِهِ
« على » لِلْهَيْبِ مِنْ هَاشِمٍ
وَخَيْرُ الْبَرِيَّةِ مِنْ قَائِمٍ
وَخَيْرُ الْبَرِيَّةِ فِي الْعَالَمِ

(١) وقعة (صفين) ص ٢٣ - ٢٤

(٢) غطفه من سأل - بمعنى طلب القتال فأورده نار جهنم إثر قتله.

(٣) الذين أصابهم الهيب (٤) وقعة (صفين) ص ٢٤

١. الفضل والسبق بالصالحات لهدى النبي به يأبى (١)
 محمدٌ ألقى رسول الإله وغيث البرية والنظام
 أجبتنا «علياً» بفضل له وطاعة نصح له دائم
 قبيحٌ حلسم له صنوفاً كلت حرين بها سام
 حلیمٌ حفيفٌ وذو شجدة يميل عن القدر وللأم

وعلى الرغم من أن التصديتين لا تملآن قوة تمهيدية تلفت النظر
 إليهما أكثر متميز - غير أن أهميتهما تنحصر في أن فيهما الإبانة عن
 وجهة نظر والى (أذربيجان) في الخلافة «على»

وعما لا شك فيه أن رأى الحاكم الإقليمى في رأس الدولة يختلف من
 رأى العامة من الناس فيه - فضلاً عن رأى الجهل والسوقة منهم .
 فهو يمثل رأى الحكومة والرسمى لوالى باعتباره حاكماً من لدن
 الخلافة ، وبلغة المصر نقول إنه رأى أحد المسئولين التنفيذيين في
 الخلافة المسئول للأمر حديثاً وهو ما زال يصدد التلقى لمواقفات الولاة -
 بما يضى على رأى أهمية خاصة في تلك الآونة !!

وينضم إلى تلك الأهمية - ما أثر عن «الأشعث» من أنه سليل
 الملك ، وصاحب التاج من آل (كندة) .
 وأهمية الرأى ووجهة النظر الصادرة من «الأشعث» تنحصر
 فيما يلى :

(أ) لا تقاثلهما من أهمية على المستوى الرسمى - باعتباره حاكماً
 لأحد أقاليم الدولة الإسلامية - في وقت يتعلق فيه الخلافة الجديد
 (١) أى يؤتم به بقلب الميم الثانية ياء

المبايعات من الولاية في سائر الأصقاع ، ولم يستعقب له الأمر تماماً بهذا :
 (ب) ولما رأى « الأشعث » من وزن من بين الولاة باعتباره .
 سليل ملوك (كندة) فهو بين العرب ما هو . وتلك الاعيادات تجعل
 من رأى الوالى « الأشعث » فى الخليفة « على » حكماً غير قابل للظن فى
 خلافته ، وتضع وجهة نظره فى موقف يحبطها خالصة من أى تراف أو
 أو مدافعة أو تدليس - مما يؤدى إلى التقدم لموقف الخليفة « على » .

(على) فى نظر (الأشعث)

وطبقاً لما صدر عن « الأشعث » فى خطبته والشعر للنسب إليه من
 آراء فإننا نستطيع أن نستشف من خلالها رأى الوالى « الأشعث » فى
 خلفيته « على » ويساطة ويسر يمكننا أن نجمله فيما يلى :

(أ) « على » ورعى النبى ، وصاحب الفضل والسبق إلى الهدى من
 بين سائر المؤمنين - إذن - فهو إمام الهدى والمهتدين .

(ب) « على » المجاهد فى الله بعزم لا يلين ، والسيف المصلت على
 رقاب الظالمين ، والفارس ذو النجدة الحامى لجماء .

(ج) « على » صهر النبى ، ورَجُلُهُ فى المهمات ، وهو التقية الحليم
 العفيف الذى لا يفتد ، ولا يؤثم نفسه .

وبما يلحظ : أن الوالى « الأشعث » قد أضيق على الإمام « على » .
 كل الصفات التى يحرص الربى المسلم المتدين على الاتصاف بها .
 فالعلم والمفة والشجاعة والمسارة إلى إنجاد الملهوف المستعصرخ -

جميعها أخلق بحرص على الانصاف بها كل عربى نابه نشأ وتربى في بيئة الصحراء النزيهة ، وهي إذا كانت تمدُّ من الحامد التي يقنر العرب بالتعلُّ بها فقد جعلها الإسلام خلقاً دينياً يشرف كل من يلتزمها انصافاً ، ويطبقها أسلوب حياة ينهجه ويتعامل به مع الآخرين ، ويلقى عليه الجزاء الطيب في آخرته .

هذا - وقد سبَّح الشجر في كثرة قصصه بالصفات ذوات الأثر الثابت في « على » من آله ، ابن عم النبي ومن آل بيته ، والمحرِّز لشرف معاصره وتذيه المثل لشخصه في أخلاقه ومهاته .

وهكذا - كان الكلمة التي صيغت بها رسالة الإمام أثرها القوي في الإصلاح لقوال « الأشعث » في أن يسلك طريق الصواب الذي حدد مضمونه الإمام الخليفة . فقد كانت الرسالة محكمة وقوية في مبادئها ، وكانت واضحة انبجحت مباشرة إلى الفرض الذي صيغت من أجله ، وأثمرت خير ثمار خلقت عليها ، وكانت فيها السكافية لإحلال الفقام وقبول التصح والانتصاح له - بدلاً من المخالفة والمعيان وما يترتب عليها من اشتجار السيوف .

فازال الفكر العربى والأحاسيس المنبثقة في النفس العربية تهزها قوة الكلمة المتعة الصادرة عن صدق وفي أوفق مناسبة تُقال فيها مما انجلى عنها أطوع لإجابة كانت حين الطاعة والقبول للتصح ، والاستعجابه لا أشار به الخليفة الإمام « على »

وفود التأييد

الموقف السياسي :

قدّم على الخليفة « علي » بالسكوفة أشرف بن تميم ^(١) وفيهم « الأحنف بن قيس » و « جارية بن قدامة » و « حازقة بن بدر » مقام « الأحنف » وجل تميم الأول فتكلم قائلاً ^(٢) :

« يا أمير المؤمنين - إنه إن نكّ (سعد) لم تنصرك يوم (الجل) فإنها لم تنصرك عليك ، وقد مجبوا أس من نصرك ، وعجبوا اليوم من خذلك - لأنهم شكوا في « طلحة » و « الزبير » ولم يشكوا في « معاوية » وعشيرتنا بالهجرة - فلو بعثنا إليهم فقدموا إلينا فالتفأ بهم العدو ، وانتصفنا بهم وأدركوا اليوم ما فاتهم أمس ؟ » !!

التعليق

ويبدو من هذا أن موقف « تميم » كان حيادياً في موقعة (الجل) بسبب عدم انتزاع المواقف في ذمتهم إزاء بعض الأشخاص من أمثال طلحة والزبير ومعاوية ، وأبأنوا أن حيادهم لم يكن مخافة ومعارضة للإمام في مواقفه - بل دليل هذا المرض الذي قدموه للخليفة « علي » أن يستقدموا قومهم ، ويقفوا إلى جانبه ويبدو أن الخليفة الإمام يريد الاحتياط أكثر من صيغة ما عرضه عليه « الأحنف » في كلمته - فقرأه ينقل الحديث إلى الرجل الثاني في (تميم) قائلاً :

(١) وكانت (سعد) من تميم لم تنصرك وعاليا ، في قتال أهل (الجل)
ويبدو أن الإمام يشعر بوجوده إزاء تصرفهم هذا (٢) صفين ص ٢٤

الإمام : ما تقول يا « جارية » ؟
جارية : « أقول هذا جمع حشره الله لك بالتقوى ، ولم تستكره
فيه شائخاً ، ولم تشخص فيه مديماً .
والله لو لا ما حضرك فيه من الله لفنك سياسته ، وإيس كل
من كان معك نافعك !
وربّ مقم خير من شاخص ، ومصرأك خير لك - وأنت أعلم .

• • •

إذن - فقد جاءه « بنو نعيم » مدغمين بنرض سام شريف أسامة
التقوى لله يفتلوا منهم أن الحق إلى جانب الإمام .
لذا - ترام وقد وفد بهم الحب دون استكرام .
وكان « جارية » حكماً غيا جرحه من رأى من أنه : ليس كل من
كان معك نافعك !!

كما أنه زاد الإمام إيضاحاً في أمر يفترض أن الإمام يعلمه ؛ ذلك
الذي أنهى بقوله : وأنت أعلم - حيث حدد له بدقة (من معه - ومن هليته)
بقوله : مصرأك خير لك ^(١) .

هذا - مع عدم الإعمال للسكة الذهبية في تعامله مع (من معه) بأن
ليس كل من ذقت إلى جواره كان نافعاً له .
وهذه دعوة إلى الاستيثاق بمن تأميه ، وفيما البصيح ألا يرد من
جاء به الحب نتيجة لتحكيم حامل الدين (التقوى) التي جمعه بأشراف
(نعمهم) .

وما زال الإمام يحاول استزادة الأمر وضوحاً ، والوضع وثوقاً من
سائر الأئمة الرؤوس الذين يحضرونه قراءه ينقل الحديث إلى « حارثة
ابن بدر » فيقول :

على : ما تقول يا « حارثة » ؟^(١)

حارثة . يا أمير المؤمنين - إنا نشوب الرجاء بالخفة .

والله لوددت أن أمواتنا رجعوا إلينا فاستمعناهم على عدونا
ولسنا نلقى القوم بأكثر من هدم ، وليس لك إلا من كان
ممعك ، وإن لنا في قومنا عدد لا نلقى بهم عدوا أعدى من
« معاوية » ولانسحبهم فقرأ أشد من (الشام) وليس به (البصرة)
بطانة تُرصد لهم ، ولا عدو يُهدم له .



والحوار هنا فيه الإقناع السكافي للخطبة الإمام بأن (عميم)
تقف إلى جانبه ، وتماهى « معاوية » في موقفه المضاد للإمام يستوى في
ذلك المضاء الأحياء والأموات من (عميم) وقد أبان « حارثة » أن تأييد
أهل (الشام) لـ « معاوية » في نزاعه للخطبة قد اعتُبر بمثابة الجبهة القتالية
للمادية الطغرة التي تنهض المسارعة إلى سُدّها بالقضاء عليها ، وتكثير
الجموح الفاتكة لهم إلى حد استدعاء الأموات على سبيل التمهيد !!

وقد كان في الآراء الحوارية التي أدارها الإمام مع السادة من (عميم)
مطمان الإمام إلى سلامة موقفهم ، وصحة الاطمئنان إليهم من بعد

(١) شاعر (عميم) وفارسها ، وكان موثقاً به في سداد الرأي .

أن هيركل منهم بصراحة وحرية ووضوح عن رأيه في مجريات الأمور والأحداث ، وأنهم طبقا لما تعلقه عليهم تتوأم لن يقتوا إلا إلى جانب صاحب الحق انظيفة « على » ولن يهادوا إلا « معاوية » ولن يماربوا إلا جبهة أهل (الشام) .

وما أن بلغ الحوار مباحثه اطمئنانا من نفس الإمام حتى نراه يشير إلى « الأحنف بن قيس » زعيم (تميم) بأن يكتب إلى قومه (بنى سعد) يستقدمهم إلى (السكوة) فكتب :^(١)

« أما بعد - فإنه لم يبق أحد من (بنى تميم) إلا قد شقوا برأى سيدم غيركم - شقيقت (سعد بن خرشة) برأى « ابن بشرى » وشقيت (حنظلة) برأى « جليان » وشقيت (مدي) برأى « زفر » و « مطر » وشقيت (بقو عمرو بن تميم) برأى « عاصم بن الدلف » .

ومعكم الله برأى لكم حتى تلتم ما رجوتهم ، وأمنتهم ما خفتهم ، وأصبحتهم منقطعين^(٢) من أهل البلاء - لاحتقن بأهل العافية .

وإني أخبركم أنا قدمنا على (تميم) السكوة فأخذوا علينا بفضلهم مرتين :

بمسيرهم إلينا مع (على) وميلهم إلى المسير إلى (الشام) ثم أخبروا^(٣) حتى صرنا كأننا لا نعرف إلا بهم - فأقبلوا إلينا ، ولاتنكسوا عليهم .

(١) صفين ص ٢٥ .

(٢) أصبحتم بميديين عنهم

(٣) غلبتنا أفضالهم التي غطت علينا

فلئن لهم أعدادنا من رؤسائهم ... فلا تبطئوا ، فإن من العطاء حرمانا
ومن النصر خذلانا .

فحرمان العطاء القلة ، وخذلان النصر الإبطاء ، ولا تقضى الحقوق
إلا بالرضى ، وقد يرضى للضطر بدون^(١) الأمل .
التعليق :

الرسالة ترشده من (الأحرف) إلى بنى قومه تدور حول ما بنى :
(أ) أنه قد رأى لهم الرأى المنبجى لهم من المصلحة فى الوقت الذى
شئى فيه غهرم برأى سادتهم .

(ب) الإيماز إليهم أن بنى حومتهم من (تميم) السكونة قد انضموا
إلى الامام ، وما لوا إلى السير مع إلى الشام ، وهم فى الانتظار لتقدمهم
حون إبطاء .

(ج) التحذير من الانضمام الى الطريق المناوىء حتى لا يقيموا معاذير
الحرمان من العطاء والنصر ، والاضطرار إلى الرضى بالهون .

وعلى الرغم من أن الرسالة صادرة من عظيم القوم وخطيبهم وصاحب
الرأى فيهم ، وهى وافية من حيث الفرض الذى صيغت له ، وعنصر
الاقناع فيها واضح بما أحرزوا من أمن وطقية وخلوص من البلاء بإقياهم
على الإمام بـ (السكونة) وفيها التحذير من الخائفة لما يترتب عليها
من عقوبات خطيرة تلحقهم . - ولكننا نلاحظ مع ذلك مواكبة الشمر غالبا
لرسالة باستناراته الوجدانية للمضمون الفكرى الذى تحويه الرسالة .

(١) أى أقله .

فأمن رسالة أوسيلث إلا وشفت بقصيدة شعرية تدعم معانيها.
وتستثير الحاس النفس لإفناذ ما تضمنت - حتى طلى الشعر في هذا المجال.
وغدا الأتراسل به أمرا مألوفا في تلك الحقبة من النزاع .

فمع رسالة (الأحف) هذه - نرى (معاوية بن صهيم) ينشئ
قصيدة ويبعث بها مع الرسالة ونصها كما ورد فيها حيث يقول .^(١)

«عيسى بن ممر» إن «أحف» نسمة	من الله لم يخص بها دونكم سدا
وعم بها من يمدكم أهل مصركم	ليالي ذم الناس كلهم الرندا
سواء لقطع الجبل من أهل مصره	فأمسوا جميعا آكلين به وغندا
وإعظامه الصاع الصغير، وحذفه	من الدم الوافي يجوز له البندا
وكان لسعد رأي أمي صهيم	فلم يخطلا الإسداء فيهم ولا الوردا
وفي هذه الأخرى له تحض زينة	سيخرجها حقوا؛ فلا تمعلوا الرندا
ولا تبطئوا عنه، وعيشوا برأيه	ولا تمعلوا عما يقول لكم بهذا
أليس حطيب القوم في كل وفدة	وأقربهم قريبا، وأنهدم بهذا
ولان (عليه) خير حليف وناهل	فلا تمعوه اليوم جهدا، ولا جدا
بحارب من لا يخرجون محربه	ومن لا يساوي دينه كله ردا ^(٢)
ومن نزلت فيه ثلاثون آية	تشيء فيها مؤمنا مخلصا فردا
يرى موجبات جن فيه وغيرها	بها أوجب الله الولاية والودا

(١) ابن أخ للأحف .

(٢) صفين ص ٢٦ - ٢٧ .

(٣) الرد - الواقف من النقود - أي من لا يساوي في دينه شيئا -

البيان الأدبي :

التصيدة موجهة إلى فكرة أساسية يجعلها :
الدعوة لـ (بنى سعد) من (تميم) أن يستجيبوا لزعيمهم «الأحنف»
خياً دعاهم إليه من الغاية للعليفة ذ على .
والفكرة بوضوح هذا نراها دعوة ذات شقين :
(أ) الدعوة إلى الامتثال لرأى زعيم القوم (الأحنف) فيما ارتآه
لهم من صواب وخير .

(ب) الدعوة إلى الناصرة للعليفة الإمام على .
وقد أتبع الشاعر كل دعوى طرحها بالمبررات التي تظهر صواب
ما يدعو إليه :

فقياً يتعلق بـ «الأحنف» نراه يفتحه بأنه :

١ — نعمة من الله حباً بها (تيمناً) بأسرها ، وامتدت حتى شملت
جميع ساكني للنطقة ، ولم يقصر خيره على (بنى سعد) وحدهم ، فالرجل
كريم دون ماحد ، وصواب رأيه فيه الصواب والحفظ لبنى قومه دائماً ،
وعلى الأخص فيما اعتمده من رأى بالأمس بالناصرة لـ «على» .

٢ — الرأى في المتابعة لـ «على» خير كله - وإن لم تتضح خيريته بعد
وقد بنى على هذا الحث على السارعة إلى اعتناق ما يراه لهم «الأحنف» .

٣ — «الأحنف» خطيب القوم الذى يملك ناصية القول في كل
مناسبة والذى يبعد فن الشافهة لسامعيه ، والأقدو على التمهيد من رأى
القوم ، وخاصة عندما تنفجأهم الوفود ، ولم يصل إلى مركز خطيب القوم

إلا بعد تجربة أثبتت جدارته ، وصواب رأيه ، وهو القريب مُلتصاً
والأسمى أداءً .

وفيا بتملق بالإمام لا على ما نراه قد نصته بما يلي :

١ - أفضل من وُجد في زمنه على سبيل القطع .

وذلك - بما صدر به البيت من توكيده وبالأستغراق للخيرية وتركيزها
فيه دون غيره من سائر الحفاة واللتملين من أهل زمانه . وقد بنى على
هذا - الطالبة له (تميم) بالناصره له إلى أقصى الجهد والجِد في ذلك
غاية الجِد .

٢ - لا على «أولى» بأن يُصَف ويُتَرَف بخلافه لا أن يُنَازَع
ومُحَارَب .

فقد نزل فيه وحى يفرده بالآيمان الخالص بلفظ آياته الثلاثين .

٣ - لا على «عجب» للوالاة له ، وبذلك الحب والود له لم يجابا من الله .

لما له من سبق وفضل وجهاد ووضع متميز في بيت النبوة .

وقد كان الرسالة المنشورة «للأخف» والرسالة الشعرية «للقصدة» .

له معاوية بن صمصمة «بالغ الأثر لدى بني سمد حيث استجابوا لما

دُعوا إليه ، وساروا بجماعتهم إلى (السكوة) حيث الإمام ومن معه .

حوار وعرض

حول بحث رسول الى « معاوية »

لوقوف السياسي: أراد الخليفة أن يبعث برسول إلى (معاوية)
 هده يقلمه بطرح النزاع ، والدخول فيما دخل فيه الناس من إيكال
 الأمر له والتسليم فتحدث في ذلك مع من كان يحضره .

وهنا يدبرى من بين الحضور « جرير بن عبد الله » قائلا :
جرير : ابعثنى إلى معاوية فإنه لم يزل لى مستنصحا ووديا ،^(١) فأتته
فأدعوه على أن يسلم لك هذا الأمر ، ويمامك على الحق - على
أن يكون أميرا من أمرائك ، وعاملا من عمالك - ماعل بطاعة
الله ، واتبع ما في كتاب الله ، وأدعو أهل (الشام) إلى طاعتك
وولايتك ، وجلهم قومي وأهل بلادى ، وقد رجوت ألا يصونى .
الأشتر : (موجها الكلام إلى الإمام) لا نبعثه ودعه ولا تصدقه ، فوالله
إنى لا ظنّ هواء هواهم ، رايته نيتهم .
الخليفة : دعه حتى ننظر ما يرجع به إلينا .

(١) الصديق الطالب لنصحي .

وهنا يتجلى الرسول « جريز » ليقوم بمهمة سياسية أساسها (الوساطة) لمحاولة الإنقاذ لوالى (الشام) المنازع « معاوية » أن يبايع الخليفة « عليا » ولا ينافعه - صارفاً النظر عن الاعتراضات التى أبدأها « الأشتر » وهنا يزود الإمام رسوله « جريز » بتعليماته ، والأُسُس التى يمكنه أن يجرى فى حدودها مفاوضاته ولا يهمل أن يمرض للأسباب التى من أجلها صبح عنده الاختهار لرسوله فقال :

الخليفة : إن حولى من أصحاب رسول الله ﷺ من أهل الدين والرأى مَنْ قد رأيت ، وقد اخترتكم عليهم لقول رسول الله ﷺ :
« إنك من خير ذى يمن » ^(١) لِمِيت « معاوية » بكتابى —
فلن دخل فيما دخل فيه المسلمون وإلا فانبذ إليه ، وأهله أنى
لا أرضى به أميراً وأن العامة لا ترضى به خليفة .

رحلة الوساطة

وينطلق (جريز) إلى (الشام) مُوقِداً من الإمام يحمل رسالته حقوا ومزودا بمصالحيات محددة ، ويصل إلى (معاوية) . وينزل عنده ويدخل عليه فيقول : ^(٢)

(أما بعد يا معاوية فإنه قد اجتمع لابن حنك أهل الحرم ^(٣) وأهل المصرين ^(٤) ، وأهل الحجاز وأهل اليمن ، وأهل مصر وأهل العروض

(٢) وقعة صفين ص ٢٨

(٤) الكوفة والبصرة

(١) من خير أهل اليمن

(٢) مكة والمدينة

وعان وأهل البحرين والجماعة فلم يبق إلا أهل هذه الحصون التي أنت فيها — لو سال عليها سيل من أوديته غرقها .
وقد أتيتك أدهوك إلى ما يرشدك ويهديك إلى مباينة هذا الرجل .

التعليق

الجانب التهديدي في كلمة الرسول واضح - فالإجماع ذو الأهمية في تقرير مصير الأمة الإسلامية قد وقف ضد « معاوية » منعازاً إلى الخليفة (على)

وما بقي في يد الوالي فكتم لا يُعْطَا به ، فليست (الشام) في نظر الرسول الوسيط غير مجرد حصون محدودة الأثر — تمرض طوفان التأييد العارم للخليفة الشرعي المبائع له ، وسوف لا تبقى ولا تقوى على الصمود أمام دقّ سهل التأييد الذي لن يعرقه عائق .

وفي ختام الكلمة يوضح الرسول مهمته بأنه : الداهية إلى الرشاد والهداية ، ويركز هدايته وترشيده على الاستجابة بالمباينة .

ولم يهمل الرسول النصيحة في صدر كلمته أن يحاول من قلب (معاوية) حيث يذكره بأن الخليفة الإمام — هو ابن عمه — لعل رابطة الدم تنزعه فتمطّنه نجاهاه فينصاع للمباينة له — صارفاً النظر عن النزاع معه .

إنه التركيز في أسلوب المواجهة بالكلمة ، واندفاع إلى الغرض بهائسة دون تفريعات ، وترتيب في العرض ، وسلامة في استخلاص النتائج — فقد قدم عملية الهزّ لشاعر الوالي تهديده بالحق ، ثم أتبعه

الدعوة المادية إلى البابية حيث لا نجدى المكابرة — إنها المواجهة
الأسلوبية بين الوحد والوحد .

ثم يدفع إلى (معاوية) برسالة (على) ويُلحظ أن البادىء بالمراسلة
الخليفة (على) بناء على فسكر عن له .

ولربما كان القصد أن يعكس الإمام من طريق الرسالة والرسول
من الإقناع له (معاوية) أن يطرح جانب النزاع والخلاف ، ويعود
إلى المحرزة معترفاً بخلافه الإمام .

وهذا يكون الخليفة (على) قد أحل الإقناع بالسلطة المادية التى
يحصلها بمبوث ومثل شخصى جوسط وفاوض محل إعمال السيف .

حيث لا يوجد مأور أقسى من تحكيم السيف بين للتنازعين ، وعلى
الأخص بين رءوس فى الدولة الإسلامية .

وبما لاشك فيه أن فى تقائلهما تفرقاً لصفوف جماعة المسلمين ،
وإضماراً لذيتهم التى تنازعها الأهواء والفتن فى تلك الآونة وتهدهما
الحرب الأهلية ، ولربما — كان الخليفة الإمام راغباً فى الإحذار إلى
« معاوية » بأن يحاول رده بالحسنى إلى صواب الرأى إقناعاً بالدخول
فى طاعته قبل أن يحكم السيف فى أمر نزاعهما — شأن الإمام دائماً
فى إعداده إلى مخالفته ^(١) — فقد كان هذا مبدأ عاماً عنده — يحاول
به تغليب جانب السلم والمصالحة فيه على القتل والحرب .

(١) راجع صنع الامام مع طلحة ، و الزبير ، قبل الدخول معهما فى معركة
(الجبل) وفى لقاءه برءوس الكفر مبادرة قبل التحام الصفوف قتالاً فى غزوة بدر

ويدفع « جرير » رسالة الخليفة « على » إلى « معاوية » فإذافها^(١):

بسم الله الرحمن الرحيم

« أما بعد - فإنَّ يَمَعْنَى بالمدينة كَرَمَتِكَ وَأَنْتَ بالشام - لأنه بإيحيى
القوم الذين يأمروا « أيا بكر » و « عمر » و « عثمان » على ما يؤمروا عليه
فلم يكن لشاهد أن يخفار ، ولا لفائب أن يردوا إنما الشورى لهم جبرين
والأنصار ؛ فإذا اجتمعوا على رجل فسوه إماما كان ذلك وضاً - فإن
خرج من أمرهم خارج بطن أو رغبة رفقوه إلى ما خرج منه ؛ فإنَّ أبى
قالوه على اتباعه غير سبيل للؤمنين ، وولاه الله ما تولى ، ويصليه جهنم
وساءت مصيرا وإن « ملصقة » و « التزير » بإيحيى ، ثم تقضا يهيمى ، وكان
نقضهما كدحما ، فجاهدتهما على ذلك حتى جاء الحق ، وظهر أمر الله
وم كارهون - فادخل فيما دخل فيه المسلمون - فإنَّ أحب الأمور إلى
فيك العافية - إلا أن تعرض للهلاك . فإنَّ تعرضت له فالتفتك ؛ واستمعت
الله عليك .

وقد أكرت في قفلة « عثمان » فادخل فيما دخل فيه المسلمون ، ثم
حاكم النوم إلى أحلك وإياهم على كتاب الله .

فأما تلك التي تربدها فضيحة العبي عن إلهين ، ولعمري - لئن
فطرت بمثلك دون هواك لتجعدنى أبرأ (قريش) من دم « عثمان » .
وأعلم أنك من الطلقاء^(٢) الذين لا تحمل لهم الغلالة ، ولا تعرض
فيهم الشورى .

(١) وقمة (صفين) ص ٢٩ .

(٢) الذين أطلق سراحهم النبي عليه السلام بعد فتحه لمكة عنوة .

وقد أرسلت إليك وإلى من قبلك « جرير بن عبد الله » وهو من
أهل الإيمان والمهجرة - فبايع ولا قوة إلا بالله .

التعليق :

الاسمة والمضمون : الرسالة حادثة في طائفتها العام وودية فيما نص عليه
عن حب العافية لـ « معاوية » ، ونحو مضمون ما مؤداه للطالبة لـ « معاوية »
بالإخول في طاعة الإمام الذي أكدته بتكراره له في موضعين مختلفين
من الرسالة ثالثاً : فادخل فيما دخل فيه للصلبون .
وقد رتب الإمام مضمون الرسالة في تناسق اعتقادي مسرود
كالتالي :

- (أ) التصدير للرسالة بما يؤكد لزوم « معاوية » وإلى الشام المباشرة
للخليفة « علي » مهما كان قصيراً في أطراف الدولة .
- (ب) يورد تعليلاً لصحة هذه المباشرة بأن معاوية هم معاوية وأبو بكره
و « عمر » و « عثمان » الخلفاء الراشدون الأول :
 - (ج) يتصلحت عن الشورى ويقصرها على المهاجرين والأنصار .
 - (د) عرض سريع لما حدث من « طلعة » و « الزير » وصنعتهم ما
الذي أودى بهما في موقعة (الجمل) .
 - (هـ) مطالبة « معاوية » بإيفاد خليفة للإمام - من بعد أن وضح
وبين ولم يدع مجالاً للشك في صحة بيعته في ترتيب تسلسلي موجز
حقص .
 - (و) للمعاوضة والمنازعة بعد ذلك في أمر البيعة تعرض للبلاء بالعرب
وإن كان من الآكد حبة السلامة له ، وتقديمها على البلاء وموجباته .

(ذ) التعقيد لمعوى « معاوية » المطالبة بدم « عثمان »

وقد أورد الإمام لذلك حكلاً فقهاً سلباً مؤداه : أن الموقف السامع الحالى بين الخليفة والوالى يتضمن أمراً جوهرياً وآخر ثانوياً الجوهرى هو المطالبة بإفناذ الوالى لهنمة الخليفة أولاً ثم بعد ذلك يُنظر فى حقيقة الأمر الثانوى المتعلق بمعوى المطالبة بدم « عثمان » إذا ما صح له « معاوية » أن يكون صاحب حق فى اللطالبة بهذا الدم .
وحقاً يسوغ له أن يحاكم الثقة إلى الخليفة فونفذ حكم الله فيهم .
من بعد أن يكون قد استقر نظام الحكم فى الدولة .

(ح) العطن على « معاوية » فى دمواه بأنها خدمة لا تنطلى على عاقل .
وشهد .

(ط) « معاوية » لو نظر بفكر مجرد من المعوى لصمت عنه براءة الإمام من دم « عثمان »

(ى) « معاوية » من طلقاء نفع مكة الذين لا تحمل لهم اغلانة .

(ك) « معاوية » ليس من أهل الشورى التى حُصرت فيمن هاجر ونصر .

وتلك اعتبارات أوردتها الإمام ليصحح الفكر عند « معاوية »

إذا ما كانت نفسه تمدنه بشىء فيما يتعلق باغلانة حيث قد تمت المباشرة الصحيحة له « على » فإزمت لذلك « معاوية » بناء على هذا .

وقد أبان الإمام له أن لا حق له فى التقرير لنظام .

للأمر من الخلافة أو الشورى من بعد أن قُنَّ كَلَامُهُما، وحده بشرطه وأُسقط حقه في كليهما .

ولم يهمل الإمام إبراء نفسه ، وتصحيح موقفه في تصرفاته إزاء ما حدث منه في موقعة (الجمل) وإزاء مقتل الخليفة «عُثْمَانُ» تلك الأحداث التي هزت كيان المجتمع الإسلامي ، ولم تترك الرسالة في وقتها مجالاً لفتلت الوالى معاوية من البايعة إذا صحت منه الفية متجهة إلى الصواب من بعد أن قضت على كل ما يثبت على الشك أو التنازع بما قرره من قضايا أساسية تتعلق بالخلافة والشورى .

إنها للنهج لشرعية الدولة في نظام الحكم ، والتبصير للوالى في مقام الإقناع بالكلمة المأذنة ، والدعوة إلى التصفية والصفاء بعد زوال الشكوك ، والتصد نحو إقامة نظام الحكم للستر أولاً شل الأمة الشاغل (الخلافة) تنفذ وتُجرى ، ثم يتم بعد ذلك الإنهاء لسائر المشاكل الفرعية .

ويرأ « معاوية » رسالة الخليفة « على » وإثر فراغه منها ينهض الرسول « جرير » فيخطب قائلاً : ^(١)

« الحمد لله المهود بالموائد ^(٢) ، ولأول منه الزوائد - للربحى منه الثواب - السعمان على الفوائب .

أحمد وأستعينه في الأمور التي تحترق دونها الأبواب ، وتضمحل عندما الأسباب .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، كل شيء حالك إلا
وجهه - له الحكم وإليه ترجعون .

وأشهد أن (محمدًا) عبده ورسوله - أرسله بمدالفترة ، وبمدالرسول
للأضية ، والقرون الخالية ، والأبدان البالية ، والجيل الطاغية - فبلغ
الرسالة ، ونصح الأمة ، وأدى الحق الذي استودعه الله ، وأمره بأدائه
إلى أمته ﷺ من مُبْتَدَأٍ وَمُتَعَبٍ^(١) .

أيها الناس - إن أمر «عثمان» قد أعيا من شهوده ، فاعظكم بمن
غاب عنه ؟

وإن الناس قد بايعوا «عليًا» غير واثق ولا موقوف ، وكان «ملحة»
و «الزبير» من بايعه ثم نسكتا ببيعة من غير حَدَث .
ألا وإن هذا الدين لا يحتمل الفتن - ألا وإن العرب لا تحتمل
السيف .

وقد كانت بـ (البصرة) أمس ملحة وإن يشفع البلاء بمنحها
فلا بقاء للناس !

وقد بايعت العامة «عليًا» ولو ملكنا الله أمورنا لم نَحْتَرُ لها غيره
ومن خالف هذا استعيب^(٢) ، فادخل لا إله إلا الله فيا دخل فيه الناس .
فان قلت : استعيبني ((عثمان)) ثم لم يذلق فإن هذا أمر لو جاز لم
يقم لله دين ، وكان لسلك امرئ ما في يديه - ولكن الله لم يجعل للآخر

(١) مختار .

(٢) طلب المعافاة بما فرط منه .

من الولاية حق الأول ، وجعل تلك أمورا موطأة ، وحقوقاً ينسخ بعضها بعضها .

التمليق :

: تنصب الخطبة في مضمونها على التوضيح .

والقرار للأمر التالية :

(أ) السجرات القام عن التعدي للخطبة ماثم في اغتيال الخليفة عثمان .

(ب) البيعة العامة تمت لـ « علي » وليس لها غيره في أى اختيار حر .

مريض يمكن أن يتم بعد — على سبيل فرض التحلل مما تم .

(ج) دعوة (معاوية) إلى المبايعة لدخولها فيها دخل فيه العامة .

(د) تقرير حق الخليفة المبايع في العزل أو التثبيت الولاية .

(هـ) توضيح أن الولاية وعن موقوف بمصالح الوالى في إدارتها ،

ولست ميراثاً في الحكم — وإنما الخليفة الجديد يرى رأيه في الولاية ،

وتعهد أى فرضين ذلك .

(و) استقطاع (جرير) أن يثبت أن استدانة الوالى في الحكم

للولاية في عهد الخليفة الجديد ربما عن أبقه أمر ليس من الدين في

مجمع أساسه الدين .

(ز) بين أن الخليفة الجديد لا يلزمه الإبقاء على جميع تصرفات

سابقة ، وإنما يحل حق النقض لها إذا ما تبين له فسادها .

(ح) أوضح حقيقة ماثم فيما يتعلق بـ (طاعة) و (الزير) ليعنى

أى شك يتعلق بشأنها ، وأنها قد انتهت بلحمة لاطاقة للمرد بالداخل

في مثيلها .

(ط) الخطبة تقن الأسس العامة لتولى الخلفاء، وحقوقهم في ائتمرفات العامة، وفي تغيير الولاية إذا رآوا ذلك لازماً، وعدم إلزامهم بالإبقاء على تصرفات اتخذها سابغهم ورأى لاختهم الظور في تبديلها وإلغائها حق الخليفة الجديد في أن يرى رأي في الولاية ثانياً أو عزلاً وفق ما يراه صالحاً عاماً.

للضمون والسمات :

(١) الخطبة موضوعية في حقيقة ما تضمنت، وقد عرضت في أسلوب هادئ، مفتح خالي من التهديد اللهم إلا ما ورد عن ملحمة (البصرة) تلميحاً، وقد افتتحت بالحمد الوثير لله وإفراده بالألوهية في شهادة تتعرف بأيلولة الملك والبقاء والرجوع إلى الله، وشهادة برسالة محمد الذي بلغ ونصح.

(ب) لم يمهّد مثل هذا الطول الجامع لأصول الدين، والتحميدات الممتدة، في صدر خطب تلك الفترة، وربما كان الموقف الخاص بقرار أمر الخلافة والولاية وموقف الخليفة منهم طبقاً لما ترضيه الشريعة الإسلامية هو الذي دمنه إلى الإطالة في هذه الفاحية - تذكرنا بمحاثي دينية أثبت عليها تشريعات قررت أمر الحكم في قته (خلافة) ونزولاً حق مستوى (الولاية).

ويتمهي المبحث «جرير» من خطبته فيعقبس، ويقول (وماوية): انظروا ونظروا، وأسقطوا رأي أهل الشام، ويأمر فينادي للنادي: الصلاة (٦ - أصبسياني)

جامعة ، ويجمع الناس ؛ فيصعد « معاوية » المنبر ، ويخطبهم قائلا^(١) :
الحمد لله الذي جعل الهائم للإسلام أركاناً ، والشرائع للإيمان
روحاً ، يتوقّد قيسه في الأرض للقدسة التي جعلها الله محسب الأنبياء
والصالحين من عباده ؛ فأحلّها أهل الشام ، ورضيهم لها ورضيها لهم لما
سبق من مكنون علمه من طاعتهم ومناصحتهم خلفاءه والقوّام بأمره ،
والدّابّين عن دينه وحرّماته ، ثم جعلهم لهذه الأمة نظاماً ، وفي سبيل
أظهرات أعلاماً يردع الله بهم النّاكثين ، ويجمع بهم ألفة للؤمنين .
والله نستعين على ما تشبّب من أمر المسلمين بمدّ الالتئام ، وتباعد
بمدّ القرب .

اللهم انصرنا على أقوام يوقظون ناعنا ، ويخيفون آمننا ويريدون
حرقة دمائنا ، وإخافة سبيلنا - وقد يعلم الله أننا لم نردّهم حقاً ، ولا نهكك
لهم حجاباً ، ولا نوطئهم زلفاً .

غير أن الله الجيد كسانا من الكرامة ثوباً لن نرّمه ظلوماً ما جواب
الصدى ، وسقط الندى ، وعرف الهدى .

جعلهم على خلافتنا البنى والحسد ، والله تبعين عليهم . أيها الناس
قد علمت أنّ خليفة أمير المؤمنين « عمر بن الخطّاب » وأنّى خليفة
« عثمان بن عفان » عليكم ، وأنّى لم أقم رجلاً منكم على خراقة قط ،
وأنّى لى « عثمان » وقد قتل مظلوماً والله يقول : « ومن قتل مظلوماً

قد جعلنا لوليّه سلطاناً فلا يسرف في القتل إنه كان منصوراً .
وأنا أحبّ أن تملكون ذات أنفسكم في قتل « عثان » .

التعليق :

الضمون والسمات : تفحصنا الخطبة في جوهر فكرتها الأساسية نحو
تحرير أن الولاية ثوب كرامة ألبس الله إياه ، ولن ينزعه أبداً - اعتماداً
على استخلاف « مر » و « عثان » له وقد سبق هذا للضمون بمقدمة
حوليلة أفدحت بحمد الله ، ثم انعطفت سريعاً تجاه أهل (الشام) مقررّاً
أنهم شرفوا بجلوسهم أرضاً مقدسة ، وأنهم الفاصعون لولايتهم ، والحاجة
للهدين .

وعلى عليهم الأمل في انتظام أمر الأمة الإسلامية - لأن بهم الردع
وحولهم تدور الألفة .

والخطبة كغاية بالأخذ بمجامع قلوب أهل (الشام) بنظامها هذا
حيث أحلهم مكاناً وفيما في الأمة الإسلامية لم يكن لهم من قبل :
(أ) فيهم يستدل نظام الأمة - لتوفر عامل الردع والألفة بهم وفيهم .
(ب) وهم أهل أرض مقدسة أحلها الله لإياهم ولله أن يبادل
بهم أهل مكة وللدنية .

(ج) أظهر أنه آمن في ولايته ، وهناك من يحاول تمكيد صفو الأمن
عليه - ويتجاهل أنه وال مطالب بمباينة الخطيئة الجديد .
في سبيل ذلك يستعيد بالله ناصر له عليهم .

(د) يستميت الوالي في الاستمسك بالولاية فيملتها على أمور كونية

لا تنتمى إلا بانتهاء الحياة من : (مجاوبة الصدى) و (سقوط الندى) .
(٥) يصور (الوالى الخطيب) ليحشّم للمنى عندما يتحدث عن الولاية بأنها (نوب كرامة) .

(و) يؤكد أنه ولى للطالبة بدم « عثمان » ويختم بهذا الأمر خطبته ويبنى عليه مطالبته لأهل الشام بإعلامه رأيهم فيما يتعلق بتلك المطالبة .
ويلصق : أنه ما أراد « معاوية » في خطبته قد قرره في صلب الخطبة من (استنساك بحكم الولاية) مستنداً بقوليه ذلك خلال هذى خليفته .
ولم يرض لحقيقة حق الولى الجديد في إقرار أو عزل الولاية .

ثم يخرج من كل هذا إلى استطراد جانبي شخصه عاطفياً ودينياً بحديثه عن (قتل عثمان) وأدار حوله فكر أهل (الشام) وفرض لهم اعتباراً أثبت لهم فيه أهمية وجودهم بأنهم معه ، وأنهم أصحاب كل حق وعقد في كل ما يتعلق به .

وقد نجح « معاوية » في صرف النظر عن حقيقة الجدل في صلب الموضوع للمروض عليه من قبيل الرسول « جرير » وألهمه عواطف العامة بالرض لأمر الاغتيال لعثمان ، وأثبت لهم فيه حقاً ليس لهم وإن كان قد أحى به مشاعرهم ، واستجمع شقات حماسهم حوله بطريقة مرضه الباردة ، التي لا تخلو من ذكاء والتي كفلت تجميع الأفكار حول الفرض الذي ينشده هو لا ما ينشده غيره .

مبايعة المطالبة بالندم

الموقف السياسي : وما أن يفرخ « معاوية » من خطبته حتى يجمع عليه أهل (الشام) مبايعين له على المطالبة بدم « عثمان » وعلى أن يذلوا أموالهم وأرواحهم حتى يأخذوا بثأره أو يموتوا في سبيل تلك الغاية . ولكن - هل استراح « معاوية » بهذه التأييد ؟

يبدو أن « معاوية » كان يدرك خطورة الأمر الذي دخل فيه ، وأن التأييد والبايعة له ما هما إلا خطوة أولى قد وُجِّتْ به باب المخاطر في النزاع ، وأن الأحداث تهرع به إلى عظام الأمور بما فيها الصدام . التفتل مع الخليفة للبايعة له « على » فهل يمكن أن يطعن إلى نصرة أهل (الشام) له وقد بايعوه ؟

وما أن يمس القيل به « معاوية » إلا وقد دخل في غم بما هو فيه .

وكأنما قد أذكرى النعم من مكبوت آلامه ، تخلصت بها أحاسيسه فانطلق يُنشد معبراً عن هواجس الضيق الذي ألتم به قال ^(١) :

تَطَاوَلَ لَيْلِي وَأَعْتَرَنِي وَسْوَاسِي لَأَتِ أُنَى بِالزَّهْمَاتِ الْهَاسِي ^(٢)
أَنَا نَا « بَجْرِي » وَالْحَوَادِثُ بَجَّةٌ بِتِلْكَ الَّتِي فِيهَا اجْتَدَاعُ الْعَاسِي
أَكْبَدُهُ وَالسَيْفُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ وَلَسْتُ لَأَكُتَابِ الدَّقِ بِلَاسِي

(١) صفين ٢٣

(٢) الباطل

إِنْ (الشام) أَعْطَتْ طَاعَةً بَعْدَهُ
فَإِنْ يُجِيعُوا أَصْدَمَ وَعَلِيًّا بِجَبْهَةٍ
وَأَنْ لَأَرْجُو خَيْرَ مَا نَالَ نَائِلٌ
وَلَا يَكُونُوا عِدَّةً عَلَى بَعْسِهِمْ
وَأِنْ يُنْقَلُوا عَلَى كَفِّ هَابِسٍ

البيان الادبي :

في القصيدة حديث عن : الوساوس والمخاطر والطموح !!
فالوساوس - طاغية شاملة سبذته وأطالت ليله .
والمخاطر - جعة تُسرع بها الحوادث .
والطموح - محمد حق ملك (العراق) .
ولن يقتصر على ما في يده إذا ما انتسح به الأول تطلعا إلى مُلْكٍ
أوسع (ولست بأثواب الدنيا ولايس)^(١) والآن - بقيت القوة للمهنة
على تنفيذ تلك الطامح مطلباً مرموقاً منه .
فهل يمكن أن يمينه أهل الشام بوضعهم أنفسهم رهن إرادته طاعة
مطلبة : ٤ ؟

إن هذا هو غاية ما يبتغاه ، ويتحرق إليه - فأتى به مشروعا يبتغوه :

إِنْ الشام أَعْطَتْ طَاعَةً

وَأِنْ يُجِيعُوا أَصْدَمَ « عَلِيًّا » .

إذن قد تقرر عزم « معاوية » على الحرب في سبيل ما يريد ولم يبق

غير الاستعداد لها .

(١) راجع لأبي خطبة معاوية السابقة لتصيدته هذه حيث يقول
(إن الله الحليم الكريم يا ابن تزغة طوعا ...)

ولكن - فهل يمكن أن توصله الطاعة على المطالبة بدم « عثمان »
إلى تثبيت ملكه على الشام مع إمكان امعادته إلى العراق - مُلْكًا
وليس مجرد ولاية تقتصر على الشام فقط ؟

إن الهامة على النصرة في المطالبة بدم « عثمان » نراها وهي تودك
أن تتخذ وسيلة لتثبيت ملك الشام أولاً ، وهي أيضاً محاولة لده إلى
أقصى مدى يمكن أن يمتد إليه ثانياً !!
(وما أأنا من ملك العراق بآيس) .

ويمارس المبعوث « جرير » ضغطه على « معاوية » حاثاً إياه أن
يبايع الخليفة « علي » ويُنهي النزاع فما يكون من « معاوية » وقد
استعصم الأمر بينه وبينه إلا أن يقول مقاوماً الضغط :
يا « جرير » إنها ليست بغلبة ، وإنه أمر لم يعبده ؛ فأبلغني ربي
حتى أنظر .

خُلُوة ومشورة

الموقف السياسي : ويخاطب « معاوية » بنقائه وقد دعاهم ليروا ممة
وأبهم في الغفلة من هذا التآزم الذي لا تلج خلاله بارقة انفراج .
فالضغط من أجل الهامة قائم ، والرسول يلج ، والموقف كالحلده .
« معاوية » :

• أكابده والسيف بيني وبينه •

وهنا ينهض بحق المشورة « عتبة بن أبي سفيان » فيقول :
« اجتمعن في هذا الأمر به « عمرو بن العاص »

وَأَمَّا هُوَ بِدِينِهِ فَإِنَّهُ مَنْ قَدْ عَرَفْتَ ، وَقَدْ اعْتَزَلَ أَمْرًا « حَيَّانًا » فِي حَيَاتِهِ ، وَهُوَ أَشَدَّ اعْتِزَالًا إِلَّا أَنْ يُشَمَّنَ لَهُ دِينُهُ »^(١)

وهذا يكون « عتية » قد أدخل في النزاع شخصية جديدة حاول بها التقوية لموقف « معاوية » هي شخصية « عمرو بن العاص » ويبدو أن « عمرو » قد تأكد العلم به لديهم أنه الداعية واسع الحيلة ، والطويل الباع في الناس الحلول خلاصاً من عصي المآزق - وعلى الأخص إذا ما كان للشورة عطاء يرجحها وزناً في عالم التقييم للأمور المعاصرة في سياسة وكياسة تدل على المروق ينشر من أضيئ الزائغ ، وأشدّها استقصاء على المروق.

إنه الدماء يدعم الدماء في مجال السياسة من بعد أن حزب الأمر ، وأصبح دماء « معاوية » وحده غير مجزئ أو كفيلاً بعميق حل يناسب مصالحه وقد ضاق عليه الخناق ، وانقضت حاجته إلى مساندة دماء آخر له بعينه وقت الضائقة

لما - رأينا « معاوية » وقد نزلت به مشورة « عتية » ممثلة فتممها جديداً لباب أمل يؤتق به في إمكان تخليصه من هذا الموقف الخطير الذي حال بينه وبين الابتلاع لريقه .

(١) إعتياداً على النص الذي ورد في نهج البلاغة لابن أبي الحديد ..

استقدام عمرو ،

الموقف السياسي : - ويكتب « معاوية » إلى « عمرو » بفلسطين طالباً منه القدوم - . ملخصاً له الموقف فيقول :

أما بعد - فإنه كان من أمر « علي » و « طلحة » و « الزبير » ما قد بَلَغَكَ ، وقد سَطَّ إلينا « مروان بن الحكم » في رافضة أهل (البصرة) وقَلِمَ علينا « جرير بن عبد الله » في بيعة « علي » وقد حَبَسْتُ نفسى عليك حتى تأتيني أَقْبِلْ إذا رَكِبَكَ أَمْرًا .

التعليق :

المضمون والسمات : والرسالة بالغة القوة في التأثير من أجل الخث

لـ « عمرو » على ضرورة القدوم .

(أ) وذلك - لما أورده آكدنا من أنه لن يُبْرِمَ أَمْرًا نيا عرضه عليه من رؤوس موضوعات خطيرة تنغلظ قدومه ، ومشاورته نيا ينبغي انتهاجه إزاءها (وقد حَبَسْتُ نفسى عليك حتى تأتيني)

(ب) وقد أكد ضرورة قدومه بصريح اللفظ بعد ذلك (أَقْبِلْ) حتى لا يترك مجالاً له لأى تراخ يمرض له بدعوه إلى البطء في القدوم .
(ج) وإمعانا في التشجيع على القدوم نراه يُلَمِّحُ له بأن هناك أَمْرًا يستدعى تعامدهما فيه .

وقد أظهره في ممرض الأهمية الخاصة أكثر ما طرحه سابقا من مشكلات تستدعى قدومه ومشاورته فيه لقرط خصوصيته بهما .
إنه أسلوب التعامل بين القادة يحكمون صياغته ، ويحيلون القهم .
للدولة لحا دون حاجة إلى مزيد تسكيف أو توضيح .

« عمرو » يستشير ولديه

الموقف السياسي : وتقرأ رسالة « معاوية » على « عمرو » فيعرض الأمر على ولديه « عبد الله » و « محمد » مستشيراً طالبا رأيهما ، فيبادر ابنه « عبد الله » قائلا :

عبد الله : أرى أن نبي الله ﷺ قبض وهو منك راضٍ والخليفتان من بعده ، وقتل « عثمان » وأنت عنه غائب — فترو في منزلك فلكنت جعولا خليفة ، ولا تريد أن تكون حاشية لـ « معاوية » على دنيا قليلة أوشك أن تهلك نفسك فيها .

محمد : أرى أنك شيخ قريش وصاحب أمرها - وإن تصرم هذا الأمر وأنت فيه خامل تصاغر أمرك ، فالنصح بجماعة أهل (الشام) فكن يداً من أياديها ، واطلب بدم « عثمان » فإنك قد استنمت فيه إلى بني أمية . ويقم الأب رأى الولدين فيقول :

عمرو : أما أنت يا « عبد الله » فأمرتني بما هو خير لي في دنياي ، وأما أنت يا « محمد » فأمرتني بما هو خير لي في دنياي ، وأنا ناظر فيه . لقد ترك الولدان أباهما في معترك من الأمر يقتنازعه . خير إن^(١) طبقا لفضيحه : خير الدين ، وخير الدنيا . فياترى أي أطيرين سيغلبه ؟ وإلى أي اتجاه سوف يميل ؟

لقد ذكر الأب أنه بما له من فاقب فسكر سوف يظفر مقيماً ، وحل

(١) توصيف « عمرو » للرأيين المتعارضين باعتبار أن في كل منهما كسبا .
أخرويا أو دنيويا ، ولم يعش إلا أن ينمت كسب الدنيا إلا بأنه خير

هدى النظر والتقييم سينتار الاتجاه الذى سيسلكه ، ويبدو أن التعويض والشد والجذب بين اتجاهين متعارضين قد بلغا مظهرهما بـ « عمرو » ولم يكن في إمكانه سرعة الحسم في الاختيار لما يقترب عليه من خطر النتائج .
١ - إنه الذين بكل ما فيه من رضى - مع استعالة تسنمه اخلافة -
أو الرضى به خليفة (رأى عبد الله)

٢ - وإنما الدنيا بكل ما فيها من مغريات - أخصها نيا يتعلق بالمرضى حرصه على أن يبتى فيها مسوع الكفة مشاركا في عظام الأمور فتوة موروثه في الدم العربي تحول بينه وبين خول الذكر والحال أنه شيخ قرش ، ومشورة « عمرو » لا ينفذ على الرغم مما عرف به من دعاء يمكنه من مجابهة الأحداث وحده يمثل : الميراث الذى سيقركه لهم من يده - فلما نهاه وعلو شأن ، وإما انهيار وضياح منزلة بين العرب .
والأب يريد أن يحيل إلى ما يختاره الولدان مبرأنا تجنبا من تصرف

والدعا وقد عرض عليه الإسهام في تقرير مصير الأمة ١١
ولما كان اختيار الوكيلين معوازنا في تناوضه رأينا « عمرو » متحيزا - وما أن يوانيه الليل - حتى تلهب مشاعره بفعل ما فاجأه من عروض مبدوة ومسئوليات مُنتظرة واختيارات يجب أن نحسم بالقصل فيها ، فقرأه وقد وقع تحت هذه الضغوط يرفع صوته منشدا بسمع من أهل فيقول :^(١)
تداول ليلى لهجوم الطوارق و « خول »^(٢) التي تحلوجوه للمواق.

(١) وقمة (صفيق) ص ٢٥ (٢) ترخيم (خولة) ورد في غير النداه

وإن « ابن حنبل » سأل أن أذوره
أثناء « جرير » من « على » يخطئه
فإن نال متى ما يؤمل رده
فوالله ما أدرى وما كنت هكذا
أخادمه ! ! إن الخداع ذنبه
أو أقمد في يتي وفي ذلك راحة
وقد قال « عبد الله » قولا تملكت
وخالفه فيه أخوه « عماد »
وتلك التي فيها بركات البرائق (١)
أمرت عليه البهش ذات مصائق
وإن لم ينله ذل ذل المطائق (٢)
أكون، ومهما قادني فهو سابقي
أم أعطيه من نفسي نصيحة وأمن (٣)
لشيخ يخاف اللوث في كل شارقي
به النفس إن لم تمتقني عوائقي
وإن لصالب العود عند الحقائق (٤)

البيان الأدبي

تسيطر روح الخبرة على « عمرو » وهو يجتر حقائق الموقف وماتم فيه
من مشورة خاصته عليه يستبين له منه مخرجا آمنا بين عوامل الجذب .
لقد أحس ربح المشاركة في الأمر تهب عليه مواتية فهل يستجيب
لغير هبوطها أم يسير عكس ما تشتهي ؟
إنه يمد التقييم لحقيقة الموقف بالعرض لخطواته ويضع نتيجة كل
خطوة لإزادها إذا ما كانت خيرا أم شرا .
وبالجمع للنتائج النهائي يمكنه الحكم على المشروع قبل أن ينهجه بالربح
أو الخسارة .

إنها العقلية الدقيقة الواعية التي تقلد للرجل موقعها قبل الخطو ،

(١) الشرور (٢) ذل الأسير المقيد (٣) محب

(٤) فيما يتمين على الإنسان أن يحميه ، وينهض للدفاع عنه

وهذا النظر الذي يملق النتائج على الأسباب، ويربط الأسباب بالسيئات وربطاً حكيمياً لا يتقنه إلا الدهاة .

إنها العلاقة في سياسة الأمور ، وحسن التدبير لها بفكر مدرك لخفاياها وما يمكن أن يقع فيها مما يمكن حسابه ، ويدخل في الحساب والتقدير . وقدّر عمرو « أبعاد الموقف بما يلي :

١ - « معاوية » الآن في موقف صعب لا يدري له منه مخرجاً .

٢ - « معاوية » الآن في أشد الحاجة إلى لأخلصه من الرارة

التي يمانعها .

٣ - « معاوية » إن لم أعاونه ضاع مستقبله السياسي الذي يطمح إليه ؟ وذل ذل الأسرى .

٤ - الحيرة تمرى « عمرو » لأول مرة في حياته ، وتدهوه لأن

يوازن بين تصرفات ثلاثة ، وأيا منها يتخار :

(أ) الخادعة له « معاوية »

(ب) بذل النصح الضالين له

(ج) اعتزاله بمشاكله .

وقد أسقط الاعتبار الأول كعربي يرى في الخادعة دناءة لا يسوغ له

ارتكابها .

وقد رأى في الاعتزال راحة وتلك كانت تحليلاته الشخصية للموقف

فهر أنه انصطف في ختام نشيده إلى رأى ولديه وأبدي في كل رأى

وجهة نظره

فأثبت أن مشورة « عبيد الله » ^(١) عميل إليها نفسه ، ولكن الطريق إلى ذلك ليس سهلاً لهذا بسبب نوازع النفس .
وفي مشورة « عماد » دعوة للتقوى بالواجب عندما تستثير الأزمات الحادة العريضة ، وتقدمي التقوى عندما تُتمزج جوانب الشخصية ، وتوضع على الحكمة .

أما وقد صَحَّ هذه الآن أن أحداث الأمة قد دعت إلى أن يسهم بنصيبه - إذن - فإن ينبغي أو يعلو عن الخوض فيها مما تكن النتائج - حيث قد أكد أنه (سلب العود) إذا ما دعا الأمام - وقد حدث - فما عليه إلا أن يتسم ظهر الوجه ليكون في الصدرة من الأحداث لذا - ما يكاد ينطق الأب (عمرو) بالشطر الثاني من البيت الأخير حتى يقول ابنه « عبيد الله » (تَرَكَهُ الشَّيْخ) وقد كان ١١١ ؟

الرحيل إلى (معاوية)

للقوف السهاسي : وفي سبيل الاستعداد للرحيل ينادى « همروا » غلامه « وَرْدَان » وما زالت غلال الحيرة تنقل ، ولم يتخلص منها تماماً على الرغم من عزمه على المشاركة في الأمر - فندخل في نقاش حواري مع غلامه يكشف حقيقة اضطراب نفسه نتيجة لما هو مقدم عليه فيقول :
همرو : ارحل يا « وَرْدَان »
حطَّ يا « وَرْدَان »

(١) راجع مشورة (عمرو) لابنيه السابقة

ارحل يا « وردان »

احطط يا « وردان »

وردان : خلطت أها « عهد الله » أما إني إن شئت أنبأتك بما في نفسك
حمرو : هات ويحك !!

وردان : اعتركت الدنيا والآخرة على قلبك فقلت : « على » مع الآخرة
في غير دنيا ، وفي الآخرة عوض عن الدنيا ، و « معاوية » مع
الدنيا ينير آخرة ، وليس في الدنيا عوض من الآخرة ، فأنت
واقف بينهما^(١) .

حمرو : فإنك والله ما أخطأت — فأتري يا وردان ؟
وردان : أرى أن تعيم في بيتك — فإن ظهر أهل الدين عشت في
حقو دينهم ، وإن ظهر أهل الدنيا لم يستغنوا عنك .

حمرو : آلآن لما شهدت^(٢) العرب — مسيرى إلى « معاوية » .
ثم ارتحل « حمرو » وما زالت أصداء الأحداث تعقل في نفسه .
حقا — إنه بأفعاله يبين أنه قد صبح منه الزم على الدخول مُسْرِعاً في
هذا النزاع — ولكن آثار الصراع النفسي ، والشدة والجذب نحو اتجاه
معيّن وإن كانت قد هدأت غير أن ظلالها ما تزال تطفو ثم تنهب وهي
في دور المعوِّ والزال .

(١) دهاء من غلام « حمرو » يدل على إدراكه لمعيق ما يشتمل في نفس
سيده ، وربما الداهية كان لا يرتضى لنفسه أن يقوم على خدمته إلا من كان
على جانب من الدهاء — إنه الذكاء العربي الخارق .

(٢) لما استشهد العرب فيما بعد — أي حان وقت اشتهاى بينهم .

وخضوعاً لهذا العامل النفسى ترى «مروا» بنشد وهو مؤرجل =
 يَا قَاتِلَ اللَّهِ «وَرَدَانًا» وَقَسَدَ حَقِّهِ
 أَهْدَى لِمَرْكَمَا فِي النَّفْسِ «وَرَدَانُ»
 لما تعرضت الدنيا عرضت لها
 بحسن نفسى ، وفي الأطلح إدهان (١)
 نفسٌ قَفْءٌ ، وأخزى الحرم يظليها
 - والرءُ يأكلُ تهنأ وهو غَرْثَانُ (٢)

أما «على» فدينٌ ليس يشركه دنيا ، وذلك له دنيا ولسطان.
 فاخترت من طمعى دنيا على بصير ومامعى بالذى أخفأ برهان.
 إنى لأعرف ما فيها وأبصره وفى أيضاً لما أهواه ألوان
 لكن نفسى تهب الميش فشريف وليس يرضى بذلك الميش إنسان
 أمره لمر أبهم غير مشقبة والرء يقطس، والوشنان وشنان

• • •

البيان الأدبى .

(أ) التجميعات تعطىنا صورة واضحة للموازنة التى أجراها «مروا»
 لحقيقة الوضع لدى كل من «على» و «معاوية» والتى بناء على
 التقدير الدقيق لسكلا الموضوعين اختار لنفسه للكلان الأليق
 والأنسب، ثم أتبع ذلك السرد للمبررات التى أملت عليه الاختيار
 للموقف الذى ارتضاه .

(ب) ولما كان المير في اختياره لم يَدْ خائياً حتى على غلامه «وردان»
لما رأيناه يفتتح قصيدته بالنبي على غلامه لإدراكه حقيقة خبيثة
نفسه ، والتي لم تُعدْ تخفى على ذى بصر - ولربما كان الغلام على
جانب من الدهاء استشف به ما انتواء حيله ، وواجهه به .

(ج) الفتوة العربية ، بما لها من نخوة وضعت عند الشاعر بنهوضه وفاء
بحق اللباسة للدنيا لما تعرضت له ولم يُفلتها ، وكان في ذلك
مدفوعاً بدافع الحرص النفسى على احتفال الفرصة السانحة ، وكان
كفاءها في الوقوف حوث قاطبا بتعرض لها لما تعرضت له ، ولديه
من السكفاءة والشخصية والرونة ما يميته على حسن التعامل مع
الدنيا التي وافتة معترضة طريق حياته .

إنها الفرصة اللواتية ويجب أن يكون صاحبها - إنها الشهرة وذبوع
العيت وعدم خول الذكر بين العرب وهذا طبع أصيل متوارث
بحرصون عليه ، وينضم إلى هذا ما يؤمّه من دفء تقبل عليه هيئة
ليدة وخفية ، وأن يكون على حرف وجانب من الساطة ، و من الفاقة
والمكوز وتلك كانت مبررات انهمازه إلى « معاوية » من بعد أن
لم يرتض لنفسه غير أن يكون بمسمع من الدنيا ، وفي دخی الفيش
وقد رأى المعلى لا وزن لهم ، والجوى يشركون الحيوان مطعمه
دون مخرج تسوة الفقر عليهم .

(د) لقد انشطرت نفس الشاعر شطرين - غلب على أحدهما المقة وطن
الأخر الحرص ، وقد غلب الحرص المقة نتيجة لاصطراهما بما رأى
من الإنسان الآكل فرحاً للعين جوعاً !!

(٥) اختار الشاعر أن يَحُبَّ في الدنيا وهو مدرك تماماً لحقيقة الخطر
السكن في هذا الاتجاه ويبدو أنه كفء لما يَطْلُوى عليه بما توافر
لديه من ضروب الإمكانيات واللونة ألواناً ، فالذئع في طريقه
لا يلوى على شيء — معها للعيش بحيث يكون موضع الأهمية
والشرف في الحياة ، وما عاد في اختياره هذا خفاء أو لبث
على أحد .

حوار الدماء

للوقت السياسي : وهكذا — وفد « عمرو » على « معاوية » إثر
استدعائه منه ، والحال أنه قد عرف عِظَمَ حاجة « معاوية » إليه في
التدبير لأمر نزاعه مع « علي » .

وفد اتقوى « عمرو » في نفس الوقت أن يكون صاحب النصيب
معه فيما يصيبه من دنيا وفاء بحق للشورة المرموقة من بعد أن استقصى
الأمر تدبيراً على « معاوية » وحده وأشير عليه فضلاً بالاشتراك « عمرو »
في التدبير معه على أن يكون له وضعه .

وهكذا — قَدِمَ « عمرو » على « معاوية » وهو أعلم بمقدار أهميته
في هذه اللحظة عنده وما أن اجتمعا حتى بدأ الحوار بينهما طبقاً لأسلوب
الدماء بين داهيتين لم يعرف العرب لهما مثيلاً — حوار يدور حول الموضوع
ولم يس صلبه بعد !

ف « معاوية » لا يريد أن يكشف له « عمرو » كل أوراقه ،
ولا يطلعه على ما في دخيلته مما يهره في أعماقه تحمراً منه .

و « عمرو » أدرك حاجة « معاوية » التقصوى إليه فأخذ بها هذه من خفيه وأخذاً يتصاوران بأسلوب يتداهى فيه كل منهما على الآخر ، ويسكايد كل منهما لصاحبه - بادئاً بالحوار « معاوية » .
معاوية : يا « أبا عبد الله » كثر قتنا في ليلتنا هذه ثلاثة أخبار ليس منها وِزْدٌ ولا حَكْرٌ .

عمرو : وما ذاك ؟

معاوية : ذاك أن « محمد بن حنيفة » قد كسر سجن (مصر) فخرج هو وأصحابه ، وهو من أفات هذا القرن .
 ومنها : أن « قيسر » زحف بجحاة الروم إلى لينتلب على (الشام) .
 ومنها : أن « عليا » نزل (السكوفة) متحيتاً لسمه إلينا .
 عمرو : ليس كل ما ذكرت عظيماً .

أما « ابن جذيفة » فما يتماثلك من وجل خرج في أشباهه أن تيمت إليه خيلاً تقفه أو تأتيك به وإن فاكك لا يضرُك .
 وأما « قيسر » فأهله من وصفاء الروم ووصائفها ، وآنية الذهب والفضة ، وسنة الموادة فإنه إليها سريع .
 وأما « علي » فلا والله يا « معاوية » ما نسوى العرب بينك وبينه في شيء من الأشياء ، وإن له في الحرب لحظاً ما هو لأحد من قریش ، وإنه اصحاب ما هو فيه إلا أن تغلظه .

ويلحظ في هذا التطلع من الحوار أن أسلوب الهداء قد حكم المحاورة بين الهاديين .

ويعتدنا إدراك ذلك من طريقة المرض التي سلكها « معاوية »
في طرحه للموضوعات التي من أجلها استقدم « عمرو » فقد بدأها بأمر
« حذيفة » ثم بأمر « قيسر » وكلا الأمرين لا يمثل بيت التصيد -
ولا صلب الموضوع .

وتقدمهما في المرض بحارة قصيد بها القوة على « عمرو » لإخفاء
المرض الحقيقي الذي من أجله استدعى على عجل ، ثم أتى بالأمر الثالث
وهو الأخطر ملفوفاً بالمطف على الآخرين ، ودون تقديم له عليها لعل
« عمرو » لا يقطن إلى أهميته ، فيبدي رأيه فيه دون أن يستغل حرج
موقف « معاوية » وتخوفه منه . وهذا أسلوب لا يجيده إلا الدهماء .

ولكن - هل غلب هذا « عمرو » وغلب دهاءه ؟

والواقع أن الجواب الحواري من « عمرو » على المشاكل الثلاثة
التي طرحها عليه « معاوية » يتم عن طول باع لم يظله على دهائه - حيث
تراه قد طرح عليه حلولاً في غاية السهولة والبساطة فيما يتعلق بأمر « حذيفة »
و « قيسر » يتخلص بها منهما .

وعندما يمرض لأمر « علي » تراه يحبب « معاوية » بصراحة
مؤداها أنه : لاحق له في الغلالة إلا أن يقلب عليها « عليا » ظمًا -
وذلك للاحتياطات التالية :

(أ) العرب لا تسوى إطلاقاً بين « علي » و « معاوية » في أي شيء -
وهذا اعتبار عام يُسقط حق الفضول « معاوية » في أن يلي أمر أمة
العرب في حال وجود من هو أفضل منه باتفاق عام - وهو « علي » -

(ب) «عل» موفق في الحرب توفيقاً لم يفتح لأحد من قريش . وهذا الاعتبار عام يستطع حق للفضول « معاوية » في أن يلى أمر أمة العرب في حال وجود من هو أفضل منه باتفاق عام - وهو « عل » .

(ب) «عل» موفق في الحرب توفيقاً لم يفتح لأحد من قريش وهذا الاعتبار حربى يقطع كل أمل لـ « معاوية » في التفكير في أن يحاول الغلبة من طريق الحرب .

(ج) «عل» هو صاحب الحق في الغلبة الموقوت لأمرها فضلاً - وقد طرح هذا في أسلوب بالغ التأكيد (لأنه لصاحب ما هو فيه) .

(د) إن يكون « معاوية » صاحب حق في الغلبة إلا من طريق الظالم لـ «عل» .

والجواب هذا : فيه التعرُّيد لـ « معاوية » من الصلاحيات التي تؤمنه الغلبة ، على الأمة في الوقت الذي يوجد فيه «عل» باتفاق العرب . وتسفك الغلبة فعلاً كحق ثبت له لا يسوغ أخذه منه إلا بطريق غير مشروع هو (الظالم) .

والجواب يكشف عن منتهى الدناءة من « عمرو » الأمر إلى دفعه إلى أن يلقى بكل ثقله على النزاع بين «عل» و « معاوية » ويظهره في صورة العقدة المستعصية التي لا يستطيع لها « معاوية » خلاصاً إلا من طريق التفكير في سبل التطبيق للاستثناء الأخير في جواب « عمرو » :

(إلا أن نظلمه) .

وهو استثناء يقوم مقام الظلم لـ « معاوية » قد يدفعه إلى أن يحاول

أن يستعين من « عمرو » خفايا السقنى إذا ما خغار ذلك الطريق «
ويكشف حقيقة مساك « معاوية » أمام « عمرو » على الأقل إذا ما صح
منه التعلق بالخلافة .

وهذا يفتح أمام « عمرو » باب المساومة لـ « معاوية » إذا ما طُلب
منه العون فى بلوغ الخلافة من بعد أن يكون قد وضح أنها لن تنال
إلا ظلماً - أما الحق فهو طبع بسلامتها لـ « على » .

وبهذا يكون قد قضى على كل أمل لـ « معاوية » فيما يطمح إليه «
ولم يُبقَ له إلا شاماً ضئيلاً يهتق به الاستثناء غير المشروع (الظلم) .
وهنا - لا يجد « معاوية » مفرّاً من أن يقع مما يخفى فى صورته
مخاوف من « على » فيقول :

معاوية : يا (أبا عبد الله) إني أدعوك إلى جهاد هذا الرجل الذى -
عصى ربه ، وقفل الخليفة ، وأظهر الفتنة ، وفرق الجماعة -
وقطع الرحم .

عمرو : إلى من ؟ .

معاوية : إلى جهاد « على » .

عمرو : والله يا « معاوية » ما أنت و « على » بِسَكْمِيْ بَير (١) مالك
هجرته ولا سايقته ، ولا صحبته ولا جهاده ولا يقفه وهامه .

(١) لستنا متساويان .

والله إن له مع ذلك حداً وجداً^(١) ، وحظاً وحظوة ، وبلاء من الله
حسناً ، فما تجمل لي إن شأبتك على حربيه - وأنت تعلم ما فيه من
الفرور والظلماء ؟ .

معاوية : حُكِّمَكَ .

عمرو : (مصر) حُتْمَةٌ !!

معاوية : (بمدسكنة مقصودة) يا (أبا عبد الله) إني أكره أن يصعدت
الحرب عنك أنك إنما دخلت في هذا الأمر لفرض الدنيا .
عمرو : دعني عنك .

معاوية : إني لو شئت أن أميتك وأخذمك لفعلت .

عمرو : لا - لعمر الله - ما من لي يُخَدِّعَ - لَأَنَا أَكْثَرُ من ذلك

معاوية : أَذْنُ مني بِرَأْسِكَ أَسَارُكَ .

ويهدنو منه « عمرو » لئساره فإذا به « معاوية » يعض أذنه
ويقول هذه خدمة^(٢) .

التعليق :

في هذا اللقطة من حوار التدهاي بين الداهيتين - نلاحظ « معاوية »
يتعامل على الإمام ، ويصميه بهم لم يقم عليها دليل بنية التأثير على
« عمرو » على يستميله إلى جانبه ، ويجنده لقتل الخليفة القائم بالأمر .
« على » - فالصبيان لله ، والقتل لـ « عثمان » وإشمال نار الفتنة ، والتفريق

(١) معناه ومشاطله .

(٢) معاينة من « معاوية » لـ « عمرو » لإقناعه أن بإمكانه أن يخدعه .

لأمر الجماعة ، والتفطيم للأرحام - كُلُّهَا تَهْمٌ يَكِيلُهَا الْوَالِي جُزْأً ،
وسدّها إلى انطليقة الإمام لتكون سبها ما قدح في صعه توليه للخلافة
الأمر للطمع من (معاوية) !!!

وقد نوع التهم ما بين عصيان إلى قتل إلى إشمال للبار إلى التفريق
ثم إلى التقطيع لأوامر القرايات !!!

وأتى بها مرتبة طهنا للضاورة المتعلقة بها - ففي حق الله (عصيان)
وفي حق انطليقة « عثمان » قتل ، وفي حق المجتمع ؛ إشمال لبار النفقة فيه ،
وتفريق لما يجمع من أمره ، وفي حق الأقارب تقطيع لما أمر الله به
أن يوصل - وكلها تهم دينية مباشرة أو دينية لإجماعية في آن
واحد .

والتنوع والترتيب للهم بهذه الطريقة التي مرّخت بها على « عمرو » -
قصد بها الإحاء لنفسيته - عليها تستند فخرة على الدين وجماعة الأمة
المهددة فيستميله ويكسبه إلى جانبه .

وهكذا - ترتفع حرارة الحوار والساومة ، ويتغلط فيها (معاوية)
الجِدُّ بالمائة تجميعاً للموقف في نظر « عمرو » وتلييناً له لمصرفه من جِدِّه
في أن (مصر طامة) ولينتفع منه بمشورته الناجمة دون أن يذله شيئاً
إن أمكن ، أو يذله عرضاً دون أن يكون ولاية ، أو ولاية أخرى
ليست هي مصر . كساومات يمكن أن يلجأ إليها « معاوية » .

الصفقة السياسية

للوقوف السهامي: وإلى هنا تكون الأمور قد انضمت تماماً في فكر
(عمرو) فيلتقي بمجده كله قائلاً:

عمرو: هل ترى في بينك أحد غيبي وغيرك؟

أى نحن على خفوة، والأمر بيننا في غاية السرية - بحيث لا يدرى
أحد عنه شيئاً، والخوار قد بلغ غايته بيننا، وأنت مازلت فيه تعامى،
وأنا جادٌ، ولى اشتراطاتى الخاصة التى تمثل الحد الأدنى الذى أقبل به
لأشركك تدير الأمور فى الأزمة التى تحيق بك، ويظهر أن فهم الأمور
بيننا، وننتقل من أسلوب التدهامى إلى الإيضاح

ولذلك شروطى التى أترضيتها لإبرام الصفقة - وأنشد قائلاً^(١):
(مماوى) لا أعطيك ديني ولم أنلْ بذلك دنيا، فانظرون كيف تضمنُ
فإن تمنطى (مصرأ) فأصبح بصفتي أخذت بها شيئاً بغيرُ وبقيس
وما الدين والدنيا سواء وإنى لأخذ ما تمنطى ورأسى مقنس
واسكنى أغفى الجنون وإنى لأخلق نفسى، والحادع يُغدع
وأعطيك أمراً فيه لملك قوة وإنى به إن زلت النمل أضرب^(٢)
وعننى (مصرأ) وليست برغبة وإنى هذا المدوع قدما لمولع
البيان الأدبى

القصيدة فى فكرتها الأساسية تعدد الشروط النهائية التى يقبل بها

(١) رقمه صفين ص ٢٩.

(٢) أدل غاية الإذلال وقد وردت (أصرح) فى رواية أخرى

« عمرو » للدخول والإسهام مع « معاوية » في أمر نزاعه مع « علي » :
لا بد من عطاء - يقابله عطاء يُعَدُّه أن يُعطى الولاية على (مصر) وفي
المقابل يبذل لـ « معاوية » خدماته الجليلة الخطيرة - السكانية بتصفوق
النفع له ، وإيقاع الضرر بمن يخافه أو يباديه .

إنها قضية الأخذ والعطاء في عالم إبرام الصفقات السياسية تتم بين
الدهاة في مجال السياسة وبشرطها وصورتها النهائية - فلما أن تُكْمَل
جدة أو تُرفض جلة .

وبقية للقطوعة تدور معانيها حول بيان غلاء الثمن الذي قدمه
« عمرو » ثمن الصفقة ، وقصور وتدنى الصفقة في نظره عن أن تعادل
مع هذا الثمن العالي النفيس شأن المساوئين الذين لا يُقبلون :

(أ) فالصفقة (مصر) في مقابل خبرات وإمكانات الداهية .

(ب) قانون تبادل النافع في حرف السياسة يقطع بأن من يقدم شيئاً
لا بد وأن يتقاضى عوضاً عنه - أيما كانت النافع وأيا كان الموضع (١)

(ج) في مجال الموضية عند تبادل النافع لا يمكن القول بالدهيا
عوضاً عن الدين - وتلك حقيقة - ولكنها أخضعت للمساومة لإتمام
الاتفاق لبيان أن « عمرو » قد ضعى بثمن ياهظ لا تعدله (مصر)
الصفقة لأن المقابل للبدول ضخم ، فالدين لا يسهل التفريط فيه .

(د) (أغضى الجفون) أعلم بمقدار غلاء الثمن الذي دفعته ، وأعلم بمقدار
عدم مصادة العوض لما دفعته - لذلك - أَرْضَى وأُثْمِنُون وأغضى عيني ..

وأعلم أى مغلوب - مخدوع فى هذا الاتفاق وعلى الرغم من ذلك
أرضى يا « معاوية » أن أكون معك المغلوب المتخدوع .
وهذه معان وأسايب لا يحسن جملتها إلا سادة الدعاء وأساطين
المساومة للإقناع بإتمام الاتفاقات السياسية التى يظهرون أنهم يقبلونها
على مضض - باعتبار أنهم خلدوا فيها قية وفى غمها قدراً ١١
(٥) أعطيك أمراً فيه لك قوة

ولأى به إن زلت النعل أصرع ^(١)

بهان لنلاء الثمن الباهظ المدفوع غمنا لإبرام الاتفاق ، وتأكيد لحق
إغضاء العين عن باهظ الثمن والتبول بالخداع فى عين الصفقة التى لاتساوى
جمل هذا الثمن ظاهراً ، لأن الثمن الذى أدفعه فى غاية الخطورة ، وعلى قدر
ما فيه من خطورة يمدحك قوة فى ذلك الذى تطمح إليه إليه (أمر)
والتفكير فيه يذهب بالنفس كل مذهب فى القوة للموحد لك « معاوية »
وأقصى درجات الخطورة لـ (عمرو) إذا ما فشل لأى سبب كان فى
إحكام هذا الأمر وإبرامه ، وإشمار بمدى الجهد المبذول فى الجدل
والتدبير .

ومثل هذا الأسلوب كفيل بإقناع « معاوية » بمقدار وفرة الربح
الذى ناله من « عمرو » وبمقدار الثمن الذى لحق به - « عمرو » فى هذه
الصفقة التى يساومان عليها .

(١) أقتل طبقاً للرواية الأخرى فى الضبط . أصرع ، أضرع

(و) يظهر «عرو» في البيت الأخير أنه شديد الحرص على أن تكون (مصر) الموصى له مهما كان الثمن الذي دفعه باعظا :

١ - فهو أدري بها لفتحه إياها عام ١٩ هـ في خلافة « مصر »

٢ - وهو الأدري بمقدار عظمتها وجلالها في نفسه .

٣ - وهو الأعم والأدري بما فيها من سمة تجعله يحرص على النقل لها مهما كان الثمن في ثمنها .

(ز) وقد جاء البيت الأخير مرتبطا بمعنى البيت الأول فالتأكيدات القاطمة بشدة تملق «عرو» بـ (مصر) :

• إلى هذا المتنوع قدما لمولع •

تدمو «معاوية» يستفيق ويدرك ويتدبر معنى الجملة الأخيرة في البيت الأول :

• فانظرون كيف تصنع ؟ •

وبالربط بين مجز التصيدة وسدورها يصبح النسي كما يلي :

أنا مولع وحريص على تولي (مصر) فانظرون ماذا تصنع ؟

ويمكن بلورة السأمة على الصفة في المعاني السائلة وبطريقة أخرى بالآتي :

إما (مصر) وإلا فلا تنظر مني أي عون

مزيد من المساومة

الوقف السياسي : وبهذا وضع لـ « معاوية » تصميم « عمرو » على تقاضى (مصر) عوضا عن المخاطرة التى سيدخل معه فيها فى هذا الأمر !!

ويبدو أن حبل الصبر على المساومة لم ينقطع بـ « معاوية » فإزال يستكثر (مصر) على « عمرو » كمؤس عن إسهامه معه فى أمر النزاع .
فيقول :

معاوية : « أبا عبد الله » ألم تعلم أن (مصرا) مثل (العراق) ؟
عمرو : بلى — ولكنها إنما تكون لى إذا كانت لك ، وإنما تكون لك إذا غلبت « عليا » على العراق .

لقد حاول « معاوية » أن يجعل من العراق صفقة بدلا من مصر ، فاستدرك عليه « عمرو » بأن العراق مملوكة لنفرك ، وإن يمكنك التناقد عليها كصفقة إلا إذا كانت خالصة لك .

والدلائل المستقاة من الميثاق فى المساومة ، والتداعى القائم بين الداهيتين يريده « معاوية » محاولة اغتداع لـ (عمرو) بتخليته بأمل الولاية للعراق عندما تطيب له — حتى إذا ما كانت له دخل بخصوصها فى مفاوضات سياسية جديدة من بعد أن تكون الظروف قد تغيرت ، وتمت لـ (معاوية) السلطة والتحكم .

وهنا يكون فى موقف أقوى يمكنه من فرض أى مقابل رضى به

« عمرو » والحال أنه قد أصبح في وضع لا يملك فيه حق الاعتراض .

إذا — كان « عمرو » ذكياً فطنا لما يُراد به .

في الوقت الذي قبل فيه بالمائة في التقييم بين العراق ومصر — نراه يسرع بالاستعداد لحل « معاوية » ألا يحمل مما لا يملك مَوْضِعاً ، أو حوضاً للمفاوض ، أو صفقة يمكن أن يُبرم بخصوصها أى اتفاق ! (١٦) وهكذا — طالت المفاوضات ، ووضع العسر في المساومة السياسية دون أن يسجل الموقف من اتفاق يُعنى ذلك الاجتماع الخطير بين الدعامتين — حيث لم يَنْلَب دهاء أحدهما ، مالا آخر من دهاء .

وهذا يظل « معاوية » في موضع الخطر بين إلحاح طر جبريل (١٧) وعدم وضوح عمرو : بقبوله لمروض « معاوية » وكأنما أحس « عتبة » حفت المساومة وعنف التدهام بين الرجلين ، وعدم إمكان تعليل أحدهما للآخر بسهولة ويسر في المفاوضات القائمة بينهما .

وهنا يتدخل للمرة الثانية وفي اللحظة المناسبة وكأنه كان يتسمع إلى ما يجري بين الرجلين فيتوجه بالحدث إلى « معاوية » قائلاً :

عتبة : أما ترضى أن تشتري « عمرو » بـ (مصر)

إن هي صفت لك ؟ فليتك لا تُقَلَّب على (الشام) ١١

معاوية : (موجهاً الحديث إلى عتبة)

يا عتبة ! بت عندنا الآية

(١) فقد بعث أهل العراق بطاعتهم إلى « علي » . (٢) رسول « علي » .

وكأنما قد أحس « معاوية » صواب رأى « عتبة » في الاحتفاظ
 بالحاجة فراجع نفسه سريعاً من بعد أن تبين له أن ما بيده (الشام)
 حُرصة للضياع - مما دعاه إلى عرض البقاء عليه وربما تنقضى السويحات
 المرجحة القادمة في مفاوضاته القاسية بينه وبين « عمرو » وليدهم رأيه
 برأى انضمت سلامته قبله عنده ، وكأنما « معاوية » في حاجة إلى تأييد
 خسكري يقويه على مجابهة « عمرو » الطويل الباع . ويقبل « عتبة » مرض
 الميت ، وكأنما أحس هو الآخر مساس حاجة « معاوية » إلى رأيه
 النير عندما تغارم مجربات النقاش بين المتفاوضين المتعدين .

ومن هذا المطلق والإحساس نرى « عتبة » عندما جنت الليل تضطرم
 أحاسيسه فينفس من نفسه بقصيد يضمته خلاصة وجهة نظره في تلك
 المفاوضات المتمرة فينشد بحيث يسمعه « معاوية » فيقول : ^(١)

أيها السائغ سيفاً لم يُهزَّ	إنما ملّت على خزٍّ وقزٍّ
أعط (عمرواً) إن (عمرواً) تاركٌ	دينه اليوم لديها لم يحزَّ
والك الخيل فخذ من دره	شعبة الأولى ، وأهد ما غرز
واسحب الدليل وبادر فوقها ^(٢)	وانتهزها إن (عمرواً) ينتهز
أعطه (مصرأ) وزده مثلياً	إنما (مصر) لمن هزَّ وبز
واترك الخرص عليها ضلة	واشبه النار لقرور يكرز ^(٣)
إن (مصرأ) - (على) أولنا	يطلب اليوم عليها من هجز

(١) وقعة صفين ص ٣٩

(٢) الطريق الأول

(٣) داه يصيب الجسم برعدة نتيجة لضربة البرد

البيان الأدبي

الفكرة في القصيدة تدور حول بيان مدى السكسب الذى سيعمره « معاوية » بإبرامه الصفقة السياسية طبقاً للشروط التى يشترطها « عمرو » ولما كانت القصيدة فى أصلها موجهة فى خطابها ومضمونها إلى « معاوية » إذن - هى إقناع له بإتخاذ الصفقة بناء على ما اتضح فيها من وفير الربح السياسى لـ « معاوية » الذى اتضح له أنه معرض لضجاع ما فى يده أيضاً . فلماذا لا يسرع بإعطاء « عمرو » ما يريد (مصر) ويضمن لنفسه التثبيت على (الشام) على أقل تقدير مع انفساح الأمل فى الطموح للمقد . ليستغرق سائر بقاع الدولة العربية باغلافة ؟ !

لذا - لرى الشاعر « حبة » يلج على « معاوية » بالمسارعة فى إعطاء « عمرو » ما يريد دون أى تأخير للاعتبارات التالية :

(أ) إن « عمرو » بإبرامه الصفقة يكون قد زایل ما يعتقد أنه حق فى مقابل هناك إلاءة بدنيا لم تحرزها بعد .

(ب) إن « عمرو » مقروم به (مصر) فاعتبل الفرصة ولا تفلتها ، وأعطها له ، فلن يجديك شيء أن تكون لك (مصر) ثم ينهلك « على » فتخرج من (مصر) وغيرها .

(جـ) (أعطه) و (زده) و (اترك الحرص) أعمال طلبية تنهض معنى ضرورة إناقة « عمرو » ما يريد (مصر) والزيادة عليها بثمنها ، إن أمكن - (مصر) لا تقوم بما تريهيه ، فالصفقة ونيرة الربح والمطام لك فأبرمها ولا ترضَ بمصر .

وقد أظهرت الأيام صواب الرأي الاستشاري الذي أهداه «عقبة»
فقد كان له من الحس الشعوري ما مكّنه من البصر المتمدّد عبر ترقّعات
أحداث المستقبل ، وكان له من قوة الإقناع والحصافة ما جعل «مماوية»
يستجيب لأبيه ويؤمّر الأمر وفق ما اشترطه «عمر»

(د) «عمر» سيف لم يهز بعد - يمكن استدراك حكمه المؤقّت ،
والصبر على ما لديه من درء يمكن الوصول إليه آجلاً - فمهماً انتهز ما واثق
والنظر الباقى بأثباتك في حينه وهذه هجوى إلى أهوال ما سفتح مادام
قد واثق .

(هـ) إنما (مصر) لمن عزّ وز

يغلب اليوم عليها من عجز

قضية سياسية أثارها «عقبة» في مناسبة تتعلق بتحديد المستقبل
السياسي لمصر في تلك الآونة المضطربة من تاريخ الأمة الإسلامية ،
فقد جمها خاصة على سبيل القصر بمن عزّ وغلب ، بالتالي استشفافاً من
روح القصر في (إنما) هي منزوعة من عجز عن الحفاظ عليها .

وإذا كان الشاعر قد أظهر (مصر) أنها ملك لمن غلب في فترة
استعصم فيها النزاع بين الظليفة والوالى فإنه لا يعنى بالطبع استنامة
أهل (مصر) لحاكم غلب غيره عليها .

إنه انفعال شعوري كشف عن وجهة نظر سياسية فيما يتعلق بحكم
(مصر) في فترة معينة .

والانفعال الشعوري لا يمثل حكماً مائلاً يمكن أن ينسحب على تاريخ

أمة عبر امتداد وجودها للتطاول ، وخاصة أن نظام الحكم في تلك الفترة قائم على البيعة العامة المباشرة فقط .

ويمكن أن يلحق هذا الأفعال بقوله للمبني عن (مصر) أيضاً -
يمبرنيها من وجهة نظره في ممارسات الحكم القائم وقته ، وقد حذّر بقوله :
لقد نامت نواظير (مصر) عن ثعالبها

وقد بَشِنَ وما تَقَنَّى العنَّاقيدُ

وعلى الرغم من أن لكل زمن مثالبه المتناهية لفرض للاختلاس والاختلاس ، ولكل زمن أيضاً حراسه الثائرون بكمّاً أو إجمالاً -
غير أن مثل هذا حكم وقتي ليس له من روح الاستدامة إلا قدر
الفترة الزمنية التي يستغرقها فوران الشهور !!!

إبرام الاتفاق

وتنقل قصيدة « عتبة » فطما في نفس « معاوية » وتحدث تأثيرها للرجاء ببلوغها قمة الإقناع - فما يكون من « معاوية » إلا أن يبعث إلى « عمرو » ويحبيه إلى ما يريد من ولاية (مصر) ويكتفي بذلك وثيقة اتفاق يثبتان فيها أسس ذلك الاتفاق الذي تم بينهما ، وقد أسمى « معاوية » الاتفاقية بجملة : « على أن لا ينتقض شرط طاعة » ، دهاء منه ، وبراعة سياسية في إثبات تلك الجملة .

وذلك - ليتيح لنفسه طبقاً لمفهومها أن يحرم « عمرو » في المستقبل من الولاية على (مصر) من بعد أن يكون قد أقره في نصّه

الاتفاق بأن يطيعه طاعة مطلقة غير مشروطة بأي شيء عند تفسير الاتفاقية وقت التنفيذ ليهودها إذا ماتم الأمره .

ويدرك « عمرو » ما يراد به بسبب تلك الجملة ، من أنها تنطوي على تبييت ضده يحمل معنى الحرمان له من المقابل المتفق عليه (ولاية مصر) لإلزامه الطاعة غير للشروطة ، وموجب الإطاعة للطاعة يوجب الإلناء لأي شرط يسترض طريقها ١١

وما يكون من « عمرو » إلا أن يثبت هو الآخر جملة بوحى مضمونها بإقرار « مماوية » بأن طاعة « عمرو » له لا تنقض ما اشترطه عليه من ولايته على مصر ^(١) (على ألا تنقض طاعته شرطاً) .

إنه التدهاى فى الغفوضى ، والبراهة الفكرية العربية فى فهم دقائق الأسلوب ، والتدرة الفاشقة على صوغ الأساليب ذات الدلالات الخفية والحققة والرد عليها بصياغة أخرى تلقى أثرها ، والحقكة السياسية فى طريقة إبرام الاتفاقيات والمعاهدات بحيث يلبس الحرف فى الكلمة ، أو أداة التعريف بزيادة أو بنقص وكذا بتقديم أو تأخير لفظ دوراً خطيراً فى إقرار السلم أو إشعال نار الحرب نتيجة للتفسير الذى يمكن أن يتناوله صوغ الأسلوب بطريقة مموهة ^(٢) .

(١) انظر شرح ابن أبى الحديد ج ١ ص ١٣٨

(٢) مثال هذا قرار مجلس الأمن فى مشكلة الشرق الأوسط : الجلاء عن أرض بالتسكير وقد اعتبرت إسرائيل أن لفظ أرض المنسكرة لا يلزمها الجلاء عن كل الأرض العربية المحتلة .

وفي جملة كل من « معاوية » و « عمرو » :

على ألا ينقض شرط طاعة « معاوية »

على ألا تنقض طاعة شرطاً « عمرو »

استخدم أسلوب التقديم والتأخير لفظ واحد في كل من الجملتين.
بذلك وبإزالة من المتفاوضين ليحصل كل منهما الأمر في صالحه بناء على
الدلالة للفقهاء من أسلوب الصوغ .

فتقديم لفظ (شرط) على (طاعة) يخدم « معاوية »

وتقديم لفظ (طاعة) على (شرط) يخدم « عمرو »

وإذا كان قد أثبت « معاوية » جلسته للصائغة على طريقته الخاصة
ليكون التفسير في صالحه مستقبلاً ؛ فقد قاله « عمرو » برؤية تكافئ قطع
الطريق على ما انتواه « معاوية » بحجابه حيث يثبت له طاعة لا تندرج
في الإقرار بصحة شرطه للشروط (ولاية مصر) .

هذا — واللغة المطواعة في تركيبها الأسلوبى أتاحت لكل منهما
الفرصة ليتلاعب بالألفاظ ما بين تقديم وتأخير بطريقة تكفل لكل
تحقيق مآربه .

اللوم له « عمرو » .

الموقف السياسى : ويخرج « عمرو » من عند « معاوية » بعد
إبرام الاتفاق مسروراً وهو يحمل صورة الاتفاق للبرم ، ويذهب إلى
حيث يقول ، وهناك يلتقى بأبن عمه ^(١) كان ضمن الوفد للرافقة ويلحظ
(١) من (بن سهم) وكان دامية أرياء هو الآخر .

البشر على وجه «عمر» فيذكر أن الاتفاق قد تم طبقاً لما بينه، فيتوجه
إليه يسؤال اللام للعجب قائلاً: ابن المم : ألا تخبرني يا «عمر»
جأى رأى تعيش في قرين؟

أعطيت دينك، ومُنيتَ دنيا غيرك ۱۱

أترى أهل (مصر) وم قتل « عثان » يدفعونها إلى « معاوية »
و. « على » حى ؟

وتراها إن صارت إلى « معاوية » لا يأخذها بالحرف الذى قدمه
فى السكاب ؟

ويقدم بذلك التقدير لحرف الجر (على) المستخدم فى عبارة «معاوية»
الشهيرة السابقة : على ألا ينقض شرط طاعة .

والواقع أن (ابن المم) هذا قد أخرج « عمرو » غاية الإحراج
و أدخله فى دائرة اللوم والفتريخ .

(أ) فقد لامه على خسارته (دينه) فى سبيل التعلق بأمنية لم يعطها،
واستملوكة لمن وعده بها حتى يضمن الوفاء بالموضع عند تحقق الوعد.
ولهذا - لم تمد له مقدرة . على مواجهة قرشى بعد ضياعه المزرى الذى
اوتىكه ۱۱

(ب) ويزيد (ابن المم) الضغط على « عمرو » ويثبت فى عضده
أكثر - إيماناً منه فى اطلاعه على مدى الخسارة التى لحقت به -
حيث أنهم أن الأمور لو صدقت فى حديثها وتولى الأمر « معاوية »
فقد استولب منه ما كان قد وعده به بسبب حرف الجر (على)

للإلتصاف به تقديمًا في التعبير فأضاع عليه (مصر) الطعمة .
وبهذا يكون قد أظهره بأنه قد خسر كلا من الدين والدنيا —
وعلى هذا استحق اللامة ! !

إنه أسلوب التقرير والوم الذي يدعو إلى مراجعة النفس لتتدارك
أثر عاسبة دقيقة مسببات اللامة فتتلافها قبل فوات الأوان ، ومُحِلَّة
عملها الإقناع بما يصرف النظر عن موجبات الوم .
ولم يملك « عمرو » أمام هذه المجابهة الصريحة بالوم سوى أن
يحيب (ابن عمه) بقوله :

عمرو : إن الأمر لله دون « علي » و « معاوية »

وهنا يدرك (ابن العم) أن أسلوب اللامة لم يحدث أثره
في الإقناع لـ « عمرو » بالتراجع عن الاتفاق الذي يمتد أن
« معاوية » قد خدعه فيه ، والذي لم يتقاض فيه موصاف الوقت
الذي نال فيه « معاوية » منه كل شيء .

وكأنما قد مزَّ على (ابن العم) أن يرى « عمروا » هو المخدوع
الغاسر في هذا الموقف ؛ فهاهنا جئت أحاسيه ، واندفع بكل ما فيه من
غيرة وحاس يشد ناعياً على « عمرو » خديته وسوء تصرفه وهو المعروف
بأنه الداهية الأريب — فقال :^(١)

أَلَا يَاهِنْدُ أُخْتُ بَنِي زِيَادٍ دَعَى « عمرو » بداهية البلاد

وي « عمرو » بأحور مَبْشَى (١) بعيد التَّعَرُّ غَشَى السَّكَاةِ
 له خَدَعٌ بِحَارُ الْمُقْلُ فِيهَا مَزْخَرَةٌ مَوَائِدُ لِقَوَادِ
 فَشَرَطَ فِي السَّكَاةِ عَلَيْهِ حَرْفًا يناديه بِمَدْمَعَةٍ لِلْعَادِي
 وَأُنْبِتَ مِثْلَهُ « عمرو » عليه كِلَا لِلرَّأَيْنِ حِمَّةً يَطْرُقُ وَادِ
 أَلَا يَا عَمْرُو مَا أَحْرَزْتَ مِصْرًا وَمَا مِلْتَ الْغَدَاةَ إِلَى الرِّشَادِ
 وَبَيْتَ الدِّينِ بِالْذُّنُوبِ خَسَارًا فَأَمَتْ بِذَلِكَ مِنْ شَرِّ الْعِبَادِ
 فَلَوْ كُنْتَ الْغَدَاةَ أَخَذْتَ (مِصْرًا) وَلَكِنْ دُونَهَا خَرَطْتَ الْفَقَادِ
 وَنَدَّتْ إِلَى وَمَعَاوِيَةَ بْنِ حَرْبٍ فَكُنْتَ بِهَا كَوَافِدُ قَوْمٍ عَادِ
 وَأَعْطَيْتَ الَّذِي أَعْطَيْتَ مِنْهُ بِطَرَسٍ فِيهِ نَضِيجٌ مِنْ مِدَادِ
 أَلَمْ تَعْرِفْ أَيْهَا حَسَنُ (٢) عَلِيًّا (٣) وَمَا نَالَتْ بِدَاهٍ مِنَ الْأَعَادِي؟
 عَدَلَتْ بِهِ « معاوية » بْنُ حَرْبٍ فَيَا هُمْدُ الْبَيَاضِ مِنَ السَّوَادِ
 وَيَا هُمْدُ الْأَصَابِعِ مِنَ السَّهْلِ وَيَا هُمْدُ الصَّلَاحِ مِنَ الْفَسَادِ
 أَنَا مَنْ أَنْ تَرَاهُ عَلَى خَدَبٍ (٤) يَحْتَاطِلُ بِالْأَسْلِ الْخَدَادِ
 ينادي بِالنِّزَالِ وَأَنْتَ مِنْهُ بِمِيدٍ فَانْظُرْ مَنْ ذَا تُمَادِي؟

البيان الأدبي

القصيدة : تقيم كامل لتناج لقاء الغداهي وللفاوضات التي تمت بين
 كل من « معاوية » و « عمرو » وتذكير لـ « عمرو » بمقدار انحطوره
 الحربية التي لـ « علي » في مقام المقارنة بينه وبين « معاوية » .

ومشاعر الشاعر (ابن عم « عمرو ») قد عبرت بوضوح ظاهر عما يلي :

١ - وقوع « عمرو » فريسة لـ « معاوية » أدهى العرب (فأك عبده شمس) لم خطرهم الذي لا يتكر بين العرب ، و « معاوية » من بينهم وقد تجمع فيه كل الخطر لأمور
(أ) مكره ودعاؤه الهذيان لا يدرك لهما بهد ونهاية .

(ب) مكايده التي لا يؤمن جانبها - لأنها عين الشر .

(ج) خدعه التي تحار العقول في إدراكها ، والتي هي في نفس الوقت شرك أسيرة قائله على الرغم من بدوها في ظاهرها مغرية بالفكر المصيد .

٢ - إثبات العكافؤ بين الداهيتين - وإن كان قد مال إلى تقرير أن « معاوية » هو الأدهى بما نسبته إليه من أنه (داهية البلاد)^(١) من بعد أن أعطى كلا منهما حقه في الداهاء بما أضفاه عليهما من أن كليهما (حية بطن واد) .

٣ - تبرير الشاعر لحكمه بتولية « معاوية » لـ « عمر » داهاء بأن « عمروا » لم يستطع أن ينال رغبته منه (مصر) بالحرف الذي شرطه عليه في الاتفاقية^(٢) .

٤ - يبين الشاعر أن « عمروا » كان الخاسر في تلك الاتفاقية لأنه قد باع الحق المقعد وبناءً بدنيا لم ينل منها شيئاً في المقابل - وقد أصبح

(١) راجع لص القصيدة

(٢) بنصه على ألا ينقض شرط طاعة

بهذا (من شر المباد) لفضيحه أهم ما يحرص الإنسان عليه وهذا يكون قد أخرج نفسه من عداد خيار الناس، ووضعها بين شرارهم .
 ٥ - عرض الشاعر لقضية أهمية (معر) في كيان الدولة العربية الإسلامية - فذكر أن الولاية عليها ليست أمرا هيناً أو ميسوراً وإنما دون التولى عليها قطع الرقاب .
 هذا - و « معاوية » ليس بالرجل الغامل الذي لا يدرك تلك الأهمية فيسلمها إليه بسهولة ويسر .

٦ - دال الشاعر على أن « عمرو » قد خرج من الاتفاقية خاوي الوفاض - فهو :

(أ) (كروا قد قوم عاد) الذي لم يخرج من قومه بطائل .
 (ب) والموض الوحيد الذي حصل عليه لا يبدو أن يكون وريثة محبرة لا وزن لها ولا قيمة في عالم اللهادلات والأخذ والمطاء عند إبرام الصفقات السياسية .

قد خرج صفر اليدين من بعد أن أعطى كل شيء .
 ٧ - يستنكر الشاعر على « عمرو » إجماله بتدبير الخطورة الحربية التي يميز بها « على » من بعد أن انزل إلى هوة التدبير لهذا الاتفاق الذي دعا جرأ إلى حرب وقال - فلفت نظره بسكياسة إلى تلك الخطورة التي يمرض نفسه لها بطرحه للتاريخ الحربي الذي يشهد له « على » بانتصاراته على من يماديه .

٨ - وفي استفهام إنكاري يبين الشاعر له « عمرو » خطأه في الموازنة والتقييم بين كل من « على » و « معاوية »

فن بعد أن يظهر له الفرق الشاسع بينهما ، والتباعد المتخالف إلى حد التضاد نراه يدمى عليه انعدام توفيقه ، وسوء اختياره بميله إلى « معاوية » وإيماله صاحب الحق البين والكفاءة الحربية المفازة « على »
٩ — يلتفت الشاعر نظر « عمرو » إلى أن « حليا » ينبغي أن يحسب لعداوته كل حساب .

فالأمر الناصح للرد في قوله : فانظرن من ذا تعادى ؟
يحمل الدعوة إلى التدقيق وإعادة النظر لتصحيح الموقف حيث إن المخاطرة بالمعاد له « على » أمر غير مأمون الجانب .
ويبدو أن الإحساس للرهف لدى الشاعر قد منعه رؤيا بمعدة جملته يدرك أن الأحداث بين التنازعين لن تحسم إلا بالقتال .
وما دام أمر القتال وادأ فن الأوفى بمن يزع بنفسه في هذا التدبير أن ينحاز إلى صاحب الحق للوفى حريبا والذى تاهته الغالبية وهو « على » .

أما « معاوية » فليس له من أسباب القوة خير العداء ومساندة أهل الشام قط — من أجل هذا كان الحكم الصادر من الشاعر على « عمرو » بسوء الاختيار لكونه إلى الجانب الأضعف في كل شيء .
يمكن أن يؤخذ في الاعتبار عند التقويم للأهميات عند التخطيط للزاعات التي ربما تهر إلى الحروب .

والفكر الخاص للشاعر ببناء على التقويم الدقيق الواقعي لحقائق الأمور والأحداث قد مال به إلى الاعتقاد بأن الاحتياط والسكر

والسكيد والهداء مهما بلغت قواها أمور لن يتأتى لها أن تغلب الحق.
الصراح والشجاعة الواضحة ، والفكر الحرى النير الذى أثبت كفاة.
وعاماله الفارخ .

ولكن النتائج التى أعقبت الأحداث فيما بعد برهنت على أن الهداء
بمفرده كفىل بالتغلب على كل شجاعة وبراعة حربية — طبقا لاعتبارات
خاصة ، ولظروف حربية معينة لا يست ذلك النزاع وصاحبه !!

١٠ — يحدد الشاعر على وجه الدقة مقدار التفاوت فى المترقة . بين
الشخصيتين للمادل بينهما « على » و « معاوية » قراء بسد الطرح.
لاسيما فى أسلوب يستنكر فيه إجراء عملية التبادل بينهما بساء على
للعرفة الحققة من « عمرو » لـ « على » التى تقطع بمتفرقة إلى الحد الذى
لا يبنى معه أن يماكل بأحد .

فـ « على » هو الزمة التى لا تنال — فهو (سهيل) الضارب غلوا
فى السماء — فتفرد بالسور وحده .

وعند إمكان معادلته بغيره نرى « عليا » على الصورة التالية طبقاً
لمرض الشاعر :

(أ) هو الضياء الخالص الذى لا تشوبه ظلة تحد من نصوص بهمه .
ولم يبق لمادله إلا كل حُلوة واسوداد .

(ب) وهو من الصلاح الصالح الذى لم تعاطله شائبة تقدح فى خلوص .
صلاحه — ولمادله كل الفساد الذى لم تتخلله بارقة صلاح !!

ويلحظ أن الشاعر عند عرضه الاستنكارى للتبادل فى التصرف
الأخلاقي بين الشخصيتين نراه لم يقرن كلا بمخلقه للمادل من علوتدن .

وصلاح ونساده، وصراحة ولولبية - التزاما منه بسلوك أسلوب الحقيقة المذهب.
الأمر المطلق للمهود عن العربي في التمويه - حيث قد أتم الإغلاء
والتسفيه للمأكل بينهما دون تمريض بالسفل اعتمادا على ذكاء السامع
في بسر التوصل للإدراك لحقيقة الشخص للعق بتصبيه من المادة -
كما أن الشاعر التصدى للنصح قد بلغ غرضه بأسلوب راقٍ لم يتم فيه
الكشف للفضح أو التجريح للردول للشخص للمدول ، ولم يواجه فيه
المخاطب ناعتا إياه بسوء التصرف والاختيار بتسويته خطأ بين طرفي
المادة .

١١ - يكشف الشاعر لـ (عمرو) أن « عليا » ليس بالجهان
الذي يتوانى عن شن الحرب إذا ما انكشفت له أسرار التدبير في ذلك
الاتفاق ، ولا يمكنك أن تأمن جانب خطره إذا ما شئت الحرب
فأنت يا « عمرو » لست من رجال المهين لقاء « علي » فكيف بك
الحال إذا ما احتدمت ، وناداك للزوال ؟

ولن أرتضى لك إحراجا لا تحمله في مثل هذا الموقف - فتدبر
أمرك ، وأعد النظر في حساباتك من جديد لعلك تدرك موطن الخطأ
خفتجانه وتصيح « موقفك » يا ابن العم

إصرار « عمرو »

وما أن يفرغ الشاعر من إنشاده الذي أخرى فيه التميمي لموقف.
كما تراه له حتى نراه يدخل في نقاش حوارى يبدأه « عمرو » قائلا :
عمرو: لو كنت مع « علي » وسفى بيتي^(١)، ولكن الآن مع « معاوية »^(٢)
الشاعر (ابن النم) : إنك لم ترد^(٣) « معاوية » لم تردك، ولكنك
تريد دنياه، وهو يريد دينك^(٤) III

ويسمى النقاش بين « عمرو » وابن عمه عند هذا الحد ، ولكن
أثار هذا النقاش الخطير بين أبناء العمومة لم تدوّن ، فقد تسربت
أبناؤه حتى بلغت مسامع « معاوية » ١ .

ولم يطلق « معاوية » صبرا على محاولة التعريب عليه للاتفاق للبرم
بينه وبين « عمرو » والذي يحرص على إنفاذه فبادر إلى طلب الفتى
السكّني (ابن عم عمرو) وأدرك الفتى عظم الخطر الذي يهدده نتيجة
رأيه الذي أنصح عنه ، ولم يجد من وسيلة يلجأ إليها سوى الحروب من
موطن الخطر !!

ولكن — إلى أين الفرار ؟

أسرار الاتفاق عند « علي »

الموقف السهاسي : لم يكن من يدلفي غير أن يلحق به « علي » .

- (١) أي لم يكن لي من مجال للظهور على رأس المجتمع العربي ولا حملني على .
- (٢) أي مع الذي يعطيني قدرى ويسمح لي بأن أحقق ما آملوه وأنطلع إليه .
- (٣) أي لقد فرضت نفسك عليه فشرى دينك بدنياه التي تؤملها .

الذى يمثل الطرف الآخر الذى تم تدمير الاتفاق ضده - من بعد أن قام بواجب النصح لـ « عمرو » وكشف له عن ضخامة الخسارة التى لحقت به نتيجة لإبرامه تلك الصفقة ومن بعد أن ترتب على ذلك التهديد لحياته .

وقد كان أن فزع الفتى ولحق به « على » وأطلعه على جلية الاتفاق المبيت ضده ، فسر نتيجة اضطراره على خفى تلك الأمور المبيتة التى كشفتها ملاهيات الأمور دون طلب منه .

ويبدو أن موجة السرور قد زالت به بعد أن تأمل مخاطرة ذلك الاتفاق طسولى عليه المصعب ، وانفاقه المدهشة من أن يبيت مثل هذا الخطر ضده ، ويتم فيه التجاوز للحق والقيم من وإلى تجاه خليفته للبايع له ، ويستعين على تنفيذ ذلك به « عمرو » المداخية - فما كان منه وقد اضطربت مشاعره إلا أن أنشد يقول (١) :

كذبا على الله يشيب الشعرا	يا حبيبا لقد سمعت ما تكبرا
ما كان يرضى أحمد لو خيرا	يسرق السمع ، وينشى البصر
شأنى الرسول والدين الأخزرا (٢)	أن يقرنوا وصية والأبتر (٣)
قد باع هذا دينه فأغرا	كلاما فى جنده قد تكبرا
بذلك (مصر) إن أصاب الظفرا (٤)	من ذا بدنيا يبعه قد خيرا

(١) رقعة صفين ص ٤٣

(٢) مر العاص بن وائل والدمرو وقد نزلت فيه الآية (إن شانئك هو الأبتر)

(٣) الأخزور - الذى ينظر بمؤخر عينه مكبرا ويعنى به (عمرو)

إني إذا الموتُ دَنَا وحَضَرَا شَمَرْتُ نَوِي، ودَعَوْتُ «قَتَبَرَا»^(١)
 قَدَّم لَوَانِي - لَا تَوَخَّرْ حَذَرَا لن يَدْنِجَ الحِذَارُ مَا قَدَّ قُدَّرَا
 لِمَا رَأَيْتُ لَوْتَ مَوْتًا أَحَرَا هَبَّاتُ (مَدَان) وَهَبَّوَا (جَوَا)
 حَى يَمَانٍ يَعْظُمُونَ انْظُرَا قِرْنٌ إِذَا نَاطَحَ قِرْنًا كَسَرَا
 قُلْ لـ «ابْنِ حَرْبٍ» لَا تَدْبِ الْخِرَا^(٢)

أَرُوهُ^(٣) قَلِيلًا أَتَيْدُ مِنْكَ الْفَجْرَا
 لَا تَهْجُنِي يَا «ابْنَ حَرْبٍ» غَبَرَا^(٤)

وَسَلَّ بِهَا (بَذْرًا) مَعْنَى وَ (خَشِيرَا)
 كَانَتْ قَرِيشٌ يَوْمَ (بَذِيرٍ) جَسْرَا^(٥)
 إِذْ وَزَدُوا الْأَمْرَ فَذَمُّوا الصَّدْرَا^(٦)

لَوْ أَنَّ هِنْدِي يَا «ابْنَ حَرْبٍ» «جَمْفَرَا»

أَوْ «حِزَّة» الْقِرْمِ الْمَنَامِ الْأَزْهَرَا
 رَأَتْ قَرِيشٌ نَجْمَ لَيْلٍ ظَلَمَرَا

البيان الأدبي :

الفكر في القصيدة يدور حول محورين -

أحدهما : النسي على «مرو» اتفاقه للمبيت مع «معاوية» .
 وثانيهما : الإنذار والوعيد لـ «معاوية» بالحرب .

- | | |
|---------------|----------------------|
| (١) مولد عن ، | (٢) لا تحاول أن تفعل |
| (٣) تحمل | (٤) غير مجرب للأمور |
| (٥) قتلى | (٦) لم يحموا العاقبة |

وفي نطاق المحور الأول نجد الإمام يلم بالمعاني التالية :

العجب والذهشة لحدوث مثل هذا الأمر المنكر الشيب للنواصي .
 وللتشكي للهمم ، وهذا - ينطوى على التحويل للاتفاق للدبر ، وعدم
 إمكانية التصديق بأن مثل هذا التعيين يمكن أن يحدث - لو أن الخبر
 موضع ثقة .

ومواطن الطمن على الاتفاق المبني تكمن فيما يلي :

١ - عدم رضى « محمد » عليه السلام عن ذلك - على سبيل فرض علمه به .
 ٢ - لا مجال للتقن بين وصي النبي الميراثي في أحضانه وبين الهداية .
 ابن البقيع ^(١) لشي المدي « معارية » .
 ٣ - الاتفاق صفة خاسرة تم فيها بيع الدين بدنيا موعودة ، والوفاء
 بها موضع شك والإنكار على (عمرو) تورطه إلى هذا الحسد
 الذي تم استردا لا لتصرف ما كان يتوقع صدوره منه .
 وفي نطاق المحور الثاني نجد معاني التهديد والوعيد تدور بهتف
 يتصاعد يبرق بظفر الحرب .

وفي غمرة التهديد نجد الإمام يلم بمعاني الخطورة التي تجعل لوعيده
 وقع الصواعق - خضوعاً لما يلي :

١ - فهو الشجاع الذي يجبه الموت ولا يترهبه .
 ٢ - وهو الذي يصير على الحرب ويقدم عليها دون خوف إذا
 ما أصبحت حتماً .

(١) يعني بالبقيع (أبا سفيان)

٣ - وهو الذى يتحدى الأنداد ولا يلاينهم .

٤ - وهو صاحب البطولات الإسلامية المرموقة التى سبغت فى (بدر) و (خيبر) وخلقت قزوم قریش قتل .

وصراحة الإمام الناجية من صدقه وشجاعته وثقته بنفسه دفنقه إلى الكشف عن خططه الذى سيسلكه مستقبلاً استمدادا للحرب الثقيلة حيث عين (همدان) الهمانية بأنها ستكون هُدًى وعتاده - وم مام فى الخطورة الحربية السكتيلة بالنصر على كل قِرْنٍ ولِدَ . وقد استقل منازعو الإمام تلك الصراحة التى تكشف عن خططه أولاً بأول لصالحهم إلى أبعد حد .

وبتكشف الإمام أيضا عن نفمة أَسَى تحاطله لفقد « جعفرا » و « حمزة » فى هذه الظروف القاسية التى يمر بها فى نزاعه مع واليه للثشق « معاوية » .

ونفمة الأسى هذه حارّة مانبهة - ونَحْنُ حق الأسى فى جعله أى واحد منهما كفيلا بإراحته من « معاوية » دون حاجة إلى تدخله هو، وأى واحد منهما مع « على » يجعله أقدر على مجابهة قریش بأسرها - ومن هنا كانت الحُرقة فى نفمة الأسى قوية .

ويبدو هذا فى أسلوب التعنى - (لو)

لو أن عندى يا (ابن حرب) (جعفرا)

أو (حمزة) القرم الممام الأزهر ؟

وأنت قریش نيم ليل ظهرا

(٩ - أدب سياسى)

المصدر لإجبار قريش على أن ترى ما لم تكن تقوى على رؤيته
وهو «نجوم الليل تظهر» أى فى الوقت الذى يستحيل فيه الرؤية لما مما
يبحث على الفكر بأنه سوف يدفع قريشا إلى إدراك ما لم تكن تدرك
على الرغم منها .

حان موعد التنفيذ

ويبدأ « عمرو » عند معاوية وقد أبرما الصلقة — ويصبح الصباح
فيستأقنان الحوار على وجه جديد
إنه التنفيذ للخططة طبقا لهندو الاتفاق المبرم فيما يتعلق بوسائل التنفيذ
لإزاء ما يجب « معاوية » من مصاعب ^(١) ، والحلول التى تتخذ ضدها
مما يقتل القضاء عليها ، وتصفيها لصالح « معاوية » .
وهنا نرى « معاوية » يبدأ الحوار مع « عمرو » قاصداً الاستيقاظ
للنهائى من صمة الرأى فى صواب الخططة لحظة البدء فى إنفاذها ^(٢) فيقول :
معاوية : ما ترى ؟
عمرو : أمضى الرأى الأول .

وعند ما يطمئن بهذه الإجابة إلى أنه ليست هناك مشورة مهبطول
بها عليه ، أو مذكورة عنه — نراه يسارع بإرسال « مالك بن هبيرة »

-
- (١) المصاعب المثلة فى عهد بن حذيفة الخطر الطليق ، وقصر العدو
المتوكل و « على » التخليقة الآخذ بحقه فى فرض سلطان الخلافة .
(٢) وهذا أشبه بمسلك المسكرين فى إجراء للراجعة النهائية لخطتهم
قبيل البدء بإفناذ عملياتهم العسكرية .

«السكندی» في طلب الخطر الطليق «محمد بن حذيفة» فيدركه فيقتله ،
ويثبت إلى «قوسر» بالمدائن فيؤادعه .

ويبدو وكأن «معاوية» قد فرغ من أقل الصواب خطراً فيدخل
على «عمرو» وهو مهتم بانظر الأعمام وقد فرغ له فيقول :
معاوية : ما ترى في «علي» ؟

عمرو : أرى فيه خيراً — أتألك في هذه البهمة خير أهل «المراق» ومن
هند خير الناس في أفض الناس ، وهو لك أهل (الشام) إلى
رؤ هذه البهمة خطر شديد .

ورأس أهل (الشام) «شرحبيل بن السط السكندی» وهو عدو
له «جرير» للرسول إليك فأرسل إليه ، ووكن له ثقاتك فليتشو
في الناس أن «علياً» قتل «عنان» وليكونوا أهل الرضا^(١) عند
«شرحبيل» فإنها كلمة جامعة لك أهل الشام على ما تحب ،
وإن تعلقت بقلب «شرحبيل» لم تخرج منه بشئ أبداً .

الدهاء السياسي

ويبدو واضحاً من ردود «عمرو» على تساؤلات «معاوية» أنه
تارة يصدرها مقتضبة حاسمة في صورة الأمر القاطع التي يعين إنفاذه
دون أي إبطاء حيث لا يدلل سواء ، ونجاح التدبير يعتمد على التجهيل
بالإنجاز — لأنه يحض الرأي دون موازنة

وفي مثل هذا يبدو «عمرو» في صورة المستشار السياسي الداهية
التي أحكم الأمر بعد أن تم له الاضطلاع على الموقف السياسي في حياته
(١) الموثوق بكلامهم عنده .

الراحة ، وأدرك أهداده ، وزدود الفعل المحفل صدورها عنه أثناء
للمعالجة له نراه يصدر أمره بإيقاع الضربات القاضية - كل واحدة
في حينها ، وبالأسلوب الملائم لتحقيق الغرض المطلوب بها ، فيقول وكله
ثقة في صواب التدبير : أمض الرأي الأول^(١) .

و « معاوية » في تسأله حريص على النزاع أنجم القداير التي يتطوى
عليها حق السكر لدى مستشار الهداه « عمرو » وخاصة من بعد أن
تشارطا وتراضيا واتفقا ؛ فيردد تسأله عليه . عليه يستخرج المكفون مما
يظن كنهانه منه ويحييه « عمرو » بما يرحى بالثقة التامة في نجاح ذلك
التصرف ، وانعدام البديل له ، وخصوصه من أي بادرة شك تخالط صدقه .
— مما يدفع « معاوية » إلى سرعة التنفيذ لدلوله ضائنا لحسن سير
الأمور في التطبيق العملي للخطه - ثقة منه بأنها الوسيلة المثلى
للكيفية بإحراز الهدف المنشود من ورائها .

ويبدو « معاوية » في صورة الأداء المنفذة بالدقة التامة ، والسرعة
المناسبة لكل ما يشير به « عمرو » دون أن يحاول أن يدخل على المشورة .
أي تخویر أو تمديد - ثقة منه بأنه لا تحض وراء تلك المشورة المدفوعة
الثنى (مصر الطعمة) ١

ولربما كان هناك احتمال الشك في صدق المشورة قبل التراضي
أما الآن فلم يبق مجال لتوارد أي شك .

(١) فجاء يتعلق بإرسال من يقتل وعهد بن حذيفة ، الخطر الهارب من السجن -
وما يتعلق بموادعة قيصر ، جهاداته - وقد تم الأمر طبقا لتدبير « عمرو » -

وقد اتضح أن « عمرو » كان صريحاً فيما أبداه لـ « معاوية » من مشورة بادية ذي بده قبل التشارط والراضى ^(١).

لهذا — نراه هنا لا يحتاج إلى تكرير تفصيلات أوضحها سابقاً ، فاككتني بقوله الخزيم : أمض الرأي الأول خير أنت « معاوية » بعد الاتفاق كان في حاجة إلى ما يؤكد له أنه لم يكن هناك تدبير مخترق عند « عمرو » وربما جلاء الاتفاق ، فكان ترداده لقبوله ما الرأي ؟ للإسبانية — حذراً من أن يقع في خطأ لم يحسب حساب به .

وحرص « معاوية » على انتزاع مكنون التدبير عند « عمرو » بايع من خوفه على ضياع مافي يده إن لم يكن التدبير محكماً ما ضاها — لإحساسه داخلياً في نفسه بأنه الوالى المشقى الذى يهدده اغتلافة المبايع له وقد جاءه بحشود العراق .

ويبقى « عمرو » من وراثفة شائعة في إحكام الهداء السياسى الذى يظهر في نوعية الرد جواباً على ما يجب أن يتخذ من تصرف إزاء « على » على وجه الخصوص .

وهنا تعجل المبتدرة السياسية الفذة وللتقطعة النظير في جفل التدبير ، وإحكام الخطط ، وتثبيت الأمور .

فقد اتضح أن « عمرو » هو الآخر بالتيارات السارية للبول التى تموج بها الأقاليم التى ضمنها الأمة الإسلامية ما بين (عراق وشام) في تلك الآونة ، وأنه الأكثر إدراكاً لما يعقل في فكر أهلها وأنه

(١) واجمع ما دار في اللقاء الأول بين « عمرو » و « معاوية »

الأخير بأقدار الرجال وإمكاناتهم والأدوار التي تناسبهم ، ويمكن نجاحهم فيها ، والسكينة التي يمكن بها جذبهم للقيام بهذه الأدوار وقد دفعت حكمته السياسية إلى أن يستغل خبراته هذه في محاولة أن يملأ على أهل تلك الأقاليم سلوكاً سياسياً مهنياً يضمن له توجيهها وتأييدها وفق اتجاه معين حدده لما عن طريق التأثير السياسي في فكرها ؛ فنقدفع من عند نفسها في الاتجاه للرسوم بحيث تبدو وكأنها المختارة لسيدها دون دفع مدبر ، ويبدو اتجاهها وكأنه وغيتها المنقضة وهو في حقيقة الأمر ليس غير هدف لها نفسها — والجاهل ليسوا غير غلب القط في عملية التنفيذ — وللتفجع سوام من أهل التدبير والسوق لهم .

وأمام أخطر أمر يتهدد « معاوية » نجد جواب « عمرو » يرد أيضاً كجمل الخطأ التي ارتآها مركزة في ردوس موضوعات حددها كما يلي :

(أ) فيما يتعلق بوفد المراق وما ينبغي أن يُسلك إزاءه وهو الطالب لأهل الشام واليهيم بالبيعة لـ « علي » .

(ب) وفيما يتعلق بأهل الشام وكيف يمكن أن يُأسوا لصالح « معاوية » في هذا الموقف ؛ فلربما كان فيهم من يؤيد البيعة لـ « علي » وينهى الأخذ بالحلول المقترحة المثلة فيما يلي :

المدد إلى الهداء السياسي بالسكيد وإعمال الحيلة لتحقيق الغرض المنشود .

وقد بدأ « عمرو » جوابه الاستشاري بافتاد انظر في أمور ثلاثة :

١ - في « على » وما ارتآه له من تدبير - وقد ساقه بمصافاة أسلوبه متفاسر دونها أحرق الأسيالهب الديلماسية للعاصرة (أرى فيه خيراً) فالتظيرية للراة يمكن أن تنصرف إلى شخص « على » بعينه، وإن كان يبدو أنها منصرفه إلى قوة نوع التدبير المتخذ ضده - كما توحى بذلك قرينة الموقف الحادف إلى طناً لقلب « معاوية » فيما يخص بكفاءة الإجراءات التي ستتخذ نحو « على » للقلب عليه (شغلها الشغل في تلك اللحظة). وفي الوقت ذاته إجابة لا يؤخذ بها « عمرو » إذا ما تحولت الأمور إلى غير ما يهوى وانتصر « على » ١١

ويمكن أن يتسبب الظير في العبارة فوشمل سائر جزئيات الخطبة المدبرة ضد « على » بما يقطع بصواب الرأي فيها، اعتماداً على أن إنبات الظيرية لـ « على » قد ورد النص عليه في قوله: ومن عند خبر الناس في الجزء التالي من النص.

٢ - وفي وفد المراق وعلى راسه « جرير » فقد لف الجميع بالظير، ثم خص (أهل المراق) بأنهم (أقنص الناس)

والنفاضة بينهما تفضل مجرد الظير العام إذا ما قورنت به، وإضافتها مفضلة إلى الناس تملأ المراقبين منزلة أرفع، وإذا انضمت الظيرية إلى النفاضة المنفضلة لهم فلأن ذلك يدعو إلى الرفع من قدرهم أكثر، ولا غرابة في اختصاص المراقبين بالظير والنفاضة في نظر « عمرو » إلا لكونهم موضع الاهتمام عنده طبقاً لبعد نظره السماسي؛ فهم يمثلون نقلاً سياسياً يعطى مركز الخطبة الإمام « على » قوة سياسية وحربية في آن واحد.

والحصانة السياسية عنده تستدعيه أن يحاول تجريد الإمام « علي » من سائر القوى للمينة له ، وأن يحاول جذبها تجاه « معاوية » ليصبح عوناً له بقوة في نزاعه .

ومن هنا — كان الإسباغ من « عمرو » لأرق صفات الفئاسة على المراق ووقدها لأنهم المعتبرون بمحاولة الجذب في طرف النزاع و« عمرو » هو الوحيد للدرك لمدار نفاستهم ، وهو بدوره يحاول أن يفهم « معاوية » مقدار الخطر المراق الذي يهدده ليحسب حسابه .

٣ — وفيّ رئيس الوفد العراقي — بالتعيين له المظهر لصدارته في قومه الذين أضفى عليهم انظر والفئاسة وهو الرأس فيهم ، والقسم من بينهم .

وتلك آية الأدب في أحاديث السياسة والديبلوماسية العربية هن الآخرين حتى ولو كانوا متناوئين ولمسوا بموالين .

فالأسلوب المهذب هو الأداة المعيرة ، وأقصى ما فيه من جنوة يمكن أن ندركه من كف « عمرو » عن التصريح باسم « علي » واسم رسوله « جبر » وربما دعاه إلى ذلك اعتاده على أنها قطبا الرّحى اللذان يدور حولهما الحديث الخالي المائل والتداول .

الحلول السياسية المقترحة

(أ) الخطر في ضرب الإقليم بالإقليم :

وقد بدأ « عمرو » علاجه لأزمة « معاوية » السياسية بتحذيره إياه من خطر شديد مخافة أن يترقى فيه وصرفاً له عن سلوك هذا النهج في السياسة .

ألا وهو خطر ضرب الإقليم بالإقليم — بمحاولة ضرب العراق بالشام — فذلك نهج خطر غير مأمون في مجال التعامل السياسى مع الأقاليم للظهور إلى إخضاعها بكسب رضاها ولم يترك « معاوية » عند حد التحذير - وإنما نراه يبدله على مفتاح الكسب للموقف السياسى، فيشير عليه بالعمد إلى ضرب الرجل بالرجل — ضرب الرسول « جرير » الرأس من أهل العراق بأعدائه « ثرحبيل بن السمط » الرأس من أهل الشام ، فقد هدته حُكْمَتُهُ السَّياسة إلى اعتقاد أن : ضرب الرجل بالرجل أيسر ، وأضمن نجاحاً من ضرب القوم بالقوم ، وأدعى إلى الأمل في إحراز التلبه على الخضم بأيسر وسيلة ، وبأقل الخسائر ، والادخار لساثر القوى الأخرى إلى أوانها ، ربما تخم الظروف الدفع بها إلى ميدان النزاع . (و عمرو) في هذا يقسم بمعد النظر السياسى حيث أيقن أن إرسال الوفود هو البداية لارتفاع حرارة النزاع ، وينهى أن يصالح كل تصعيد بما يلائمه من المضادات بدلا من البدء بصراع إقليمي غير مضمون العواقب .

ويتسم أيضا بالدهاء القاضى بإعمال الحيلة ليفل بها السيوف للشرعة في أيدي الشجعان .

و « عمرو » بهذا يسكون قد دل « معاوية » على خفى الدروب السياسية المأمونة الجانب به (ضرب الرجل بالرجل) من بعد أن حذره من المزالق السياسية الغير مأمونة العواقب في (ضرب القوم بالقوم) أو الإقليم بالإقليم .

كما ألمح له في إشارة ذكية إلى ضرورة أن يفتح « معاوية » قلبه لأهل العراق بغية استأبهم نحوه ونجاء أن يحرز لنفسه قبولاً عندهم .
وذلك بإعلامهم أنهم محل القبول عنده توطئة لرحبتهم عن موقفهم الموالي لـ « علي » ثم خروجهم عن هذا الولاء ، وانحيازهم كلية إلى صفه .

وبهذا يكون قد جرد الإمام من عناصر قوته في أخص صورها وم أهل العراق الذين يقتوى بهم .

وفي محاولة ضرب الرجل بالرجل — يعمد « عمرو » إلى التحدث لشخص (الرجل) الذي يمكن أن يقوم بالدور للرسوم له على أنم وجه لحساب « معاوية » ، فيبين خصائصه التي تؤعله لتقوم بهذا الدور حاسراً لها في أمرين :

(أ) أنه الرأس من أهل الشام — مما يجعله أهلاً لتوافقهم والتأثير فيهم بنجاح .

(ب) أنه عدو لـ « جرير » رسول الإمام — مما يعطيه المضادة في الموقف للرسول .

وزعامته لأهل الشام تشير إلى أنه سيكون الرجل القدر للكافي والناوي لـ « جرير » وصاحب المقدرة على التغلب عليه — أما كيفية اصطناع « شرحبيل » ليكون رجل « معاوية » المكافئ لـ « جرير » رسول الإمام فقد استطاع « عمرو » أن يدخل عليه عناصر أخرى تسكفت بالتصدير لـ « شرحبيل » لينهض بالدور الذي وضع له .

وتلك العناصر ظاهرها السهولة والبس في الممارسة وباطنها الخطر العظيم في رد الفعل الناتج عنها وكلها مضادة لـ « على » وفي صالح « معاوية » ألا وهي :

(ب) اتهام ~~عمر بن الخطاب~~ « على » بقتل « عثمان »

لقد أشار « عمرو » على « معاوية » أن يرسل في طلب « شرحبيل » الرجل الذي ارتآه كفيلًا بالتصدي لـ « جرير » لما بينهما من عداوة ، ودفعه للتصدي والوقوف في وجه « جرير »

والدفع والتصدي لئلا ينقض « شرحبيل » بما رسم له - انتهى أن يجحد ويرتب ويهيئ له أمراً وحيوة تفك كل بدفعه إلى تزعم الموقف وتستمر ظهور الموجة ، والقاعدة لقومه في التصدي وللمارضة لـ « جرير » ودفعه . وهكذا يبدو الأمر في صورة نزاع بين أهل الشام وأهل العراق على أمر عام يهم الأمة الإسلامية جماء لمساسه بمشاعرهم الدينية التي يحق لكل مسلم أن يشارك فيها برأيه دفاعاً عن دينه الذي يبدو وكأن أصلاً من أصوله قد انتهك .

وهكذا تم إحكام الأمر في نفس « عمرو » للاستئثار الداهية فألقى به إلى « معاوية » في صورة الأمر للنافذ بقوله : أرسل إليه : (إلى شرحبيل) .

ولما كان الغمان لتهم (شرحبيل) بالدور الذي دُبر له يستدعي الإحمال لنفسه لفتنض وبثور بفعل الحماص الديني ضد انتهاكات تعرض لها — إذن كان لابد من إعداد أشاعة تفشو في الناس ، ويوطن لها الأشخاص اللوثق بهم عند « معاوية » في حجة نهوضهم بنشر الأشاعة

وغير الإيمان بها في نفوس أهل الشام ، وإدخالها بالتالي على نفس
« شرحبيل » بحيث تستكن في قلبه — ألا وهي أشاعة الاتهام بأن
« علياً » قتل « عثمان » ولا أعظم ذنباً لدى المسلمين من أن يُقتال
خائنهم !! ولا أحق بالسخط من مرتكب الاغتيال !!

وهكذا — أُعِدَّتْ التهمة للزيفة ، ونُشِرَتْ أشاعتها بين أهل الشام ،
ووطن لها أهل الثقة لدى (شرحبيل) فأرصدوا له في طريقه لينبأوه
بالتهمة للفتنة تأتي على ألسنة من يُعهد الصدق فيهم ، ومن أهل الرضى
عنده ، فلا يجد مناصاً من أن يصدق ويوقن بصحة التهمة فينهض بحق
الزمانة وإتمام للهمة التي جُنِّد لها دون أن يدري أنه مدفوع إليها -
مخدوع فيها - وهي القيادة لأهل الشام للضادة لأهل العراق وزعيمهم .

وبهذا تزاح من « معاوية » أمام تهمة الوالي للنشئ الخارج عن
طاعة خليفته للبايع له يومه عامة صحبة أصبحت مُلزمة له بالدخول فيها ،
ويشعل الصراع بين الوالي والخليفة بحيث يبدو وكأنه صراع إقليمي
بين أهل الشام وأهل العراق لا مدخل له فيه !

ولما كان المستشار السياسي في زمننا المعاصر غالباً ما يُهمَّسَد إليه
وضع الخطأ السياسية ، ورصد النتائج التي يمكن أن تحدث كرد فعل
لذلك الخطأ عند التنفيذ — فإن مثل هذا قد حدث من « عمرو » فقد
حدَّد له « معاوية » النتائج الحقة للوقوع نتيجة للاتهام الملقق للإمام بتل
الخليفة « عثمان » حيث قال : « فإنها كلمة جامعة لك أهل الشام على
ما تحب ؛ وإن تعلقت بقلب (شرحبيل) لم تخرج منه بشيء أبداً » .
وبهذه الشورة يكون المستشار « عمرو » قد ضمن للوالي « معاوية »

أمرين يحتاجهما في نزاعه ضد الإمام ، وبضمان له التفوق والغلبة على منازعه الخليفة :

أولاً : اجتماع أهل الشام عليه تأييداً وموالاته من بعد الطي لوالى (حص) « شرحبيل » - حيث يكون قد أظهر « معاوية » في ميونهم في صورة الناهض بأمر الدين جُعلًا وصيانة وصحة - فعندما يطالب أهل الشام بالتقصص للخليفة المختار « عثمان » فيما بعد .

ثانياً : ضمان نهوض « شرحبيل » بالزعامة والقيادة لأهل الشام لحساب « معاوية » من طرف خفي بحيث قد زعم له ما زعم ، فأُعِدَّتْ له السكائن لتواجهه حيث سار بما زعم ، وأكد الزعم في قلبه فاستقر فيه على أنه حقيقة ثبتت ، ولا يرجح لها أن تنزعج من قلبه أو تتغير أو تتحول بأى وسيلة أخرى ؛ إذن - فلن يفتك منها وهو الرأس لجبالين في (حص) والوالى عليهم ، فإذا مادانت له (الشام) ومن فيها ، ووقفت كلها في مواجهة العراق ، ظهر « معاوية » في صورة الملهي لريجات أهل الإقليم فيما يطالبون به - من بعد أن قد تم التصميم على ضرب فسكرة المطالبة لـ « معاوية » بالمبايعة لـ « علي » بفسكرة الانهزام لـ « علي » بقتل « عثمان » وتم الإمداد لضرب الرجل بالرجل ، وأرجىه إلى حين ضرب القوم بالقوم .

إذن - لقد أُمِيتَتِ الخطة : باصطناع الفرية ، وأُلْقِيَ بطن حُتَيْنِ التبتل للعراقيين استمداً لجذبهم ، وسحب بساط تأييدهم ولولائهم من تحت أقدام الخليفة الإمام « علي » وضمين الولاء من أهل الشام ، لـ « معاوية » ورتبت الزعامة التي تعودم إلى الهيف ، واختير الأفراد

المرطون لئليس الأمر على « شرجيل » وودعت عليهم الأدوار ،
وأعدّ للشرح لعب كل دوره ، وميّت لهم الأماكن والإمكانات ،
ولم يبق غير حثونة وقت التنفيذ ، لينهض كل بمعه إلى أنيطت به في
هذا القدير الدهاءى القريب ١١

والنظرة للتأنيّة نحكم بما يلي :

لقد استحال على آدمى الدهاء « معاوية » أن يقبّ بشيء على
حما أبرمه مستشاره ومشيرو « عمرو » فأقنعه كما هو ، ولم يحاول أن
يُدخل على الخطة تعديلا أو تحويراً في أى جزء من أجزائها لتتأقلمها
ولكلها ، ولما وقر عنده من استعالة إمكان بلوغ مدى في الدهاء أبلغ
حما أشار به « عمرو » .

لقد كان « عمرو » صاحب التخطيط الحُكم للمليات التي ينبغي
اتخاذها ضد الإمام ، وكان « معاوية » الأداة ، وصاحب الحسم في التنفيذ
طبقاً للخطة لأنه صاحب السلطة للباشرة في الولاية ، والمالك لحق إصدار
الأمر وتنفيذه .

وبالتعاون بين : . . . الدهاء تخطيطاً وتنفيذاً أمكن للدهاء أن
يقنصر ، ولكي يد أن يفتش وينشئ ، ويظهر ويملو ، ولحق أن يحث
حسوته ويلاشى ولو إلى حين .

إنها السياسة لدول التي قال عنها المؤرخون : إنها لا تعرف الأخلاق
وإنما هي للذائع وللصالح للعبادة ، والمرونة والحصافة في التعامل
السياسي التي تجعل من الإخفاء للصقعة كهيئة ، وتمتدح بالسكيد -
سلاحاً ، وتعتبر الشجاعة - تهوذاً ، والتمسك بالحق - تشدداً ، وللطالمة به

كاملاً - قمر نظر سياسي - حق إذا ما أشرعت واشتجرت في سبيل
ذلك السيوف - أصبحت الحرب خُدمة ، وتحذيراً للمصائر ، والحرب
أولاً كلام :

والانتصارات الكبرى في الحروب التي حكمت معاصر الأمم لها
بشائرها الموحية بصاحب الكفة الراجعة والتي تهدئ ميكة في صورة
كلمة لا يدري إلا الله أبعادها ، أو مشورة كلها عين الدهاء ، أو حيلة
ينصب أشرارها أرواب يحسن الجدل والتدبير والإقناع طبقاً لنهج
السياسة التي يحكمها الدهاء منذ القدم .

استقدام « شرحبيل »

وحيث انتهت المشورة بـ « يود » بالتنفيذ دون أناة فصار « معاوية »
بالكتابة إلى « شرحبيل بن السمط » ^(١) مسقداً إليه على جناح
السرعة قائلا :

إن « جرير بن عبد الله » قدّم علينا من عند « علي بن أبي طالب »
بأسر فظيح - فأقدم .

وبأشر « معاوية » مهمة إعداد الرجال الذين كُثر هزمه على توطئتهم
من أجل « شرحبيل » ^(٢) .

(١) وإلى (حمص) .

(٢) الرجال هم بـ

يزيد بن أسد ، بسر بن أرطاة ، عمرو بن سفيان ، مغارق بن الحارث
الزبيدي ، حمزة بن مالك ، حابس بن سعد الطائي

وقد راعى في اختيارهم أنهم من خاصته وأهل الثقة عنده - كما أنهم من أبناء الصومة لـ « شرحبيل » وهم في الوقت عينه الرؤوس من (قطان واليمن) ^(١) .

وقد أئز الرجال الشقة بأن يقدموا لـ « شرحبيل » على طريق قدومه - حتى إذا مالا فوه أخبروه أن « علياً » قتل « عثمان » .

اليمنيون والهمة للإمام

للوقف الساسي : وتصل رسالة الاستقدام إلى « شرحبيل » وإلى حمص فيستشير أهل اليمن في ولايته . أيقدم عليه أم يعمل ؟ فيختلفون عليه ولا يخرج من خلافهم بظائل وقد بلغتهم أشاعة التهمة للإمام . وأخيراً ينفض إليه عبد الرحمن بن غنم الأزدي ^(٢)

فيقول : « يا شرحبيل بن السمط » إن الله لم يزل يزكك خيراً منذ هاجرت إلى اليوم وإنه لا ينقطع الزيد من الله حتى ينقطع الشكر من الناس ، ولا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

إنه قد أتى إلينا قتل « عثمان » وأن « علياً » قتل « عثمان » فإن بك قتله فقد بايسته المهاجرون والأنصار - وهم المحسكام على الناس - وإن لم يكن قتله فعلام تصدق « معاوية » عليه ؟

لأنك هلك وقومك ١١

(١) وقعة صفين ص ٤٤

(٢) كان ألقه أهل الشام

فَوْنٌ كَرِهَتْ أَنْ يَذْهَبَ بِحُظِّهَا « جَرِير » فَبَسَّ إِلَى « عَلِي » فَبَايَعَهُ
عَلِي شَامِكًا ^(١) وَقَوْمًا ^(٢) .
التعليق:

ويبدو من مقالة «عهد الرحمن بن غنم» أنه قد خرج من النقاش
والخلاف بتفهم دقيق سليم الموقف، ومؤداه الثقة بالإمام وصحة
البينة له .

وقد بنى هذا على الاعتبار التالية :

- ١ - إن التهمة ليست إلا مجرد أشاعة لا يوثق بها ، لاحظ عبارة
(ألقِ إلينا) القليلة للاتبهام وعدم الوضوح .
- ٢ - لو كانت التهمة صحيحة لما بايعة أهل الحل والعقد من المهاجرين
والأنصار (ومجسكهم على الناس) ١١ .
- ٣ - إذا كان الأمر مجرد التشويش على الإمام باتهام مكذوب
فلا يوجد ما يدعو إلى التصديق للرجلين ، وتقليب « معاوية » على
الإمام دون تثبت .

٤ - وإذا كان الأمر مجرد الجري وراء الدنيا خشية أن يتلبس عليها
صانعه « جرير » فباب للمشاركة فيها مفتوح أمامه بمبايعة الإمام .
والواقع أن « عبد الرحمن » لم يترك له « شرحبيل » أن يحاول أن
يقتل منه خروجا على الإمام ، وانحيازًا إلى « معاوية » اقتناعًا منه

(١) ما يذكرك من الغمام (محمس) .

(٢) وقعة صفين من ٤٠٠ .

(١٠٠ - أحب سياسيًا)

بصحة خلافة « علي » والثقة فيه وخاصة من بعد أن قُتِلَ بذلك سائر
الاعتبارات التي ربما تعرض لتسكير الوالي وهو يحاول أن يزن الأمور؛
فقد حصره في خيارين لا ثالث لهما ، وكلاهما يحتمُّ عليه أن يسكون
بحم الإمام .

أولهما — نُشْدَانُ الصحة لبيعة الإمام — وهذا أبرمه الحُكَّام على
الناس من المهاجرين والأنصار ، ولا يسمه غير التابعة لهم من بعد أن
أصدروا فيه حكماً مُلْزِماً .

ثانيهما — إن صحَّ عنده الميل إلى الدنيا — فالطريق الشرعي إلى
القبول منها حلالاً رهنً بالمباينة لـ « علي » .

هذا — ولم يجهل « عبد الرحمن » حق النصيح للوالي بهذا كبره أنه
في ذمة لا يسهه عليها غير الحد ضيقاً لا سعة امتها ، والاستزادة منها .
وقد صدرَ به كلمته مع لغة تدعو إلى التزام الحق انقاء لنضوب الله
بهدم الفتنير لسلم الهاديء — كما أنه قد خضعها بنصح آخر قصد به
معاودة التعجيب للوالي شر الإلقاء بنفسه وقومه من أهل اليمن في الهالك
للرقبة من وراء تلك التهمة ، وذلك النزاع .

التصميم

للوقف السياسي : وبأي الوالي « وشر حويل » إلا أن يسر إلى الوالي « معاوية »
ضارباً عَرَضَ الحائط بما سمعه من نصيح « عبد الرحمن بن عوف » ويتأهب
للسر فإتلك « هياض الثمالي » إلا أن يهتث إليه بالتصعيد العالية :

حاء «شرح» وابن السكيت «انك بالنح
 حاء «شرح» ان الشام شامك ما بها
 فلان ابن حرب «يا صبي لك خدعة
 فلان قال ما يرجو بها كان ملكدا
 خلا تميمين حرب العراق ، فلانها
 .وان «عليها» خرمين وطى الحصى
 لله في رقاب الناس عهد وذمة
 خباج ولا ترجع على القنب^(١) كانوا
 .ولا تسمعن قول الطغام ؛ فاعما
 .وماذا عليهم ان تطامن دونهم
 فلان غلبوا كانوا علينا ائمة
 .وان غلبوا لم يهزل بالحرب غيرنا
 يهون على غلها «لؤي بن غالب»
 خذع عنك «هشام بن عقان» اننا
 على اى حال كان معبر جنيبه
 يوقد على «ما تريد من الأسير
 حواك ؛ ندع قول الفضل من ربه
 تسكون علينا مثل رغبة البكر^(٢)
 حيثما له ، والحرب فاصمة الظهور
 نغم اطهار النصارى من الدهر
 من المشاهدين للذكاريك الوتر^(٣)
 كهدد ابي حفص «وعهد ابي بكر»
 احنك بالله العزيز من السكفر
 يريدون ان يلتوك في لجة البحر
 «عليها» باطراف المنقطة السمر
 وكفا بحمد الله من ولد الظهور^(٤)
 .وكان «جلى» حربنا آخر الدهر
 دماء بني قحطان في ملكهم تجرى
 لك الظير لا ندري ، وانك لا تدري
 فلا تسمعن قول الأعور^(٥) أو «عزود»

(١) رغبة البكر — مثل يضرب في التناقض .

(٢) الذين يدركون ثأرم داء .

(٣) مأخوذ من قوله تعالى : « يردكم على أعقابكم » .

(٤) الذين لا يلتفت إليهم ، ولا يعبأ بهم .

(٥) يقصد « معاوية » .

اليقين الأدبي

القصيدة في فكرتها تنهض بما يلي :

١ - أداء حق النصح للوالي (شرحبيل) بأن من انظر له وقومه ديناً ودنياً أن يكون موالياً مَوَالِئاً للخليفة « على » صاحب الحق الشرعي . في الخلافة ، وأولى الناس بها .

وقد رُمتنا بهمة من بعد أن يوجع من الناس بهمة عامة مثلنا ثم مع « أبي بكر » و « عمر » .

وَالْوَلَاةُ لـ « على » بالمبايعة له تمثل الطريق للفتوح أمام الوالي . (شرحبيل) لئيل ما يريد من أمر الدين والهدى .

وافتحاح القصيدة (يا شرح) مناشدة صريحة لـ « شرحبيل » بأن من الأجدى له للمبايعة للإمام « على » لكفاية هذا السلك بإزالته ما بينيه أيا كان ذلك للبعث - هذا - فضلاً عن الإبقاء على ما يوجد . وقومه من المؤمنين والولاية على (حمص الشام) التي هو سيدها وحده . دون مفازع : (الشام شامك ما بها سواك) .

والخروج عن هذا ليس غير أتباع الفضائل والتفضيل والاندفاع القامة أشراكه ، ولن تجني من ورائه شيئاً ، وإنما منته عوده مقصور على الناصب للأشراك ، ولن يسمح لأحد أن يشارك في أي منهم يمكن أن يجعله النزاع ١١

وتلك - دعوى إلى التمثل في التصرف وعدم الاندفاع اتفاقاً
لرحمهم المواقب .

٢ - التحذير من البيز إلى « معاوية » وقد صاح الشاعر الوالى
بجذات بناء على وضوح الرؤيا عنده لخطر الدمام المتوقع من جراء هذه
المسيرة - حيث بين له أنه لن تلقاه عند « معاوية » غير أثرك الخلداع
المحكى الذى لن يتأتى له الإفلات منها ، والذى لن تعود عليه وقومه إلا
بكل شؤم عتق ، ويمكننا أن نلخص ذلك من قوله : (ناصب لك
خدعة) ، (تسكون عليها مثل رافية البكر) .

ويعتد الدمس بالشاعر ، وتعمق به الرؤيا ؛ فيذكر أن ناتج ذلك
الخداع المد الآكد أن « معاوية » سوف يتخذنا أداة لتحقيق مآربه ،
فسيضرب بنا « عليا » حتى إذا ما انتصر عليه وتوسد الملك احتاز
بما بأيدينا من ملك فصار (حينئذ) (وإن نخرج من ذلك النزاع الحزنى
إلا بالظلم المقصوم - حيث لا طاقة لأهل الشام بحرب العراق ، وإنزعج
بنا فيها يجرمنا الأمن ، سيفنا صينا « على » العداة أبدا الدهر ، والمهاشميون
لا ينامون على فأر ، ولن يرتضى لأنفسنا أن نكون الأداة لتنفيذ مآرب
الآخرين ، في حرب لا ناقة لنا فيها ولا جمل ؛ فالدماء الثمينة (دماء بنى
قحطان) غالية ، ولا ينبغي أن تُهدر فى الخلداع والمؤامرات ، خاصة
فى ساحات ملوكهم للسيطرين عليه ١١

وكأن به يتأدى بأن مثل هذه الدماء الثمينة لا يسوغ لها أن تبذل
إلا فى الفتح ، وتوسيع رقعة ملك البيانين والعودة الإسلامية بفتح أرض
أخرى ، وليس فى صراع الخليفة الإمام المباح له مهما تسكن أهمية التقصد
من وراء ذلك .

هذا - وإظهار كل الخير في المباحة لـ « على » ورَفَضَ بيته رِدَّةً إلى الكفر أحدثها جماعة شريرة مُفَرَّضة تطرح الحق والصواب جانباً !!
٣ - الدعوة إلى عدم الخوض في مقتل الخليفة « عثمان » حقيقة قتله -
مجهولة حيث لا يعلم أحد حقيقة ما حدث له ، وعلى أى وضع كان مصرعه فقد انتهى أمر « عثمان » ولا مجال لإطلاق الاستماع إلى ما يُردَّد من اتهامات لـ « على » تصدر عن « معاوية » أو « عمرو » يسكن من خلفها الشر .

ويبدو من المآل إلى أوردها الشاعر « عياض » أنه كان مدركاً لمقتضى الموقف ، وردود أفعاله المتوقفة - لما أوتى من بصيرة نافذة -
قدمها في قالب نُصَح خالص لوالى .
غير أن حقيقة ما يدور في نفوس الولاة لا يدرك به أحد سوام -
كما أن تكييفهم للأمور يختلف عن تكييف غيرهم من العامة لها ، فهم على حرف من السلطة باعترافهم وولاة - فهم ما استمعوا إلى جديد من الآراء مما تمددت وتباينت فلن يتبينوا الصواب في غير آرائهم الخاصة -
التي ربما تكون قد انقذت في أذهانهم فور وقوع الحدث ، وانخدعوا لأنفسهم موقفاً منها ، ويعزُّ عليهم الأخذ برأى غيرهم - والسكن الولاة -
جرى دأبهم على الاستماع لما للآخرين من آراء لعل أن يكون من بينها الجديد الثاقب يستمعون إليه فقط دون أن يسيروا عفاناً قصد التنفيس لا التنفيذ ، وحيات أن تم استعابهم لعائب رأى إذا كانوا قد أضرروا غيره ، فالمسك ربما يميحهم عن البصر بالصواب ، ويُزَيِّن لهم سلامة ما يصنعون إلا من همم الله .

وفيا يتعلق بالوالى « شرحبيل » فإنه كان لا يدرى أحد بحقيقة الموقف لو لم ينضم إلى الوالى « معاوية » ويناصره ضد الخليفة « على » من بعد أن خادعه ، فلربما كانت المواجهة الحربية قد استعصمت على « معاوية » على الرغم من الدهاء والتدبير وأُشاعة الاتهام الباطل ضد الخليفة ، ولكن انضمام جهد وجند الوالى إلى الوالى كان الدافع إلى المناجزة ، والى لم تثبت جدواها دون إحمال الخيلة والدهاء فيما بعد بالباس النزاع حلةً دينية في الاتهام وحتى في القتال ١١

أما أنها استقرت في ذهن « شرحبيل » ودفعته إلى الإجابة بالمسير إلى « معاوية » فما أظنه غير الحرص من المسئولين على أن يكونوا دائمين في العصور قديم وضع الاعتياد بهم ، ولربما دَفَعَتْه الشهامة العربية إلى أن يسارع الوالى إلى عون الوالى إذا ما كان هناك ما يدعو إلى العون ، فكان أن سَقَطَ في حبال خداع الوالى الداعى المذارع دون أن يدرى .

وكانت الحصانة السياسية تقضى بمنع ما صنع « شرحبيل » خاصة من بعد أن أُلْقِيَ له الشاعر « عياض النخلى » الأتواء على جوانب الموقف فلم يدع له هُذْرًا في أن يتنازع إلى أحد غير الخليفة « على » وما كان يسميه غير الاستعجالة لما نصَحَ به الشاعر « عياض » حيث أظهرت الأحداث وصدقت فيما بعد أنه كان قد بذل محض النصيح، وعين العوالب له فيما يبذل من رأى .

المصانعة السياسية

للقوف السياسي : يَقدِّم « شرحبيل » على « معاوية » فيتأكل بكل
المعظام ويدخل على « معاوية » فيرحب به ثم يوجه إليه الحديث قائلا :
معاوية : يا « شرحبيل » إن « جرير بن عبد الله » يدعونا إلى بهيمة
« حل » وعلى خَيْرِ الناس - لولا أنه قتل « عثمان بن عفان »
وقد حبست نفسي عليك ، وإنما أنا رجلٌ من أهل الشام -
أرضى ما رضوا ، وأكره ما كرهوا .

ويأتي « شرحبيل » أن يأخذ الكلام على علته ، فيصرُّ على
الاستيذان بنفسه من حقيقة ما عرض عليه من اتهام شنيع لـ « حل » بقتل
الخليفة « عثمان » - وذلك باستطلاع رأى الناس ، والتدقيق فيه حتى
يدرك جلبة الأمر في هذا الاتهام فيقول :
شرحبيل : أَخْرَجْنَا نَظْرًا !!

التعليق :

أسلوب المصانعة يبدو فيما يلي :

(أ) المبادرة من « معاوية » إلى الاعتراف بتقصيره « حل » وأولويته
في حق الخليفة لما يتمتع به من خيرية على سائر الناس - حتى لا يظهر نفسه
في صورة المنكر لفضل وتقدم ثابت للإمام هو موضع الإجماع من الجميع
ولا يُنكر أحد أهليته له - ولما كان « معاوية » في موقف الحريص على
الاستمالة والكسب لـ « شرحبيل » لذا - نراه قد آثر التقديم للمعنى الذي
يفنى عنه شائبة الإنكار والمعاداة « حل » كراهة أن ينفّر منه « شرحبيل »

إذا ما اشتهى منه براحة لاسكار الفضل والتقدم للإمام في ذلك .
وطوى المعنى في صورة أسلوبية تقطع بقصر الخيرة على « على »
وتركزه فيه - ثقة منه أن هذا المسلك هو الذى يرضى « شرحبيل »
وهو بهذا يستميله إلى جانبه بإظهار توافقه مع ما يعتقد - ثم يبدأ لتصفده
بإيقاعه فيما أعده له من شرالك وأحاييل .

(ب) وعلى الإنزلايلث « معاوية » أن يطمئن « عليا » طمئة
تذهب بكل ما قطع له به من فضل وتقدم وخير باتهامه بقتل « عثمان »
الأمر السكتل بمحو ماله من تصدق وتقدم وخير .

فالتهمة تجريم المسمم ، والجريمة قتل ، بكل ما فيها من شناعة ،
والقتل للخليفة رأس الدولة الإسلامية ، والخطيئة القتل « عثمان بن عفان »
بكل ماله من وزن : كخليفة فهو « عثمان » ذو الدورين ، وهو صاحب
جيش العسرة وهو صاحب التجارة المفرقة دون احتكار أو كسب
تفضيلا للمثوبة والأجر الموهود بهما عند الله ، والمهم بقتل كل هذا
الإمام « على » صاحب الوزن والفضل الذى لا يمارى فيه ، ولا ينفسه
عليه أحد دلعا عن الإسلام / إذن - فقد حق ل « شرحبيل » أن يقول :
أَخْرَجْنَا نَظْرَ

(ج) قد أظهر « معاوية » أنه يقف متلبثا فى انتظار الرأى
القيصل فى أمر تلك الأحداث الخطيرة يتلقاه من « شرحبيل » ويتصرف
على هديه ، وأنه لن يبرم أمرا قبل أن يستطلع جليلة الأمر عنده لما لرايه
عنده من أهمية عظمى يظهرها له - وآراء الآخرين ليست تعدله !!

قدا - ألزم نفس عدم التصرف قبل أن يُبدى « شرحبيل » وجهة نظره الحاسمة ؛ فأكد متع نفسه تماماً من أى تصرف حتى يوجهه « شرحبيل » (حبثت نفسى عليك)

وأسلوب المصانعة فى هذا التمييز بين جبل ، فقد سبق أن تم إحكام التدبير من أجل نهج سلوك معين ضد الإمام ، وتمت فيه الاستمالة بدعاء « عمرو » ومشورته - كما تمت القوطنة والقوطين للرجال الوالين الذين أُعدوا لـ « شرحبيل » يرددون الاتهام على مسامعه أينما ذهب ، وحيثما حل . ولم يذو خلفيتها « شرحبيل » وليس من حصافة « معاوية » أن يُطلعها عليها مسبقاً .

(د) والمصانعة سياسة لـ « شرحبيل » دقت « معاوية » إلى أن يظهر أنه لا يبعد أن يكون فرداً عادياً من رجالات أهل الشام ، وقصر نفسه على ذلك بحسب^(١) ، ولم يحاول أن يظهر أمامه كوالٍ وحاكم يقف على قدم المساواة مع « شرحبيل » .

ولم تظهر الضعف مصانعة تفعل فعلها فى الاستمالة له أكثر حيث خلع وشاح أى تفوق عليه ، وارتدى ثوب الفرد العادى فى الرضى والكثرة . حيث جعل « شرحبيل » هو المحكم فى انتهاج أحد الطويقين - يميل به من الضد إلى الضد ، و « معاوية » بهذا يكون قد جعل من رأى الجاعى لأهل الشام وعلى الرأس منهم « شرحبيل » التقيص فى الأحداث

(١) لاحظ أسلوب القهر ما انا إلا رجل ..

تقديمه للجميع ومصالحة لهم بإحلال رأيهم المصل الأول ، وارتضى لنفسه
أيضا من هذا القبول أن يكون إلى الخلف من « شرحبيل » انتظاراً
لمسيرته يتابعه فيها كتابه أمين ، وإثباتاً بما يشير به بنفسه بكل
إخلاص وصدق .

وتدخل المصاحبة والنوابة على « شرحبيل » اذى ربما اتفق به أنه
الفرق لصبر الشام بأهلها وولائها ، وما يلتقى بجماعة إلا كانوا من
الوطنين فيجأونه بالهمة والاثام في عبارة مرسومة مرصودة تلقى إليه
في صورة خبر إعلامي متواتر يبعث على التصديق لنحوه لكثرة ترداد
الأسن له صادراً من عديد من الشخصيات في مختلف الأماكن والمسالك
(« على » قتل « عثمان ») حتى بلغ حد الاقتناع بثبوت التهمة ، فما
يملك إلا أن يرجع إلى « معاوية » قائلا له بمد طواف الاستبصار
المعروض عليه :

شرحبيل : يا « معاوية » أفي الناس إلا أن « عليا » قتل « عثمان » -
والله لئن بابت له لنخرجك من الشام أو لنقتلك .

معاوية : ما كنت لأخالف عليكم ، وما أنا إلا رجل من أهل الشام ..
شرحبيل : فرد هذا الرجل ^(١) إلى صاحبه إذا .

وما كان « معاوية » بطمع في أكثر من أن يقتل من الباقية
لـ « علي » التي آلى عليه « شرحبيل » ألا يفعلها .

(١) رسول الإمام « علي » المطالب بالبيعة له « جرير »

إذن - لقد نال « معاوية » عَيْن ما يَهْدَفُ إليه بالفؤاد إلى قلب
« شرحبيل » تطويها له بالسِر وفق ما يهوى وإن كان يخيل إليه أنه
حاسب الإرادة في التسيير لنفسه ، وتم له التوحيد لأهل الشام جميعاً من
خلقه تأييداً له فيما ينتويه - وإن كان يبدو أن الجميع من خاف « شرحبيل »
و « معاوية » انفراد العادى المؤتمر بأمره ، وتأكد له وقوف « شرحبيل »
بزعامة الليمانية في الشام إلى جانبه في الحرب لأهل العراق وتصدده لها
إذا ما استحكمت الظروف ودعت إلى الاختراب ^{بني}.

لقد أحى قلبه بالتقوية عليه بهمة جُنْد لها من ثَبَّتْها في نفسه ، وأدخل
عليه أنه صاحب الكلمة الأولى في تحديد مصير الشام وأهلها ، فلم يمد
من مجال « شرحبيل » أمام دهاء السياسة وأسلوبها في المصانة سوى
أن يصحَّ نظره في حرب العراق بزعامة « حلي » III

وبهذا الأسلوب السياسي لم يتمكن « معاوية » من مجرد التجهيد
لوالى « شرحبيل » والليمانية المؤتمرة بأمره وتقسيمه في الولاية على الشام
حفظ وإغما تمكن من التجهيد له وضم تلك القوى إلى صفه ، وتطويعها
من أجل تحقيق غرضه ، واستطاع أن يوقف الشام وأهلها وولائهم في وجه
الخطيئة « حلي » الناهض بمسئوليته في محاولة ممارسة سلطاته ، ومباشرة
حمايته في سائر بقاع أرض الخلافة .

المواجهة بين « جرير » و « شرحبيل »

مسألة وتنفيذ : ويترجم « شرحبيل » مباشرة مهامه كرجل الشام.
الأول كما أدخل عليه ، فيبحث في طلب « جرير » رسول الخليفة الإمام.
عن طريق « حصين بن عمار »^(١) ويلتقي به عنده ، فيبدأ « شرحبيل »
السلام قائلا :

شرحبيل : يا « جرير » أتينا بأمر مَلَفٍّ لقتلنا في لموات الأسد ،
وأردت أن نخط الشام بالعراق ، وأمرت « عليا » وهو

قاتل « عيان » والله سائلك عما قلت يوم القيامة ١١

جرير : يا « شرحبيل » أما قولك : إني جئت بأمر مَلَفٍّ - فكيف

يكون أمراً مَلَفًّا وقد اجتمع عليه المهاجرون والأنصار ؟

وقول على رَدَّة « طلحة » و « الزبير » .

وأما قولك : إني ألتهمك في لموات الأسد في لمواتها أَلْتَيْتَ .

نفسك .

وأما خط العراق بالشام فخطبهما على حق خير من فرقهما

على باطل .

وأما قولك . إن « عليا » قتل « عيان » فوالله ما يديك

من ذلك إلا التَّدْفُّ بالنهب من مكان بعيد ، ولسكنك مَلَتْ

إلى الدنيا ، وشيء كان في نفسك على زَمَن « سعد بن أبي

وقاص »

(١) أرسل إليه « حصين » أن ذرنا فإن عندنا « شرحبيل بن السمط » .

المسألة

والمسألة من « شرحبيل » طائفتها التبهيم ، وتدور حول إعلام « جرير » بأن ما يدعو إليه من طلب البيعة له « على » ليس غير أمر حافق مردود ، ويتعامل عليه زاعما أن تلفيقاته هذه سيُتَّهم فيها الإيقاع بأهل الشام في مجزرة عربية يشنها عليهم « على » يسكون فيها الضياع لحلم ، ثم ينسكِر عليه السعي إلى ضم الشام إلى العراق ^(١) ، ويتبع هذا النعي على « جرير » أن يُطْرَى في حديثه « عليا » وهو القاتل له « عثمان » (طبقا لما زعم له) ويحتمل قلة التبهيم في تساؤلاته بإدخال (الله) جلَّتْ قدرته حكما عليه في تلك الأمور التي سببائه منها يوم القيامة .
وهذا إيمان في التخويف له « جرير » عليه يراجع نفسه بعدد ما أتى به من أمر طلب المبايعة .

التفويض

وكان لابد لـ « جرير » من أن يفند تلك التساؤلات ليصح موقفه ، فحاذاه يتناولها واحدة واحدة يفندها بطريقة تذهب أثر الطامع التي أوردت عليها .
فتراه وقد استشهد على صحة الأمر الذي أتى به (طلب البيعة) بأنه

(١) ويبدو أن ولاية الشام كانوا من ذوي الميول الاستقلالية الذين يميلون إلى الانفصال عن جسد الدولة الأم .

عند أجمع على صحته كل من المهاجرين والأنصار - أصحاب الحل والعقد الذين لا يُنقض لهم رأى أجمعوا عليه في المجتمع الإسلامي .

وبهذا - أسقط زعم (التلقف) وفند ادعائه الجر لم إلى عقده جان « جرير » لم يصنع بهم ذلك ولا يريد ، وإعالم صنموا ذلك بأنفسهم بردم الهمة خلافة ضبيعة ، وفند ادعاء الخلل للشام بالعراق - بلإثبات انفساح نظره وامتداده عبر الأقاليم الإسلامية بالتبجح والضم لما على الحق والصواب الكفيلان بحق الخيرة لسائر الأعصام الإسلامية - وقد جرى الأمر على الاجتماع لا الفقرة والتعزير لأطراف الأمة ، ثم أسقط دعواه في الاتهام لـ « حل » بالمثل لـ « عثمان » - بأن هذه التهمة لا تمدو غير أن تكون قدفاً دون تثبت ولا دليل يشهد على صحة الرمي بها - وما دام لم يشهد الواقعة فلا يجوز له أن يهرف بما لا يعرف ! و « جرير » بهذا يكون قد فند وأسقط سائر الكهجات بأجوبة فيها الإقناع لمن يريد أن يقتنع حيث لم يبق لديه أى شك يدموه إلى الممارسة .

وعندما رأى « جرير » أنه قد كسب الجولة في نفى التلقف والاتهام واغفلت السوء تابع ذلك المعجوم على « شرحبيل » فاعياً عليه السبب الإصحاء إلى الممارسة لهية الإمام مرجعاً ذلك إلى عوامل نفسية تدفع به إلى الحب للدين الذي لن يعجزه عن التمس للأعذار التي تميل به إليها هذا - إلى المقد النفسية التي استقرت في نفسه تتوجه لأشياء داخلها

منذ زمن بعيد كان على أيام « سعد بن أبي وقاص » تستثير نفسه الآن
وتحول بينه وبين متابعة ما هو حق وصواب .

وَيَقْصُرُ الْمَوْقِفَ عِنْدَ هَذَا الْخَدِيعِ الرَّجُلَيْنِ — غير أن التضمين
من « جرير » على التصحيح لموقف الوالي « شرحبيل » ليعمل معه
يساوره من شكوك أدخلت عليه قيا يفتلي بسلامة موقف الإمام وحده
خلافة دفعه إلى أن يلاحق « شرحبيل » والموقف في سخولته أدمى
إلى الآن والتعديل ، فإن كان من « جرير » إلى أن يمت إلى « شرحبيل »
برسالة شمرة غيب انصرافه عنه وفيها يقول :^(١)

« شرحبيل » يَا ابْنَ السَّمْطِ لَا تَدْبِعِ الْهَوَى

فَأَنَّكَ فِي الدُّنْيَا مِنَ الدِّينِ مَنْ يَكُلُ

« شرحبيل » إِنَّ الْحَقَّ قَدْ جَدَّ جَنْدُهُ

وَأَنَّكَ مَأْمُونُ الْأَدِيمِ مِنَ النَّسْلِ

فَارْزُودَ وَلَا تَقْرُطْ بِشَيْءٍ تَخَافُهُ

عليك ، وَلَا تَسْجِلْ فَلَا تُخَيِّرْ فِي الْمَجْلِ

وَلَا تَكُ كَالْجُنْرَى إِلَى شَرِّ غَائِبٍ

فقد خرق السَّريال ، واستنقوا الجبل .

وقال (ابن جند) : في « حل » غضبه

وفيه في صدر (ابن أبي طالب) أجل .

وما لـ «علي» في «ابن عفان» سقطه
 بأمر ، ولا جلب عليه ، ولا قتل
 وما كان إلا لازماً قهره
 إلى أن أتى «عنان» في بيته الأجل
 فن قال قولاً غير هذا فحسبه
 من الأور واليهقان قول الذي أحقك
 وصي رسول الله من دون أمه
 وقاربه الأوثى به يشرّب النكّل

البيان الأدبي :

التصيدة في النص ، وتركز فيها : المعاني التالية :

(١) التهم لـ «شرحبيل» عن اللألاء لـ «معاوية» لأن فيها يميناً
 لديه بالدنيا ، وانها ما معيها للهوى .

(ب) للطالبة لـ «شرحبيل» بأن يصحح لـ «معاوية» موازنة
 الفكرية فقد بات من الجلي أن تملّقه بمحاولات الهدم ثلاثة «على»
 وإمالتها نحوه أمل يجب أن ينقطع تملقه به ، ووقوف «معاوية»
 هذا للوقف يلقى كل حرمة له ، ومستولية «شرحبيل» عن التصحيح
 لفكر «معاوية» أمانة قد تملّقت في حقه .

وكان في به يني أن يصحح والي الشام «شرحبيل» مستولية
 في جزء منها بالتصحيح لفكر زميله «معاوية» والي الآخر بدلا
 من أن يعاضدا على مقاومة الخليفة الشرعي في محاولة مباشرة
 (١١ - أدب سياسي)

سلطاته وبسطها على سائر أرجاء أرض الخلافة ، ومقاومة أفكار
التجزئة والتفليس لأوصال الدولة الأم ، بمحاولات الانفصال
والانفصال الضمنية للممثلة .

(ج) التهديد لـ « شرحبيل » من تدافع الحوادث غير المتوقعة القماد
خشية أن يجرّ إلى أواخر العواقب — خاصة أنه قد آن للحق أن
ينقصر ، ومثل « شرحبيل » لا يرجى منه أن ينقصر إلا للحق
لهبته من دوائر النفس وسخاها .

(د) التهديد لـ « شرحبيل » من سوء عواقب التعجيل والإفراط في
المبالاة (معاوية) حيث لاخير في التعجيل في ذلك — لما فيه من
مماضة للحق ، وتوهين للأمة — وقد سبق التهديد في معرض النصيح
عليه يستجيب لداعي التريث وعدم الاندفاع في تيار الانحراف
الخطير . خشية أن ينساق دون أن يدري في تيار الاندفاع فتجرّبه
الأحداث في تداعها إلى شرّ غاية قبل أن يتمكن من كبح جماحها
فتلقى به إلى الهاوية .

(هـ) الحكم على الادعاء بأن (علياً) قتل (عثمان) ما هو إلا محض
كذب ، (وابن أبي طالب) أعظم من أن يرتكب تلك الخيانة
لأنه يرى الله ، وهو يرى من ذلك براءة تامة — حيث لم يباشر
قتله ، ولم يحرض عليه ، ولم تكن له يد فيه — وقد راى الشاعر
في نفي اتصال « علي » بتهمة القتل لـ « عثمان » سلوك أسلوب
التدرج في النفي من الأدنى إلى الأعلى فبدأ بنفي تبرد ارتكاب

الاستغلة في أمر يتعلق به «عنان» ثم يقضى الجلب القاسمى للمالء عليه ، ثم رُق في النفى إلى قى القتل ميتة .

وبهذه الدقة في نفي تفاصيل للشاوكة من الإمام في قتل الخليفة «عنان» على أى وجه من الوجوه كان يمكن حدوثه — يكون الشاعر قد أبرأ «عليًا» من تهمة القتل براءة تامة بقوله :

وما لـ «علي» في «ابن عنان» سقطة

بأسر ، ولا جلب عليه ، ولا قتل
وقد بنى الشاعر أمر البراءة لـ «علي» على الخبيثيات التى غمّتها
آبياته العالقة حيث بين :

أن «عليًا» كان ملازمًا لِقَر داره لا يبرحه حِفَاظًا على نفسه أن
يُرى برشاش الفتنة ، وظل على ذلك إلى أن وافى «عنانًا» أجله .

وبناء على هذا أصبح التحدث في حق «علي» بغير البراءة لا يهدو
إلا أن يكون جهنمًا وزورًا لا يَحْتَمِل وزره غير القاتل به — فـ «علي»
هو الوصى الوحيد الذى عليه السلام من بين أهل بيته ، وهو القارس
الملقى تُشْرَب الأمثال بشجاعته دفاعًا عن الإسلام .

ويستحيل على صاحب تلك المنزلة المثل أن يتورط بأي صورة من
الصور في أمر تلك الفتنة .

توالي النص لـ « شرحبيل »

الوقوف السياسي : ويتلقى « شرحبيل » قصيدة « جرير بن الله »^١
رسول الإمام التي يتصحح فيها بعدم تمثيل الأمور كرامة أن
تكسبه أحداثها دون أن يتبين حقيقة ما تنطوي عليه ، فذمر وأخذ
يُعمل فكره فيما سمع من « جرير » .

فـ « حل » يرى من دم حنان و « حل » الحق إلى جانبه
و « حل » قضى النبي عليه السلام ، ودرس أمة الإسلام ، ومقولة
« معاوية » عرض اختلاق لم يتم عليه دليل ، و « شرحبيل » بحسب أنه
في موقف التفرير به من قبل « معاوية » وهو المسئول عن التصحيح
لتسخر الرواي « معاوية » وإن لم يقتنع بالصحة فلا أقل من أن تسلم
لـ « شرحبيل » شخصيته من أن تخدع أو يفرد بها في سوق السياسة .
وبسبب « شرحبيل » لنفسه إثر نقطة مشامره التي تأخرت بالنصح
أدى سيق إليها في قالب وجداني اهتزت له أوتار قلبه كمرزقي تهتز
نفسه لشعر — فما كان منه إلا أن قال :

« هذه نصيحة لي في ديني ودنياي — ولا والله لا أُجملُ في هذا
الأمر بشيء وفي نفسي منه حاجة »^(٢) .

نقطة نفسية دفع إليها الأسلوب الشاعري يحاول فيها « شرحبيل »
أن يطلب البراءة لنفسه مما يتهددها ديناً ودنياً — ولكن هل كانت هذه

المنفعة كهيئة بدفع « شرحبيل » إلى سلوك نهج السلامة بالاستجابة لما نصحه به « جرير » ؟

إن الأحداث التالية قد أثبتت أن التآمر المحكم للمد لجذب « شرحبيل » إلى جانب « معاوية » ليقتل الشام كله في وجه العراق إن نُصِرَ للعرب أن تنشب بينهما كان أقوى من أى نقطة وأى نصيح ! فقد نشطت جماعة التلغيف والتلفيق للهمة للعمل من بد أن أدرك « معاوية » أن الأمر يوشك أن يُقْلَت من يده، ويستعجيب « شرحبيل » لنصح « جرير » فأخذوا يتقاطرون عليه دخولا وخروجاً وم يظنون من أمر التلغى اغتيالاً للخلوة « عتيان » ويرمُون « علياً » بارتكاب هذا الجُرم ، ويؤمنون عليه الشهادة بذلك باطلاً^(١) ، ويوزون له كُتُباً تقطع بذلك .

وبما عظم الزيف على « شرحبيل » فيضنف عن مقاومة الأكاذيب التى أُجيد إدخالها عليه نَحْلًا صَدَقًا ، فانقلب رأيه إلى حمية عارمة لقتل الخليفة « عتيان » وشَهِدَتْ عِزَّتُهُ تمصّباً ضد الخليفة الإمام للفتى عليه .

ويبلغ ذلك قومه حيث ولايته (حمص) في شمال الشام فهِزُّ عليهم أن يتركوه دون عنف في النصح وقد قُشِيت عليه الأمور بفضل الهداء السياسى لـ « معاوية » فينهض من بينهم « البارقي »^(٢) وقد حاله أن يرى

(١) راجع النص آنفاً

(٢) ابن أخت « شرحبيل » ، وكان ناسكاً متعبداً وكان من تابع « علياً » ، ولحق به من أهل الشام .

[خاله] وقد أشرف على الوقوع ضحية الخلداع والتزييف الذي يُعْمَدُ به عليه فأنشد باحاً (خاله) فاعياً عليه سوء تصرفه فقال : ^(١)
لسر «أبي الأشتي» - ابن هند «لقد رمى

«شرحبيل» بالسهم الذي هو لانه

ولف قوماً يسحبون ذبولهم جوعاً ، وأولى الناس بالذنب فاعله
فأنق مجاهداً ضعيفاً غناه إلى كل ما يهون تحدي رواجه
فطاماً لما لا رموه بقتلها ولا يرزق القنوى من الله خاذله
ليأكل دثماً له ابن هند يدينه ألا وابن هند قبل ذلك أركله
وقالوا «عل» في ابن عفان «خسة» ودبت إليه بالثنان ^(٢) غوائله
ولا والى أرضي نهرأ مكانه لقد كف عنه كفسه ووسائله
وما كان إلا من صباب «معد» وكظم تفسلي عليه مراحله
البيان الأدبي :

المنف في الفصح نراه قد انصب على ما يلي :

- (أ) التأكيد على أن وإلى الشام قد أوقع وإلى حص في أحابيله التي
لن يعبو منها ، وبهذا يكون قد قضى على المستتب السباسي
والدبني له ، وأسقط ذرة المدين المثة في شخص حاكم في (حص)
(ب) استخدم في التلغيف والتلفيق عليه القوم من ساحي القبول ومن
ذوى الثقة عند «شرحبيل» ^(٣) مما جعل نفسه تضصف وتحملي
إلى التأثير بما يقولون .

(١) وقمة صفين ص ٤٩

(٢) لثنان بفتح العين البعض - وهو لنة في الثنان .

(٣) راجع اللقاء الأول بين معاوية ، و «شرحبيل»

= شير = اسم جيل

(ج) التعريض بضعف «شرحبيل» حَقْلِيَّتِهِ لثبوت من أجل كرامته ،
ويقف في وجه صنيع «معاوية» وما يديره من سياسة ،
ولا يضعف أمام حيله وتدبيره ، ويزيده تقريباً بدمته أنه ما ضعف .
واستعجاب لهم إلا حياً في الدنيا (ليأكل دنيا) يقال منها :
هل قدر التفريط في دينه ، ولكن الهداء السياسي لـ «معاوية»
سيحرمه مما يؤمل . فسَيَقْنَى عليه قبل أن يهاجها نال .
(د) القول على «علي» ليس غير خدمة دفعت إليها البغضاء ، فما كان
«علي» غير مصاحب لـ «محمد» على الوفاء والحب والإخلاص
والفداء بما أثار من أجل الحقد عليه .

ويتصل أمر هذه القصيدة بـ «شرحبيل» فدفعل بها نفسه وثوره
ويدلنا من أن تستفيق من النشأة التي حَرَمَتْها الاحتذاء إلى حقيقة الأمر
فرى التلقين والتلفيق وقد تمسكن من نفسه حرمة بصيص نور الحق
فاندفع بكليته سائراً في الطريق الذي رَسَمَ له دون أن يدري وهو يعتقد
أنه عين الصواب .

ولربما كان التمييز له بأنه الثباتي الضعيف المَسْوَق إلى حيث يراد له
خضوعاً منه لضروط تعرض لها ، وبأنه الطامع في الدنيا جاء ينشدنا
هند «معاوية» قد دفعنا إلى أن يسد أذنيه دون النصيح الوافد عليه
من قبل قومه^(١) وذوى رحمة .

(١) راجع اصح قوم «شرحبيل» له قبل وفود على «معاوية» .

زولجا كان الغزاة في شخصيته بالضعف ، وفي دينه بالرقة نتيجة
 لحب الدنيا كانا للشيئين لانعدام التردد عند « شرحبيل » بل والاندفاع
 في خط « معاوية » لثبوت قوة شخصيته السياسية كوال يحكم الحسم
 للأمر — تراه لا يرى حزمة لعلة الرجم بينه وبين « الهارقي »
 ابن أخته ، وبدلاً من أن يتصارع لتصفه إذا به يهيمه بأنه : رسول
 للشيطان ، ويهدده بتسييره إلى « معاوية » لينتقم منه — باعتباره الخرب
 عليه سياسته ، وما يهدف من وراءها .

ولا يجد « الهارقي » من وسيلة يضمن بها الأمن على نفسه وقد
 تهدده خاله الوالي سوى أن يتأخر الشام بأسره ويلحق به « على »
 في الكوفة — وما جدوى النصيح حتى ولو صيغ من دور القول في قالب
 شرى إذا كانت النفس قد مالّت إلى الدنيا كما قال الشاعر بما أعماها
 عن القهر بالحق ١٩ .

إذن — قد أصبحت في موعد مع التهلك وعدم الإدارة ، وانفتح
 الطريق أمام الخدمة لتتفقد إلى نهايتها مظلّة بأطراف تكسوها بأثواب
 الذين لتنتل على أهل الشام — وقد هيء لها وجلها الذي أهدّ له دوره
 لينهض به كاملاً من بعد أن صح اقتناعه بما لُتق له ، ولُتق عليه ،
 وأصبح وإلى حمص يمثل مغلب القط في الدور السياسي الذي لمبه
 لحساب وإلى الشام في محيط دوائه وجبله السياسي .

مسيرة التآليب ضد الخليفة « علي »

الموقف السياسي : وما يليق « معاوية » وقد أدرك أن زعمه
الوالي « شرحبيل » قد أصبح مهيئاً لإنفاذ دوره من بعد ما كان بينه
وبين ابن أخيه حق يأمره بالسير في مدن الشام منادياً بأن « عليا »
مُهل « عثمان » فسكتب إليه قائلاً :^(١)

« إنه كان من إيجابتك الحق ، وما وقع فيه أجرك على الله ، وقبله
هناك صلحاء الناس ما خفيت ، وإن هذا الأمر الذي قد مرغته لأبهم
إلا برضا العامة ، فسر في مدائن الشام ، وناك فيهم بأن « عليا » قتل
« عثمان » وأنه يجب على المسلمين أن يطلبوا بدمه »

التعليق :

واللفت للنظر في الرسالة هو أسلوب الإنفاع المقيم على الرغم من
إقامته على أساس غير صحيح .

حيث بدأ بإقناعه أنه قد بلغ مرحلة من السير في طريق الحق الذي
أوجب له الأجر ورضى به الصلحاء من مواطن الشام — وما دام الأمر
كذلك فلا يسوغ لك القوتف أو الرجوع عن السير ، وهذا تضيق للفتن
على السامع حيث لم يكد له مهرب من إتمام المسيرة إلى نهايتها من بعد
أن تورط فيها شارك فيه — إذن فلا رجعة

ثم يوجه سؤالا إلى النشأة في الشام بأن « عليا » قتل « عثمان »
لعمل من وراء ذلك إلى الإنفاع الجماهيري لأهل الشام بصحة التهمة ،

و « معاوية » يبنى من ذلك التكتيل لأهل الشام وراء دعوى المطالبة بدم « عثمان » .

وهكذا تصبح الرسالة إقناعاً في إقناع من بدئها وحق نهايتها . وكل هذا يتم في « معاوية » مُتَتَكِنٌ في دائرة الظلام بدبّر ، وبترك أتباعه يظهرون معادين بما يريد في وضوح النهار — من بعد أن يكون قد صرح له الانقضاء للأتباع من ذوى التأثير في جواهر العامة لفُرْطِتهم بهم . و « معاوية » في هذا كوالٍ على بعض الشام يكون قد تمكن من الكسب لوال (حمص) الشام وضمه إلى صفه طبقاً لطريقة إقناع أدخلها عليه ، ثم استخدمه بعد ذلك في الترويج لأهل الشام جميعاً بترويج دعوى قتل « علي » لـ « عثمان » .

إنها دنيا سياسية يمتد لها دعاتها وهي ما تزال مجرد مشاريع يفتنى منها الفكر ، ويقول قيادة التنفيذ لها داهية محنك ، ويستخدم الصنائع والأتباع يرسم لكل دوره في مقابل الوعد بقطعة من الدنيا تناسب الدور الموكول إليه تنفيذه — وربما لا يتأله شيء مما وعد به . فالسياسة تجفوا الأخلاق .

وكان من الطبيعي أن يبدأ « شرحبيل » التنفيذ بمباشرة دعوى التأليب ضد « علي » بين قومه وأهل ولايته وقتته من أهل الشام في (حمص) فصار إليها ، وما أن بلغهم حق وقف فيهم خطيباً فقال :^(١) « يا أيها الناس — إن « علياً » قتل « عثمان بن عفان » .

وقد غضب له قوم فقتلهم^(١) ، وهزم الجميع ، وغلب على الأرض فلم يبق إلا الشام - وهو واضح سيفه على عاتقه ، ثم خاض به غدار الموت حتى بأنكم أو يحدث الله أمراً ، ولا نجد أحداً أقوى على قتاله من « مادية » فعذروا وانهمضوا »

التعليق :

(أ) الغلبة تمثل إشارة الهدى بالحشد والتسكيل لأهل الشام يستعدوا لقاء « على » المنتصر في معركة (الجمل) والفتنة للاتحاد عليهم في الشام .

(ب) التصدير للخطبة بالصاق تهمة القتل لـ « عثمان » للإمام ، وإيرادها في صورة الحكم المتطوع بشيئ^(٢) مع الاستغلال للعاطفة الدينية لإلهاب مشاعرهم وحفزهم على الحشد والتسكيل - ولا أشد من العاطفة الدينية جُلُبا للقلوب وحَفَزا للهمم .

(ج) إظهار « على » في صورة المتعشش للدماء دون رى ؛ حيث (قتل « عثمان ») ومن غضب من أجله (قتلهم) أيضاً - وفي هذا الغضب لأهل الشام أن خطر القتل يهددهم مثل سابقهم ذ « على » الآن (وسيفه على عاتقه) وليس لهم من ناصر منه سوى التهور لقاتله .

(١) إشارة إلى من قتل في وقعة الجمل .

(٢) الجملة اسمية أكدت بيان وجاهة بعد التهديد لها بالتداع النسيبي بأها الناس عما يشجأهم بحكم ثابت أكد مقرر عما يعين على تقريره في نفوسهم

« د » التعزيز من خطورة « حل » فهو الذى (غلب على الأرض) ولم يبق أمامه سواكم ، وهو لن يعوان عن خوض (غمار الموت) إلى أن يصل إليكم فإن يفلتكم ، والرجل منقسم وأنتم قلة بالنسبة لمجروح الأرض التى احتازها — وفى هذا استتارة لروح التضامن بين الأقليات لتقاوم طغيان السكينة الزاحفة التى ضوشت لهم ، وبقي على هذا الدعوة إلى النهوض لقتاله حيث لم يبق سواه عاصماً من الخطر الماحق وصورة القتال أضعفاء الله المبتدئ الوحيد ، وأتى به فى المقابل للحق مضمناً إياه قوله : (أو يحدث الله أمراً)

« هـ » أوضحت الخطبة صورة التوزيع للأدوار على أشخاص القامئين بأمر التدبير ضد « حل »

فـ « معاوية » قد برز فى صورة البطل الحامى للنشود للخلاص من خطر « حل » حيث لا نجد أحداً أقوى على قتاله من « معاوية » وارتضى « شرحبيل » لنفسه أن يكون الداعية له — وعلى الرغم من أن « معاوية » و « شرحبيل » كلاهما واليان على أقاليم شامية غير أن كلاهما قد اختار لنفسه دوراً يتلاءم وقلة السياسى طبقاً لقدرته وكفاءته .

فـ « معاوية » (داعية البلاد)^(١) وصاحب الوزن الثقيل بين القبائل العربية ، وابن الحامى تجارة العرب إلى الشام ، وأعرف الناس بالشام وأهلها منذ أمد بعيد ، وأطول الناس ولاية عليها امتدت زمان

(١) راجع فى هذا الوصف قصيدة ابن أخت هـ مروى بن العاصم الموجهة حته إلى عماله .

حكم خليفة (عمر ومثان) وقد بدأ القنادى به بطلا حاموا للشام بأسره .
وارفضى « شرحبيل » لنفسه دور الدامية ومغلب القط فى منتظ كان
فيه المدحوع المؤلف عليه ^(١) .

وكان لابد لهوى التهويج العاطفى للجهاد من أن تصبح فقلوب
مشارم نيسة جيبوا لما دون إدراك الحقيقة الأمر فيها فالجهاد لا عقل
لما III

صوت المعارضة

الموقف السياسى : غير أن الصلاء من أهل (حصر) لم تطلع عليهم .
موجة الحاس المعارضة فتقدم صوابهم ، فقاموا إلى شرحبيل بمادونه ،
ووقامون مسلحة مقاومة يمكن أن يقال فيها إنها سلبية غير أنها كفيلا
بإشعاره أنهم غير راضين ، ولن يشركوه فيما يفعل حيث قالوا له :
« هيوثنا قبورنا ومساجدنا — وأنت أظلم بما نرى » ^(٢) .

إذن لقد أخذته المعارضة بإشارة ذكية أن ما يأتيه « شرحبيل » .
فوقه لا يمكن مقاومتها ، فلا أقل من أن تستزورها ويلزموا مساكنهم ^(٣) .
ثم يشركوه فيما وراء ذلك يتحمل المسئولية وحده كوال .

(١) راجع قصيدة (البارقي) الموجهة إلى خاله (شرحبيل) .

(٢) وقعة صفين ص ٥٩

(٣) أخذوا بحديث النبي عليه السلام مما يسلك أثناء الفتن من قوله : « الزم
بيتك ولو أن تمض بأصل شجرة » .

ولم ينف صوت المعارضة عند هذا الحد، وإنما نجده يسلك طريقاً
آخر غير طريق المقاومة السلبية من الذين فضّلوا الدولة؛ فرى
« النجاشي الحارثي »^(١) يرفع صوته بالصالح الوالي « شرحبيل »
وتمخّذ به مغبة الاشتراك في أمر لا يدري حقيقة، فبعث إليه يقول :
« شرحبيل » ما لذيّن فارقت أَسْرَنَا ولكن لنفرض لك « جبريل »
وشعنا دَهَتْ بَيْنَ « سَدِّ » وبيته فأصبحت كالحادي بنهر بغير
وما أنت إذ كانت « بجيلة » عابثتْ قُرْبَتَا فَيَا اللَّه بعد نصير
تفضل أمراً غَيَّت عنه يَشْبَه وقد حَارَ فيها عقل كل بصير
يقول رجال لم يكونوا أممسة ولا لى أقوكم محضور
وما قول قوم غائبين تقاذفوا من الغيب ما دَلَامْ يشرور
وتترك أن الناس أعطوا هودم « عليا » هل أنس به وسرور
إذا قيل هاتوا واحداً يقتلونه^(٢) نظراً له لم يُفصِحوا بنظير
لملك أن تشقّ الغداة بحره « شرحبيل » ما ما جئته بصير
البيان الأدبي .

التصديده من نصح الصديق للصديق، وغواها يعطوى هل تايلى :
(أ) القى على « شرحبيل » صنيعة الدعاء ضد الخليفة « على » بأنه
يقوم بدعوى للفرقة ولشقّ حبسا الجماعة ومن أجل الخروج على
الحق، وهذا أمر ليس من الدين في شيء، وربما كان دافعه

(١) واسمه « قيس بن عمرو بن مالك » وكان صديقاً لـ « شرحبيل »

(٢) ضمن الفعل معنى تطلبه - لهذا عدى الفعل بغير الياء

الفيض لشخص « جرير » رسول الخليفة « علي » نتيجة لشعنا .
كانت بين (بجملة وبين قریش) .

(ب) الدعوة لـ « شرحبيل » أن يراجع نفسه - فلا ينبغي أن يكون
فِيصْلًا في أمر لم يشهده بنفسه اعتماداً على مجرد شبهة ثارت ضد
الإمام ، أو ارتكازاً على قول مَنْ لا يعتدُّ بهم من غير الرؤوس
في القوم (لم يكونوا أئمة) ولا متابعة مشوائية لهمة تلقاها من
لم يحضروا واقعة الاتهام - مما يقطع بأن الجميع قد قذفوا
الإمام رَجْماً بالغيب .

(ج) النصيح لـ « شرحبيل » ألا يَقْناسي ولا يفارق البهمة الأكدة
للخليفة « علي » التي عَمَّتْ له عن اختيار ورضى ومحبة فقد عاده
الجميع (على أنس به وسرور) ولا يوجد من يمد له قيادة
وريادة الأئمة - وهذا تمرير بـ « معاوية » وبـ « شرحبيل »
لوقوفه إلى جانب الضمف المفضول .

(د) التأكيد للصدیق أنه قد ارتكب جَرَمًا فظيماً بانغازه موقفه
هذا - ولربما جَرَّ على نفسه الشقاء بدخوله حرباً ضد الخليفة
« علي »

وفي هذا تمرير بموقف الخسران تجاه « معاوية » مما يمكن
اعتباره نصيحاً من طرف خفي للصدیق أن يتدارك نفسه قبل فوات الأوان
وضياع الفرصة ؛ فالمشاركة في مقاومة الخليفة الناهض بمسئوليائه اعتماداً
على مجرد شبهة قامت ضده لم يثبتها أى دليل - أمر أقل ما يقال فيه
لأنه حدث خطير لا تؤمن منهته (« شرحبيل » ما ما جئته بصغير)

مواجهة بين «جرير» و «شرحبيل»

الموقف والبيان : ويدخل « شرحبيل » على « معاوية » مطالبا إياه بالنهوض بواجبه في المطالبة بقتل « عثان » وعنده « جرير » من بعد أن قام « شرحبيل » بنشر التهمة المدعاة بين الخصمين من أهل الشام - قال (١) :

« شرحبيل » لـ « معاوية » - أنت جليل أمير المؤمنين وابن عمه (٢) ، ونحن المؤمنون ؛ فإن كنت نجاهد « عليا » وقتل « عثان » حتى ندرك بشارنا أو نفقأ أرواحنا استعملناك علينا ، وإلا عزناك واستعملنا غيرك ممن نريد ، ثم جاهدنا معه حتى ندرك بدم « عثان » أو نهلك .

جرير (متدخل) : يا « شرحبيل » مهلاً فإن الله قد حقن الدماء ، ولم يثبث ، وجمع أمر الأمة ، ودنا من هذه الأمة سكون ، فإياك أن تفسد بين الناس ، وأمسك عن هذا القول قولك . لا نستطيع رده .

شرحبيل - لا والله - لا أسره أبداً .

ويخرج « شرحبيل » فيتكلم في الناس عجاهاً بأمر التهمة فلا يملكون وقد أجهت مشاهرم إلا أن يقولوا : صدق صدق - القول مبالغ . الرأي مارأي .

(١) وقعة صفين ص ١٠

(٢) يعني « علياً » ،

وهنا - يقتنع « جرير » وقد سمع ، ورأى ما رأى أن لا أمل في نجاحه في مهمته لدى « معاوية » وعامة أهل الشام .
التعليق :

وبما كان الموقف الحوارى بين « معاوية » و « شرحبيل » يحضر « جرير » قد أعدّ قبلاً كأحد الخطوط المحددة خفية كيدا للخليفة « على » غير أن الحوار قد أبان عما يلى :

(أ) إظهار « معاوية » في صورة الولى الشرعى وصاحب الحق في المطالبة بدم « عثمان » (ابن عمه) وإيضاح أن القتال المتوقع شبه على الخليفة « على » ما هو إلا جهاد مشروع أخذاً بالتصاوص من قبل الخليفة القتال « عثمان »

وبناء على ذلك يكون التشدد الصادر من الوالى « شرحبيل » وللوجه إلى نظيره « معاوية » والتهديد له بالزلزال ما هو إلا حث له ودعوة إلى اتخاذ الخطوات التنفيذية لحرب الخليفة « على » ويسكون « شرحبيل » قد أظهر نفسه في صورة الصوت المبرر من رأى الأمة ونسى أو تناسى أن هناك الخليفة « على »

(ب) بيان اكتمال وحدة الشام في وجه الخليفة « على » من بعد أن وضع والى (حمص) نفسه ضمن هداد (المؤمنين) بحق « معاوية » في ولايته حق المطالبة الشرعية بدم (ابن عمه) وفي هذا إعلام للبعوث « جرير » بالجبهة التى تكونت في مواجهة « على » وأنها تضم الشام بأسره ولاة وعسكروهم .

وما كان لـ « معاوية » أن يصعد وقد برز اسم على صدر الأحداث
قد تولى المدخول الأمر عليهم ، وجماعة للصائمين له مهمة التجسيد
للقوف بهذا منه ، وصبح له أن يصمت انتظارا لتعرف على رد الفعل
عند مبعوث « على » وقد أُلقيت أمامه قنبلة (للطالبة بدم « عثمان »)
وخصرت ولاية المطالبة بدمه في « معاوية » .

ويجب « جرير » على النقاش الحوارى اقضى طرح بمضوره فبين
أن الأمة قد تهيأت لسكون وهدوء يؤمل لها أن يندوما بعد الاقتتال
والاحتراب إثر المخالفة للإمام للهايم له « على » والتحذير لـ « شرحبيل »
وغيره من محاولة إثارة الصراع الداخلى للدمر للأمة من بعد أن
جُفِثَت الدماء ، وانتهى التعزق ، وقاوبها الاستقرار السياسى إثر معركة
(الجبل) .

هذا إلى جانب النصع العام بصرف النظر عن الأ كذوبة المدعاة
على « على » بأنه قتل « عثمان » وإلا فدون التجميل فى ذلك مجابهة أمور
قد لا يكون فى الإمكان التصدى لمضارها .

عود إلى المفاوضة

وعرض جديد

للقوف السياسى : يبدو أن « معاوية » حق هذا الحين لم يكن
واثما من نجاح دعوى التهبيج ضد « على » وقد بوشر التنفيذ لها :
لأخذ طريقها فى الانتشار بين أهل الشام بزمامة « شرحبيل » ومازال

« جرير » رسول الخليفة « على » موجودا في الشام يحاور كلا من « معاوية » و « شرحبيل » سواء أن يتوصل إلى حسم الأمر لصالح الخليفة بإقناع « معاوية » ومناصريه بصرف النظر عن الدعوى المفترقة « على » و « إحيائه بالمباينة والتنازعة ».

و « معاوية » في كل هذا يلزم جانب الصمت الظاهري اكتفاء بأنه ولي الدم ، وصاحب الحق المشروع في المطالبة بالتصالح من قتلته كما اعتبر نفسه ، وليس له من قاتل سوى الإمام « على » طبقا للتدبير الخفي الذي أبس على الناس وأشيم بهم أهل الشام باعتباره حقيقة آكدة . وتطول إقامة « جرير » في الشام يتابع الأحداث ، ويداعبه الأمل في أنه ربما يتوصل إلى الإقناع فتحن دماء الأمة فتتعم باستقرار سياسي يتيح لها الفرصة في أن تنصرف عنها إلى الإصلاح الداخلي وربما التفتح الخارجي بدلا من ضياع قوى الأمة وزهرة شبابها في الصراع والقتاس والحرب .

ونظرا لما لهذا من صلاحية موقف البعوث « جرير » دون أن يتمكن « معاوية » من احتيازه إلى جانبه ، ودون أن يستطيع « جرير » إقناع « معاوية » ومناصريه ونظرا إلى طول فترة الترقب والانتظار دون حسم للموقف إلى جانب أحد — إذا بد « معاوية » يعمد إلى سلوك أسلوب للتفاوض مع المساومة — فيسمى إلى حيث يقيم « جرير » ويدخل معه في نقاش حوارى تفاوضي جديد بتنة الوصول إلى اتفاق سياسي يحسم الأمر ويقضى النزاع .

معاوية : يا « جرير » انى قد رأيتُ رأياً
جرير : هاتيه .

معاوية : اكتب إلى صاحبك يحمل لى (الشام ومصر) جهاية ؛ فإذا
حضرته الوفاة لم يحمل لأحدٍ بيعة فى عنق ، وأسلم له هذا الأمر .
وأكتب إليه بالخلافة .
جرير : اكتب بما أردت ، وأكتب معك :

التعليق :

ويكشف الحوار الذى معنا عن :

(أ) أن النعمة المفقودة والتلويح بدم « عثمان » لم يكونا غير عملية
ضبط سياسى يحاول « معاوية » أن يفقد منه قوة سياسية تهيئه فى مجال
التفاوض مع « على » إذا ما قُدِّرَ للتفاوض أن تنهى النزاع بينهما ..
(ب) اتضح موقف « معاوية » بأنه يريد : أن يحفظ لنفسه بالولاية
على الشام ويضم إليها مصر (جهاية) مع إعفائه من أن تلزمه البيعة
لن على الأمر بعد « على » .

وفى المقابل لذين الشرطه يقدم « معاوية » للخليفة « على » اعترافاً
صرحاً ببيومته ، والتسليم بخلافته دون نزاع .

إذن — لقد تكشف الأمر عن صراع سياسى يبنى فيه « معاوية »
أن تكون له الولاية على بعض أصقاع تخبرها من أطراف الدولة يليها
فى حماة « على » دون أن يلزم نفسه البيعة لمن يليه ليمتص نفسه الفرصة
للتفاوض من جديد مع الخليفة الجديد .

وقد اتخذ « معاوية » من التلويح بدم « عثمان » مبرراً سياسياً

يَسْكُنُهُ من المداورة في المناوِضات الدائرة بهنه وبينه على ، والتي يتم
غلبها الصراع بين سلطة أغلبية في الدولة وحقه في بسط نفوذه على سائر
بقاعها ، وخلص حقه في الولاء والطاعة له من قبل جميع الولاة دون
استثناء ، وسقوط حقهم في الاشتراط عليه ، أو تعليق خلافته أو توقيفها
على شرط — أى شرط مادامت الديمة العامة قد تمت له .

إنه الصراع السياسي يقف فيه الحق في مواجهة الدهاء ، وتستغنى
فيه سائر أسلحته من احتمال واجتذاب وملاينة وتدبير ومداخلة وإسرار
ضد أسلحة الحق من الوضوح والشجاعة والصدق والصرامة .
إنها سياسة الدهاء تتطاحن مع سياسة الحق ، والتقاء الصراع بين
الخطوط للصنعية للتقوية بكل ما فيها من تجايف وتضاعيف تسوخ فيها
أقدام التصلب في الحق وبين الخط للسقيم بكل ما فيه من حدة واستقامة
وملاينة بحيث يستحيل عليه أن يرى في وضع الليل والانحناء والطراوة
والقوّة واللزوجة مادامت الرّيادة للحق ولا شيء سواه غير الثبات عليه
والصلابة فيه .

وثنان بين كلمة وكلمة : كلمة الحق ملؤها الصراحة والوضوح
تخرج بفضاء نقية صافية هدفها الظهور ، وأخرى تنفث صفراء حائلة — لها
ماوراءها من سواد التدبير وسوء الطوايا والنوايا .

وما زال المجال حتى الآن تفاوضيا بين للتنازعين — يدور الصراع
فيه حول قرع الكلمة بالكلمة ، وحكّ الرأي بالرأي ، ورمى الفكر
بلفكر .

وكلاهما ينشد من وراء ذلك محاولة الوصول إلى حد الإقناع للآخر.
أو الاعتداء إلى فجوة تقتضيها خلال تمهيد عارض ربما تفتح له الفتوة
منها حيث يبلغ من ورائها مأملاً إذا ما قدر للمفاوضات السياسية أن
تستمر وتنتج وتنتهي النزاع ، ولم تكن هناك ضرورة إلى تحكيم
السيف بينهما .

وأطراف التفاوض في النزاع كلهم عرب — يجهلون الانتقاء ،
وحسن الاستخدام للكلمة المبررة ، واقتداح الفكر الثمر ، وصواب
التبديد للمعنى ، ودقة التوجيه للرأي — وكل هذا يدور في معوكة
مفاوضات ساخنة يكثر فيها التلاطم والشدة والجلب ، ومن ورائها تملو
أصداء قنطرة السلاح .

توجيه من الخليفة

الموقف السياسي : ويكتب الوالي « معاوية » إلى الخليفة « علي »
مشترطاً كما سلف أن يكون له حكم (الشام ومصر) في مقابل الاعتراف
بمخلافته ، ويتسلم « جريز » الرسالة ويبحث بها إلى الخليفة « علي »
ويستطيع أن ننقلها مسبقاً بأن الرفض من الإمام للمساومة والشروط
المعرضة عليه هو الرد الوحيد على تلك الرسالة فإما كان للخليفة الإمام « علي »
صاحب الخط السياسي الواضح الصريح في التزام الحق والاستمساك به أن
يقبل اشتراطاً أو تنازلاً معيناً في مقابل اعتراف والي بمخلافته — لأن الخليفة
« عليا » هو صاحب البيعة العامة للزَّمة لجميع الأمة بما فيهم الولاء —
حقاً طبيعياً ثابتاً له دون القبول لأي مساومة أو محاكمة أو اشتراط »

والإمام « علي » في حُكْمه لا يرتضى لنفسه إلا التملك لحقه كاملاً دون انتقاص وذلك :

(أ) لشجاعته التي تحول بينه وبين القبول بأي أسلوب لا يعطيه الحربية السكاملة في إطلاق يده في الحكم .

(ب) ولتبع الإمام الواضح إزاء مجابهة أي موقف في حياته كما عهدناه عنه يعتمد شق الصخرة في سبيل بلوغ غرضه ولا يتعذر المرونة طريقاً بالدوران حولها^(١) .

لما جُبل عليه من التزام الاستقامة كضيق وطبع في جميع شئونه مما يدعوهُ لأخذ حقه كاملاً أو للوث دونه سواء كان ذلك في تصرف شخصي أو في بيعة عامة تمت له .

ومثل الخليفة « علي » في شجاعته لا يرهبه خروج والٍ ولا تمرّد رعية لإقليم عليه — فسيب الحق عنده دائماً على هامته مسلول مُشَرَّع ، والجرأة تملأ قلبه ، ولقد سبق له السحق لمن حاول اغتروج عليه بعد أن بايع له^(٢) ولا يُقبل ولا يُقبل منه وحاله هذا أن يهرأخي أو يلابز أو يداخله أدنى قدر من الخوف أو التزعزع في مثل موقفه مع الوالي « معاوية » ومن شايبه من رعية أهل الشام .

(١) الأمر الذي جعل الخليفة « عمر » يصرف الخلافه عنه إلى « عثمان » بعد أن طعن . راجع حقيرة « عمر » للمقاد
(٢) أصحاب معركة الجبل وأشهرهم طلحة والزبير ومن تابعهما .

وهكذا — ترى الخليفة الإمام يسارع بالكفاية إلى مبعوثه
« جرير » قائلا : ^(١)

« أما بعد — فإنما أراد « معاوية » ألا يكون لي في عنقه بيعة ،
وأن يختار من أمره ما أحب ، وأراد أن يريثك حتى يذوق أهل
(الشام) . وإن « للنيرة بن شعبة » كان قد أشار على أن أستعمل
« معاوية » على (الشام) وأنا بالديعة فأبئت ذلك عليه ، ولم يكن الله
ليرواني أتخذ المضلن مضدا » .

لأن بايعة الرجل — وإلا فأقبل

التعليق

يبدو من رسالة الخليفة « علي » أنه قد صرح بهذه الإدراك
لما يلي :

(أ) أن الوالي « معاوية » يرفض البيعة له بأدى ذى يده .

(ب) أنه يشترط لنفسه ولاية بعينها حددها طبقا لرغائبه من الاعتراف
بخلافته إن أظهر الخليفة مرونة في هذا الأمر .

(ج) أنه يجري الآن تخطيطا للبعث المفوض « جرير » وبناتناح
له الفرصة ويطمئن إلى كسب تأييد أهل الشام إلى صفته .

إذن — فالوالي « معاوية » مصمم على أن تسكون له الولاية
على بقاع بعضها من الدولة الإسلامية يناهسا عن أحد طريقتين :

إما الطريق السلي الناتج من مفاوضات شبيهة مرة تحقق له هذا الهدف،
وإما بطريق الثأب والقوة بالوقوف في وجه قوى الخليفة الراحلة وهو
يعتمد من الآن لاحتمال مسئولية الفرض الأسوأ — وهو القتال إن
أبى الخليفة «على» الاستجابة للمرض المطروح عليه من الوالى «معاوية» .
وكيف يتأتى للخليفة صاحب الخط الواضح في الاستمساك بالحق
مهما تسكن النتائج أن يقبل بمثل تلك الشروط ؟

وكيف يتأتى لوالٍ مهما يكن وزنه السياسى أن يشترط على الخليفة
المطيع له اشتراطات يمينها لبياحه ؟

والولاة ليسوا غير عمال لدى الخليفة ، وليس في إمكانهم سوى
اللباقة أو الاعتزال ، وم عرضة للزل أيضاً من قبل الخليفة في أى وقت
إن صح عنده أن أحدا منهم قد خرج عن حدود مهمته كوال يفتد
إليه بخدمة المسلمين في أى صنف من أصناف الدولة الإسلامية طبقاً للأسلوب
الذى جرى النهج عليه منذ التأسيس لها في عهد النبوة وسار الأمر عليه
في (الخلافة الراشدة) القابلة له حتى آل إلى الخليفة «على» .

وبناء على هذه الاعتبارات ، وطبقاً لمضمون الرسالة فقد وضح أن
المروض المروضة على الخليفة أمور لا يطوق عليها الإمام صبراً ، وخطه
السياسى الواضح يرفضها ونضاً تاماً جلة وتفصيلاً ، ولا يقبل الخليفة
«على» في الحق الثابت له القبول ببعض دون البعض ، كما أنه لن
يقبل ملاينة أو مصانعة أو سلوك نهج المرونة في أمر خلافة تمت له فيها
البيعة العامة . خاصة أنه قد رفض الأخذ بمبدأ المصانعة السياسة ، وبما

تستقر الأحوال وهو لم يزل في المدينة وما كان في يده على اليقين من الهدنة غير الجزرة ، والأمور على أشدها اضطراباً - فكيف وهو الآن على مشارف الشام وقد دانت له الهدنة من أقصاها إلى أقصاها ولم يعد يستعصى عليه غير الشام ببعض أجزائها ؟

ويبدو من هذا أن للخليفة « علي » كان يدرك ما كان يستدل في نفس « معاوية » ويقتويه .

١٢ - فلج العنف والتشدد والحسم في ختام رسالته للوجهة إلى مبعوثه المفاوض حيث يطلب منه التسارعة بالعودة إن لم يسرع « معاوية » إلى المباينة .

ومادام الأمر كما ورد (مساومة على الاعتراف بالهزيمة) إذن فلم يعد يرجى من بقاء المبعوث للمفاوض في الشام كبير أمل في إحراز أية نتائج مفيدة متوقعة .

والرأساء بهذا الاعتبار تكون قد أنهت فترة الترقب والانتظار . للأمل في المباينة للرجوة من بعد أن انضمت نوايا الوالي « معاوية » كما أوضحت التبع السياسي للخليفة « علي » في رفضه الأخذ بهذا للصائفة في أسلوب الحكم .

ردود فعل البيعة المشروطة

للوقف السياسي : أحدثت الرسالة التي بعث بها الوالي « معاوية » إلى الخليفة الإمام عن طريق مبعوثه للمفاوض « جرير » والتي يرفض فيها

الاعتراف ببيعة الخليفة « على » ما لم يجعل له الولاية على الشام ومصر
وعلى أن يحله من إقامته البهمة لمن يلى الأمر بعده .

أحدثت هذه الرسالة التي تضمنت البيعة للشرطة ردود فعل شديدة
ودويا مغليا بعد أن نشأ أمرها بين العرب وعلم بها الجميع ، فقد أثارته
عديدا من الشعراء وعلى الأخص بين القاصرين لوالى « معاوية »
فترى « الوليد بن عقبة ^(١) » يسارع بإرسال القصيدة التالية إليه والتي
فيها يقول :

« معاوية إن الشام شامك فاعصم بشامك لا تدخلك عايلك الأفاميا
وحام عليها بالقتال ^(٢) والقتال ولانك عشرين أقدراعين ^(٣) وأنيا .

(١) مرداني ولاء « عثمان » السكوفية بدلا من « سعد بن أبي وقاص »
فقال له « سعد » وهو يسلمه أمر التولية ، لا تهرعن أبا إيمان فإنما هو
الملك يتفداه قوم ويتشاه آخرون ، فقال « سعد » : أراك ستجعلونها ملكا ،
وفي عام ٣٠ هـ عزل « عثمان » الوليد وكان من بعد أن صلى أصبح بالناس
أربما ، وشهدوا عليه بشرب الخمر فأمر « عثمان » بجلده فأحضر ونزع عنه
« حل » جلته وجلده « سعيد بن العاص » وروى اليعقوبي أن الجاهل « على »
ما يحمل هذا الحادث سببا بارزا لتعامله ضد الإمام - هذا بالإضافة إلى
فكره الخاص الذي اعتبر خلافة « عثمان » هي الملك لبني مروان

البدائية والنهاية لابن الأثير ج ٧ ص ١٥٥

تاريخ الطبري ٢٧٤/٤ تاريخ اليعقوبي ١٦٠/٢

(٢) جوع الناس

(٣) أشلهما .

وإن « علياً » فاعز ما تحببهُ فاعز له حرباً تشبب النواصيا
والا فسلم، إن في السلم راحة لمن لا يريد الحرب، فاحذر « معاوية »
وإن كتاباً يا « ابن حرب » كذبتهُ على طمع يزجي إليك الدواهي
سألت « علياً » فيه ما لن تناله ولو نلتك لم يبق إلا لواليا
حسوف ترى منه الذي ليس بعده بقاء فلا تسكر عليك الأمانها
أمثل « علياً » تستر به بخدعة وقد كان ما جريت من قبل كافيا
ولو تشبب أظفاره فيك مرة
هذاك^(١) « ابن هند » منه ما كنت حاذيا

البيان الادبي :

تدور أنكار النص حول ما يلي :

(أ) الدعوة لـ « معاوية » إلى التمسك بالولاية على (الشام) والنهوض
بحق الدفاع عن ذلك دون تهاون أو تقصير يشن حرب مهولة ضد « علي »
من بعد أن غدت الشام ملكاً لـ « معاوية » (الشام شامك) بفعل
طول الولاية عليها وخبرته بحسن السياسة لأهائها وتمسكه من
فخوسهم .

(ب) اقوم لـ « معاوية » على رساله الطبع التي يمت بها إلى « علي »
بساله فيها الولاية على (الشام ومصر) وأنها كفيقة بسوق للعائب تدرى
عليه ولربما كان القوم منصفاً على التصريح والتكشيف لخلق النيات

(١) أعطاك وأذاقك ما كنت تريد إعطاءه وإذاقته له .

بطلب الولاية ، ولعل الشاعر « الوليد » كان يفضل لـ « معاوية » العمل .
الجاه للفرض للنوى دون التصريح به حتى لا يكشف أوراقه السياسية .
للآخرين (الولاية العامة على الشام)

تقد كان الشاعر مقنعا بأن مثل هذا الطلب لا حقّ لمعاوية فيه — كما
أن « عليا » لن يذيله إياه إطلاقا ، وإذا حدث أن أتاه إياه فليقرّ
قصيرة ثم سرّيا ما يسترده .

وهنا يهتدو الشاعر وهو يوحى بموامل الثقة في نفس « معاوية » .
بـ « علي » ويدفعه في نفس الوقت إلى عدم الاستسلام للتحلق في عالم
أحلام المظلة وسلوك السج العلى بالحرب وعمل ذلك بأن « عليا »
لا ينطلي عليه صور الخداع ، وهو صلب في الحق ، وبناء على ذلك فلن
تقال منه وغيبته التي ليست من الحق في شيء إلا بحرب إن لم تهدأ .
بها هدأك بها هو ، وإذا ما أنشب أظفاره فيك فلن يفاتك .

وفي هذا من الدفع إلى السارعة بحرب « علي » ما فيه !!! .

وما أرى الدعوة الخيرة لـ « معاوية » بين السلم والحرب (في البيت
الرابع) إلا إحصاءه ليسارع إلى ركوب ظهر موجة الحرب لتعنيها
الوسيلة الوحيدة لاستخلاص حكم الشام من يدي الخليفة « علي »
والفريق لـ « معاوية » على عدم الاطمئنان إلى « علي » فهو المهلك
له إذا ظفر به . إذن — فن الأنضل أن يهدأ بالقتال .

وإذا كان « علي » الآن في موقف الترقب والانتظار حتى تمحّن له
الفرصة للاقتضاض فسارع أنت بمهادنة حريا تشيب النواصي ، فقله .
لا يهادني إلا بالحروب المهلكة !!!

ويجاء « الوليد بن عقبة » إلحاحه في رسائله الشعرية إلى « معاوية »
 داعياً إياه إلى التمييز لاقتعاد دُست الحكم ، والولاية على الشام ،
 والاستعداد لحرب « علي » الذي لن يرضى بذلك - فسكتب يقول ^(١)
 « معاوية » إِنَّ الْمَلِكَ جُبَّ ظَرِيهِ وَأَنْتَ بِمَا فِي كَفِّكَ الْيَوْمَ صَاحِبُهُ
 أَنَاكَ كِتَابٌ مِنْ « عَلِيٍّ » بِمُطْلَقِهِ حَى الْقَتْلِ فَاحْتَرِ سِلْدَهُ أَوْ مُحَارِبَهُ
 وَلَا تَرْجُ عِنْدَ الْوَارِثِينَ مَوَدَّةً وَلَا تَأْمَنِ الْيَوْمَ الَّذِي أَنْتَ رَاغِبُهُ ^(٢)
 لِظَارِبِهِ إِنْ حَارِبْتَ حَرْبَ ابْنِ حَرْقٍ وَإِلَّا فِسْلٌ وَلَا تَلْبِسُ عَقَارِبَهُ ^(٣)
 فَلَنْ « عَلِيًّا » غَيْرَ سَاحِبِ ذَبْلِهِ عَلَى خُدَعَتِهِ مَسَوُغُ الدَّاءِ شَارِبُهُ
 وَلَا تَقَابِلْ مَا لَا يَرِيدُ وَهَذِهِ يَقُومُ بِهَا يَوْمًا لَدَيْكَ نَوَادِيهِ ^(٤)
 وَلَا تَتَمَنَّ لِلَّكَ وَالْأَمْرُ مُقْبِلٌ وَتَطْلُبُ مَا أُمِّيتَ عَلَيْكَ مَذَاهِرُهُ ^(٥)
 فَإِنْ كَتَّ تَنْزَى أَنْ يُجْهَبَ كِتَابُهُ قُبُحٌ عَمَلِيهِ وَقُبُحٌ كَاتِبُهُ
 فَاتَّقِ إِلَى الْحَيِّ الْيَمِينِ كَلِمَةَ تَنَالُ بِهَا الْأَمْرَ الَّذِي أَنْتَ طَالِبُهُ
 يَقُولُ : أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَصَابَهُ هَذَرٌ ، وَمَا لَمْ ^(٦) عَلَيْهِ أَقَارِبُهُ
 أَقَاتِنُ مِنْهُمْ قَاتِلٌ وَمُحَضُّضٌ بِلَا تَرَةٍ كَانَتْ ، وَآخِرُ سَالِمِهِ

(١) موقعة صفين ص ٥٣ ، ٥٤ .

(٢) تخشاه وتخافه .

(٣) لا تثر غضبه .

(٤) لن يقبل التخاذل إطلاقاً .

(٥) تشهد بصواب قولي بها الأيام .

(٦) محاولة - استخلاص حكم الشام من علي ، سلباً .

(٧) مالا لم يتسبيل الحمزة (عاونهم وسالدم) .

وَكُنْتُ أَمِيرًا قَبْلَ الشَّامِ فَهَكَمْ نَفْسِي وَإِلَّا كَمْ مِنَ الْحَقِّ وَاجِبِهِ
خَجِيشًا وَمِنْ أَرَسِي ^(١) تَبِيرًا مَكَانَهُ نَدَامُ بَحْرًا لَأَرَدُ غَوَارِيهِ ^(٢)
خَافِلًا وَأَكْثَرًا ^(٣) مَا لَهَا الْيَوْمَ صَاحِبٌ سِوَاكَ فَصَرِّحْ لَسْتُ مِنْ تَوَارِيهِ ^(٤)
الْبَيَانُ الْأَدَبِيُّ

تنبهو التصيدة في فكرها إلى الدفع لـ « معاوية » إلى سلوك الحرب
لاستخلاص ملك الشام قسرا من يدي « علي » فهو لا يجوز عليه إطلاقا ^(٥)
أساليب التذاع مهما أَحْكَمَتْ - كَالنَّ يَتَقَبَّلُ بِمَا تَطْلُبُهُ مِنْهُ مِنْ اسْتِمْرَارِ
الولاية عليها إلا بنصر حربي يرغمه على القبول به .

ويتضح من النص أن « الوليد » مدرك تماما للعناصر المميزة لكل
من شخصي الإمام ومعاوية .

فأغلبه الإمام رجل لا يقبل التعامل بأسلوب التذاع ولا ينطلق عليه
ذلك ، ولا يمكن إجباره على القبول بما لا يريد عما يعتقد أنه ليس بمن
ولا بصواب ، وـ « معاوية » نظرا لقوته في الدماء يبيع لنفسه الأخذ
بأسلوب التفاوض محاوره ومناورة ومداراة له يحقق ما يسمي إليه سلما
إن أمكن عن طريق الملاينة واللزوة في أسلوب التعامل السياسي .

(١) اسم جيل . (٢) أطال أمواجه .

(٣) أي منها أكثر أو أقل من حجب وهماذير تبديها فالوقوف الآن
يظهر أن ليس الشام من أحد يليه ويشلكه سواك .

(٤) لا تمكن من أهل الواربية في المطالب وإن كانت ملكا .

(٥) لاحظ ما المصدرية الظرفية قبل الفعل الماضي (ما سوغ) مما يقطع
بدوام عدم قبول الإمام لأساليب التذاع إطلاقا .

ومن هنا نلاحظ الإلحاح على « معاوية » من « الوليد » أن يكون واضحا ويسلك أقرب الطرق الموصلة إلى غرضه مباشرة بالحرب، وي طرح أسلوب الخداع والتفادير في مفاوضات تلك أسلوب المسألة - لما يرام - من عدم التوافق وانعدام جدوى ذلك للقوارق الواضحة بين التبعين للثناوين الذين يستعمل بينهما الوفاق ، فـ « على » في سياسته صاحب أسلوب الحق الصريح والصلابة في الاستمساك به ، و « معاوية » ينجح أسلوب الهدوء السياسي - والأسلوبان يستعمل عليهما إما سكون القناني في نقطة تجمع بينهما فضلا عن القناري أو الوفاق .

ومن هنا جاء الأمر الناصح من « الوليد » لـ « معاوية » (غارب) وأن يستعمل المفاوضات التي تعتمد الخداع والهدوء أسلوبا حقيقيا لا ينبغي الأخذ به في التعامل مع « على » لأنه يدرك حيل الخداع - إذن - فلن تكون لهذا الأسلوب أية فائدة، وما دام الأمر كذلك فمن الصواب اللجوء إلى البنايين وكسبهم إلى صفه بالعمد إلى خدعة تجوز عليهم (كلمة تنال بها الأمر) حيث يمكن قبولهم لهذا الأسلوب، وحارب بهم « عليا » وثبتت ملكك على الشام ، وهذا أمر لا ينبغي إخفاؤه أو الدوران حوله بعد الآن ، بل يجب التصريح والجهر به من بعد أن لم يصبح للشام من صاحب سواك وملكك للشام يمكن أن تكون صاحب الملك لسائر بقاع الأمة العربية بأسرها - رجوع كفتك بأهل الشام من بعد أن قد جب غارب الملك وأصبح ملكا متاحا لصاحب القوة الأقوى دون نظر إلى جذور أو أصول أو مراعاة لأسس أو قواعد أو أخلاقية ١١

والمذهب السياسي عند « الوليد » يتمثل في الدعوة إلى اغتنام الفرصة ما دامت ظروفها مواتية ، وبهذا ينصح « معاوية » ، فادامت رياح الملك مقبلة فلا ينبغي إلا احتياها ، وليس بينه وبين التمكن منها إلا حرب تثبت الملك على الشام ، وتعلمه الفرصة لمد أجهاده إلى سائر أركان الدولة ، وليس في ذلك من خيار له « على » بمنطق الملك ولا يمنحه انخداع — فكن حليفاً في فكرك ، ولا تستجب لرؤى أحلام اليقظة تحركك إلى الضياع بسلوك أسلوب التفاوض غير المجدي :

ولا تدمن الملك والأمر مقبل وتطلب ما أعيت عليك مذهبك !!
والفسكر العمل عند « الوليد » يتمثل في التوجه مباشرة إلى الغرض قصد نيته ، والحصول عليه من أقصر طريق ، وطرح أساليب التفاوض جانباً فهي لن تجدي مع « على » وربما صلحت مع غيره — وما أتبعها من وسيلة يمتد فيها إلى الأخذ والرد (تقبح عملية وقبح كانه) إذن — فلا مناص لك من انتهاء الفرصة للواتية والتي ربما لا تواتيك ثانية إذا ما أفلتت !!

والخيارات المروضة في صدر القصيدة (فخاربه وإلا نسلم) .
ما أتى بها إلا ليقتلها ، وليظهر عدم جدواها مع « على » وليست معروضة لبيان إمكان الأخذ بها ، فالاصم على الحرب هو الهدف تنبيهاً وامتناداً للملك للواتي ، وهو الحل الوحيد الذي يمكن التعامل به مع الواترين الذين وصفهم بذلك^(١) ، إذن غارب وليس لك في الحرب من خيار .

(١) ويعني بهم الإمام « على » ومن وقف إلى جانبه .

الوضع السياسى إثر مقتل عثمان

الموقف السياسى : طالت إقامة مبعوث الإمام للفاوض « جرير » لدى « معاوية » وتبادل الرسائل قائم ، والأمل فى نجاح المفاوضات يرتفع « معاوية » لم ينقطع ، وصير للمبعوث المفاوض لم يتفد على الرغم من طول الانتظار لبارقة أمل تؤدي إلى انفراج الموقف ، فظل على الترقب لومض البادرة ، ولم يهمل أساس مهمته كمبعوث يمثل للإمام يعمل لها غه - فكان أن خرج يقنص الأخبار^(١) ويتشممها على صعيد الرأى العام الحر المنطلق للعير من حقوق ما يشمل فى ضمير الناس هميدا من المواقف الرسمية التى تحكمها الصنعة لتؤدى أهدانا مرسومة .

وبينا حرق تطوانه فى المنطقة التى اختارها مهدانا له يستعجل من خلا حقيقة الرأى العام إذا به - وقد أهدق فى تجواله - بفلام على قمود يتشد ما على^(٢) :

(١) ورد فى النص « يتشمم الأخبار » ص ٥٤ وقمة صفين .

(٢) وقمة صفين ص ٥٤ - ٥٥

حَكِيمٌ^(١)، وَدَمَارٌ^(٢)، الشَّجَا، وَوَعْدٌ^(٣)
 وَ أَشَدُّ^(٤)، وَ الْمَكْشُوحُ^(٥)، جَزُوا الدَّوَاهِيَا
 وَقَدْ كَانَ فِيهَا الزَّيْدُ^(٦)، صَبَاحَةٌ^(٧)
 وَصَاحِبُهُ الْأَدْنَى أَشَابَ النَّوَاصِيَا
 خَامَا^(٨) عَلَى^(٩)، فَابْتَنَاتِ بَيْتِي فَلَا أَمْرَ فِيهَا، وَلَمْ يَكُنْ نَاهِيَا
 وَقُلْنَا فِي جَمِيعِ النَّاسِ مَا شِئْتُ بِمَدَّةِ
 وَإِنْ قُلْتُ: أَخْطَا النَّاسُ لَمْ تَكُنْ خَاطِيَا
 وَإِنْ قُلْتُ عَمَّ الْقَوْمُ فِيهِ بَغْيَةٌ لَغِيْبُكَ مِنْ ذَلِكَ الَّذِي كَانَ كَانِيَا
 فَقُولَا لِأَصْحَابِ النَّبِيِّ^(١٠) عَمْدٌ^(١١)، وَخَصَّ الرَّجَالَ الْأَقْرَبِينَ لِلْوَالِيَا
 فَأَيُّقُلُ^(١٢) عَثَانَ بْنِ عَفَانَ، وَنَطْلِكُمْ
 عَلَى غَيْرِ شَيْءٍ لَيْسَ إِلَّا نَمَادِيَا
 فَلَا نَوْمَ حَتَّى نَسْتَهْجِعَ حَرْبَكُمْ
 وَنَخْضِبُ مِنْ أَهْلِ الشَّنَانِ^(١٣) الْعَوَالِيَا^(١٤)

(١) حكيم بن جبلة بن حصن المبدى - كان من محبى عثمان، حل السند ثم البصرة .

(٢) دمار بن ياسر الصحابي (٣) محمد بن أبي بكر الصديقي

(٤) مالك بن الحارث الأشقر الشاعر النابى، وكان قد قدم مع أهل الكوفة (٥) المكشوح المرادى

(٦) الزيد بن العوام - وكان مقربا إلى الامام، وقتل هو وطلحة في وقعة الجمل

(٧) لفة في الشنان بمعنى البض (٨) الزمراخ

وبعد أن فرغ الفلام من إنشاده لم يملك للموثر « جرير » إلا أن
 حاور الفلام ليستطلع حقيقة صاحب الرأي المبرّر فقال :
 جرير : يا ابن أخى : مَنْ أنت ؟
 الفلام : أنا غلام من قریش ، وأصل من تنيف .
 أنا ابن للقبيلة بن الأحنس بن شريق — قُتل أبى مع « عثمان »
 يوم الحار .

وهنا يتملك المصعب « جرير » لاتضاح صورة موقف الإمام وبراءته .
 ما زنى به ، فإكان من الموثر إلا أن سجّل الشمر وشمته رسالة
 يث بها إلى الإمام ليظلمه على حقيقة الموقف لدى الرأي العام بهذا من .
 الرسمية في الولاية الخارجة عليه — وقد كان صدى رد القصيدة
 للصورة لدى الرأي العام عند الإمام إثر بلوغها إياه أن قال :
 والله — ما أخطأ الفلام شيئا .

البيان الأدبي .

وبلغص الفكر في القصيدة لدى الرأي العام في ولاية الشام ، وموقفها
 من الأزمة الناشئة في تطعن أساسيين :

أولهما : إن الخلقة الإمام « على » أبرأ الناس من المشاركة في أمر
 الفتنة وما أدّت إليه — بحيث يمكن القول بأن الإمام هو الشخص
 الوحيد الذي كان أهد الناس عن مقارفة أخطائها — وما وراء ذلك قول
 فيه ما شئت بحق الجميع من عداة في إمكان تخطئهم — حيث لم يبق
 ولم يقدخل فيها بأى وجه من الوجوه (فلا آمر فيها ولم يك ناهيا) هذا
 بأن الإمام كان مطمح الآمال العامة للناس في تلك الأثناء بأنه يملك

قدرة الحسم للأزمة وإيقاف نيرانها للتأججة الزاحقة لما له من عظيم
الميزة في النفوس حيث لم يكن يوجد من الكبار سواء، ولربما كان
لموقف اعتزال الإمام للفتنة عظيم الخطر في اضطراب أمور الأمة بعد
أن تجرأت الجماهير الغاضبة على الخليفة، وأهزته القدرة على كبح
جراحهم، وغشيت الأمة الفوضى - ولكن كيف كان يمكن للإمام
التدخل وليس بيده أية مسئولية، أو حق يبيح له التدخل اللهم إلا
خود الشعمى وعظم منزلته في النفوس، ولم يستخدم أباً من ذلك
فقد كان الأمر فتنة غشيت الجميع، وأطاشت منهم صواب التصرف
فلم يتخذوا أى إجراء يحاولون به إيقاف نيران الفتنة التي انتهت بمقتل
الخليفة «عنان» ومن هنا كان النعي من الشاعر على الصعابة والتبرين
(أيقتل «عنان بن عنان» وسطكم) والاستهجان لهذا الموقف الذي
أدى إلى قتل «عنان» وهو بين أظهرهم.

وقد رتب على هذا الاعتبار القول بأنه لن يكون هناك تفريط في
القصاص لمقتله، وأنه لن يعوق عند حد القصاص فقط؛ وإنما سيكون
له إلى إيقال إلى أبعد مدى تعالى تستباح فيه الحرمات ويُقضى فيه على
الخصوم ولا فلا نوم ولا راحة.

فأبهما : القصيدة تعبير بمثابة الإعلان للحرب صادر من أهل الشام
وموجه إلى من أنهموا يقتل «عنان» بنية القصاص له من بعد أن
أعذر الشاعر إلى وجهاء الأمة من كبار الصحابة الذين أنهموا بالتقصير
باعتبار أن دم «عنان» لا ينبغي التفريط فيه، أو القصاص في
القصاص له.

إذن - لقد استند عزم الرأي العام على التقصص والانتقام إلى أقصى حد من بعد أن فقدت الأمة مسئولها الأولى وولى الأمر فيها الذى كان موكولا إليه هذا الحق يمارسه بنفسه حيث قد اغتيل هو نفسه ولم يبق بعد ذهاب الخليفة للفعال من يقوى على تحمل مسئولية الضرب على أيدي المايقين أو يجزس ألسنة اللهبين ، ويسكف هازى القرس عن التماهى فى إيقاد نيران الفتنة عاتية خضوعها منهم لنيل مأرب خاصة أو منافع معينة ، أو دخلوا فى الفتنة ليمثلوا فيها غالب القط لحساب غيرهم ، أو كانوا مجرد غوغاء جرفهم تيار الهياج العام من بعد أن أفلت زمام القيادة ، وانعلم الضبط والربط وبذلك من أن تعلموا نيران الفتنة وهى فى بدء شوبها إذا بانعدام المسئولية بمد مصرع الخليفة عثمان . يترك زمام الفتنة لحوج الرياح تمصف بها نعم الأمة الإسلامية بأسرها لا تحديد مهمة المبعوث المفروض

. الوقف السياسى : تطول مهمة المبعوث المتفاوض « جرير » لدى والى الشام دون أن تتضح أية تميمية للمفاوضات التى طال أمدها دون انضاح لنجاح أو لإخفاق ، وقد استدمى مكث المبعوث مطولا فى الشام الشك لدى العامة عند الإمام فى أنه ربما يكون قد وقع ضحية لإغراءات هرقت عليه هناك فى رجاب الشام ، فل إليها وفارق مهمته ، وخدج موقفه الخليفة الإمام .

وهكذا - دار الحديث على الألسن بين أتباع الإمام ، وصلا الحديث واستطار حتى بلغ الإمام فى صورة اتهام يدور حول المبعوث

للفاوض لم يُبين كنهه بعد - وأقل ما يمكن أن يوجه للبعوث من اتهام هو مخالفته لأسس مهمته التي بُعث من أجلها دون تحديد لنوع التهمة والتي تتراوح غالباً في مثل تلك الأحوال بين الإهمال والتقصير وبين الخضوع لموامل الإغراء والمروض عليه من الطرف للفاوض إن كان تمت إغراء حيث تسوء التهمة صُدّا في سلم الفساد فتصل إلى حد الخطيئة .

ولما علا صوت الاتهام للبعوث للفاوض عند الخليفة الإمام لم يجد بدا من الحسم في هذه التهمة التي لم تتضح لها نهاية على الرغم من طول الوقت الذي استغرقته .

وإلى هنا لم يجد الخليفة الإمام مفرأ ، من أن يبين حقيقة الموقف ، ويستجلى الأمر - فما كان منه إلا أن واجه مُتهمي المبعوث للفاوض عنده بقوله : « وَكُتِّ لِرَسُولِي وَفَعْلًا لَا يَتِمُّ بِهِ إِلَّا عُدُوًّا أَوْ عَصِيًّا » ثم عد إلى تحرير الرسالة القالية لمبعوثه « جرير »^(١) .

« أما بعد - فإذا أتاك كتابي هذا فاحل « معاوية » حل الفصل » وَخُذْهُ بِالْأَمْرِ الْحَزْمِ ، ثُمَّ خِيَرَهُ بَيْنَ حَرْبٍ مَجْلِيَّةٍ أَوْ سَلْمٍ مُخْطِيَةٍ ؛ فَإِنْ اخْتَارَ الْحَرْبَ فَلْيُذَلِّهِ ، وَإِنْ اخْتَارَ السَّلْمَ فَخُذْ بِمِثْلِهِ » .

التعليق :

يبدو من أسلوب الرسالة أن الشاؤنة الإمام كان يستشعر أن الأمر بينه وبين والي الشام لن ينتهي إلا بحرب - وربما كان هذا إحساساً منه بأن هذا الوالى يمينه لا ترده إلى صوابه وتقنمه غير الحرب ، ولن يرتفع التسليم بحق الإمام في الخلافة ويبايعه عليها سلفاً .

والإمام بشجاعته التي مهدت عنه ، وبجاريته الحربى للشرف متفتح
بأن الحرب أبسر وسيلة هذه يمكن أن يقنع بها معارضيه إذا ما تميزت
حلا أخيراً بلجأ إليه - وآخر الدواء السكتي ١١

لذا - نراه قد طرح في رسالته اختيار الحرب أولاً (حرب مجلية)
مقدماً لإماماً على السلم ، وأعطى مبدؤته تفويضاً مسبقاً بحق إعلان الوالى
« معاوية » بالحرب قوِّر اختياره لما على السلم - مما يكشف عن شجاعة
الإمام شجاعة يمكن أن يقال فيها إنها ربما تكون قد تجاوزت حدَّ
الثقة بالنفس إلى حد افتراض توافر الاستعداد والقوة الدائمة له ثقة
بمن حوله ممن تابعه ، وقد كان في هذا الاعتبار ما كان فيه مما كشفت
هذه الأحداث فيما بعد .

ومبادئ الإمام التي يمتنعها مثلاً يستمسك بها تمل على عليه الحرب
الصرحة في ذاتها كحرب بكل ما يمكن أن تنجلي عنه من مهالك !
فهو رجل الصراحة والوضوح حتى في الحرب التي تمهد الأرواح ،
وشجاعته تُباعد بينه وبين سلوك الأسلوب السواسى للعيب الذى حشوه
المماواة والخداع والتضليل والمؤمء بحلل للرنة والليونة والنعمو -
اقتناعاً منه بسلامة موقفه ووضعه التشريعى كخليفة مباح له .

إذن - فهو غير حريص إلا على الحق الصراح يناله بالحرب الصريحة
ولو تهددت حياته - وأما ما ألما من أهوال ومخاطر فلا اعتبار لما عنده
خوفاً ما السلم في مجال الاختيار المطروح فهو خطوة والإمام يقبل بأقصى
الاختيارين .

وفي هذا ما يدل على أن الإمام ربما كان يستشر ما لوالى الشام

« معاوية » من مرام لمطامح لن تحقيقها له غير الحرب - لكونها مطامح
لن تقف عند حد إشمال نيرانها من أجل الاحتفاظ بحق الولاية على الشام
قطر ، وإنما الأمر يعلو صُعداً حتى يهبط حد التطلع إلى الخلافة ذاتها .
وبناء على هذا يمكن تفهين وضع والى الشام إذا ما باج رضى بأنه
يكون قد وقف عند الحد الأدنى من مراده حيث الرضى بالمعاهدة على ولاية
ها ببطا بقدره أمداً بعيداً من حدود مقام الخلافة .

والإمام فى كل هذا صاحب الحق الشرعى الذى لن يرضى به إلا كاهلاً
غير متدروس وإلا دون الانتقام الاحتراب الصريح - كما أنه مستمسك
بشهادة العربى التى لا تسمح له بأن يتسلم الملا إلا على أسنة الرماح .
وما أن تبلغ الرسالة للمبوث حتى يتوجه بها كاصداً « معاوية »
وعندما انتهى إليه أقرأه بإياه ثم تيمها حوار بدأه المبوث « جرير »
طائلاً :

جرير : يا « معاوية » إنه لا يطمع على قلب إلا بذنب ولا يُشرَح صدر
إلا بقوبة - ولا أظن قلبك إلا مملوفاً - أراك قد وقفت بين
الحق والباطل كأنك تنتظر شيئاً فى يدي غيرك .
معاوية : ألتاك بالتمهل أول مجلس إن شاء الله ^(١) .

البيان الأدبى :

لوقوف الحوار بين للمبوث للفاوض وبين والى الشام الذى تم
لمرورود رسالة الخليفة الإمام يقطع سلامة موقف للمبوث ، وأنه

ما زال على ولائه للخليفة مما طال تلبّثه عند الوالى، وما صدّ رمته التعاوبل للإقامة إلا قصد استعصاح موقف الوالى الذى لم يكن قد وضع حق هذه المصلحة، ولو كان قد استبان أن الموقف فى غير صالحه لما توانى عن قطع للتفاوضات والاتفاق بالإمام، ولكن يظهر أن الأمل فى إقناع الوالى كان لا يزال يراود للبعوث.

قد واجه الوالى « معاوية » بأن قلبه قد استغلق دون التفتح لتقبل الحق (ولا أظن قلبك إلا معابوها) مما أطال مكثه أملاً فى محاولة التغلب على هذا الانغلاق، وكان موقف الوالى حتى هذه المصلحة مخلصاً بالنموض وعدم الاتضاح إلى الحسد الذى لا يمكن الحكم عليه بيسر وسهولة مما إذا كان موالياً طامعاً أو عاصياً مخالفاً وذلك لتأرجحه فى موقفه بين الحق والباطل مما دعا للبعوث لأن يؤكد له ذلك التأرجح الصريح (أراك قد وقفت بين الحق والباطل).

هذا - والإقامة المطوّلة للبعوث فى الشام جعلته يدرك كثيراً من حقائق موقف الوالى، وحقبة الأوضاع الداخلية فى الولاية ورواى بها الإمام^(١).

ويبدو أن رسالة الحسم الصادرة عن الخليفة والخيرة لوالى بين الإذهان بالمباينة وبين الحرب قد بلغت وهو لم يمسك بزمام الشام تماماً بعد. لذا نراه يلبّث للبعوث إلى أول مجلس قال ليوافيه بالنصر والتفصيل فى الأمر، ويدرك للبعوث « جريراً » أن ردّ القليبيث ماهو إلا حيلة

لانتقاط الأنفاس ريثما يصله ما يمكن أن يثق به ويطمئن إليه وهو لم يصله حتى تلك الآونة ، فما كان من المبعوث إلا أن ضيق الخناق على الوالى بأنه يبدو وكأنه ينتظر حدوث وضع سياسى معين تدور أحداثه فى الولاية ولم تخلص إليه نتائجه بعد - فسكات إجابة الدهاء السياسى - بالطلب وطلب الفسحة فى الوقت (أتمالك الفصيل فى أول مجلس) ولربما أعدت الألام بأول مجلس وطال أمد انتظار انعقاده ، وظل لاوقف على ماهو فيه من غموض .

كل هذا يحدث والمبعوث على ولائه ووفائه ، والتعميد لأمد

مهمة .

وطول الألام التى استغرقها لم يكن وراءها من - سب غير غموض موقف الوالى ، ولم يكن المبعوث مضمض العينين أو مخدوعاً فيما تدور به الأحداث فى ولاية الشام ، وإنما كان مدركاً وعلى وعى - ولكنها السياسة - رغبة المرونة ، وابتداء الدهاء يُنتقمها الإحياء ، ويُفسدها الاندفاع وتكره الجوع ، وتضاد التهور ، وتلفيز من الإلحاح .

لقد اضطر المبعوث المتفاوض أخيراً أن يجيبه والى الشام بحقيقة موقفه المتأرجح بعد أن انضح تأرجحه ، وبعد أن وردت رسالة الحشم من الخليفة الامام المطالبة بتعديد المواقف ، ولم يكن المبعوث المتفاوض غير شجاع لم تتفعل عنه شجاعته ، ولم يدل من الإخلاص لمهته طول إقامة فى الشام ، أو خراوة عيش فيه ، أو تحمل من الولاء للخليفة الإمام

الإعلام بالحرب

الموقف السحابي : وما أن يفرغ الشام من اليمامة لـ « معاوية »
 حوطين قلب « معاوية » إلى مسافلتهم له ، ويستوثق تماما بهم حتى
 يمارح إلى استدعاء للبهوث للفاوض ويطلبه بقطم للفاوضات قائلا :
 يا « جرير » لخلق بصاحوك !!

ويزوده برسالة موجهة إلى الخليفة الإمام ورد فيها ما يلي :^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

(من « معاوية بن صخر » إلى « علي بن أبي طالب »
 أما بعد — فلم تروى لو بأهلك القوم الذين يأمرك وأنت برىء من
 حم وثمان ، كنت « كافي بكر وحم وثمان » رضى الله عنهم أجمعين .
 ولكن أغريت به « ثمان » المهاجرين ، وخذأت عنه الأنصار ،
 فاطاحك الجاهل ، وقوى بك الضعيف .

وقد أبى أهل الشام إلا قتالك حتى تدفع إليهم قتل « ثمان »
 فإن فعلت كانت شورى بين السديح .

ولم تروى ما حجتك على كعبتك على طلحة والزبير — لأنهما بأهلك
 ولم أبأهلك .

وما حجتك على أهل الشام كعبتك على أهل البصرة — لأن أهل
 البصرة أطاعوك ، ولم يطعك أهل الشام .

وأما شركك في الإسلام ، وقرايتك من رسول الله ﷺ ، وموضعه

(١) الكامل للمبرد ص ١٨٤ ، الامامة والسياسة ١ / ٨٧

من قريش - فلتت أذقمه .

ولم يسكف الوالى « معاوية » برسالته هذه - وإنما أضاف في نهايتها قصيدة قالها الشاعر للوالى « كعب بن جعيل » ونصها كما يلى :

أرى الشام تسكرة ملك العراق وأهل العراق لها كاهونا
وكل لصاحبه مفضل يرى كل ما كان من ذلك ديننا
إذا رمونا رمونا ومينام ودننا مثلنا بقرضونا (١)
وقالوا « على » إمام لنا قلنا رضىنا « ابن هذيل » رضىنا
وقلنا نرى أن تدبوا لنا قالوا لنا لا نرى أن ندبنا
ومن دون ذلك غرط القناد وضرب وطعن يقرأ العمونا
وكل يسر بما عنده يرى غث ما فى يديه سحفا
وما فى « على » استعجب مقال يسوى ضته المحدثنا
وإثارة اليوم أهل الذنوب ورفع القصاص من القاتلينا
إذا سئل عنه حذا (٢) شبهة وحرى الجواب من السائلينا
فليس يراض ولا ساخط ولا فى التها ولا الأمرينا
ولا هو ساء ولا سره ولا بد من بعض ذا أن يسكونا

البيان الأدبى : مما يلاحظ على جواب والى الشام « معاوية » الخاص .
بتحديد موقفه - قد حوى رسالة وقصيدة .

أما الرسالة فى إجمالها فكانت إعلاما بالحرب بناء على اعتبارات .

(١) مثلما بقرضونا - من الإقراض مع حذف نون دفع جوارا

(٢) سئل بقبيل الهمة

(٣) ساقى

جميعه وردت فيها ، وقصيدة الشاعر « ابن جَعِيل » تضمنت الإعلام
بالحال الراى العام فى الشام الرافض لخلافة الإمام عليهم وتحكم أهل العراق
خبيم ، والرضى بخلافه « معاوية » وولايته عليهم . وقد حوت الرسالة
فى تفصيلها ما يلى :

(أ) خلوها فى صدورنا من الألقاب التى نحدد أقدر الأشخاص
ومناصبهم حيث وجهت من « معاوية » إلى « على » - ولعل الوالى
تحدد من إقفاله الألقاب إنفاذاً لهما على حد سواء فى تساوى الودعوس
للتنازعة سياسياً ، وفى هذا الرفض الضمنى للاعتراف بخلافة الإمام .
وخشونة أسلوب الرسالة يتبدى من تحكك « معاوية » بتسميته نفسه
بـ « ابن صخر » وايس بـ « ابن أبى سفيان » أو « ابن هند » كالأسماء
شاعره - ولعلها رغبة فى التسمية ، النخشة إلى ما كان فى الجاهلية من
تسميتهم أبناءهم لأعدائهم ، ولربما قصد الوالى بهذا إعلام الإمام بمدى
خلافة الصخرية للتوارث ، ولعله أراد التقليل من طغيان اشتهار الإمام
بالشجاعة ليعاود تطهين نفسه أنه على قدم المساواة معه فى هذا المضمار ،
وإلى أنه لن يبلن فى خصومته معه .

(ب) إلقاء تهمة قتل « عثمان » على « على » .

ويبقى على هذا اعتباران :

أولهما : أن البراءة من هذه التهمة إذا وجدت كفيّة برفع مقام
« على » إلى مصاف « أبى بكر » و « عمر » و « عثمان »
ومادامت البراءة لم تثبت له ، وإنما الاتهام به ألصق إذن -

فلن يلحق « حل » بالراشدين (طبقاً لما تعنيه عبارته) وهذه محاولة من الوالى لدفع الإمام بعيداً حتى لا يلحق بركب الراشدين وبالتالى طعن فى صحة البيعة التى تمت للإمام - حيث يحاول أن يثبت أن البيعة قد تمت للخليفة الإمام وهو متهم بعدم البراءة من مقتل « عثمان » الخليفة ، وقد (أغرى به المهاجرين) و (خذل عنه الأنصار) ^(١) .

والثلاث بتهمة القتل للخليفة « عثمان » كقيلة بحسب البيعة عن الإمام ، أو تنفير العامة من المباينة لقاتل خليفة المسلمين لو صح هذا الاتهام المزعوم .

فأ - نراه استخدم أسلوب القرض (لوما يملك القوم وأنت تبرىء) لمصح له الناتج الذى يبينه وهو عدم براءة الإمام .

(ب -) تصميم أهل ولاية الشام على قتال الإمام .

وإظهار ذلك فى صورة إجماع عام حاصم لا يسه وهو الوالى غير تنفيذه ، ونسبة ذلك التصميم إلى أهل الولاية (أى أهل الشام) لاقتالك) وصرح ذلك عن نفسه ليظهر الوالى فى صورة المنفذ فقط لإرادة الإجماع العام فى ولايته .

وتعليق رضى أهل الشام عن الإمام وترك قتاله على شريطة ، أن يسلمهم قتلة (الخليفة) يوحى بأن الإمام عارف لقتلة بأعيانهم وهذا

(١) راجع نض الرسالة .

يقتضى سبق العلم بأحوالهم وتهيئتهم - وعلى الرغم من ذلك - ضمنهم الإمام إلى جماعته - مما يقوّي من محاولة الوالى إلصاق التهمة بالإمام قسراً .

(د) عدم التسليم بصحة البيعة العامة التى تمت للإمام جباراً

نهاراً برضى عام من جماعة المسلمين ، ومحاولة الضغط السياسى عليه . بإخراجه من قائمة المرشحين للخلافة حتى وإن استجاب إلى اشتراطهم ؛ فعلى سبيل الفرض لو سلم القنّة لأهل الشام رأى الخليفة إحراجاً جديداً حيث تطرح الخلافة من جديد بين عامة المسلمين - يتشاورون ويبدون .

رايهم فى أمر الخلافة ومن يصلح لأن يتولاها عليهم - متشغلين فى ذلك . مأم من البيعة الفاجزة القائمة للإمام وكأن شيئاً من ذلك لم يحدث !!

هذا - ويُلاحظ أنّ للشورى العامة التى يُراد طرحها لم يرد فيها أى

ذكر لشخص الإمام كمرشح للخلافة يمكن أخذ الرأى عليه ، والباية

هـ - وتلك محاولة فيها التعصّب على الوجزة لشخص الإمام عن الخلافة

(هـ) الرفض لأن تكون البيعة التى تمت للخليفة مُلزِمة للوالى

« معاوية » أو لأهل الشام أتباعه .

ويسوق الوالى فى سبيل إقناعات صحة ذلك أقبيّة ناجحها بيرثو ويرى*

أهل ولايته .

فـ « معاوية » يخرج نفسه من الحجة التى لُزمت « طلحة »

و« الزبير » كما يخرج أهل الشام بنفس الطريقة والأسلوب - لأنهم

رفضوا طاعة الإمام - إذن - ما لُزمهم الحجة التى لُزمت أهل البصرة .

الذين أطاعوا ، والوالى فى كل هذا يحاول إغلاق الباب دون الإمام فى .

مجال النزاع السياسي ولا يسلّم له بشيء إطلاقاً يمكن أن يفيد منه في تقوية مركزه السياسي كخليفة ، ولم يسلّم له إلا مستوثراً في الإسلام ، وقراجه من النبي صلى الله عليه وسلم ، وعلو مكانته في قريش — من بعد أن رأوا أموراً لا تُدافع ، ولا يمكن غنطها أو الطعن عليها .

ورسالة الحرب هذه يحاول فيها والى الشام التماس من اللبابة للخليفة الإمام مستبوعاً لنفسه إلقاء تهمة اغتيال الخليفة « عثمان » عليه ، والطمع في حمة خلافته القائمة من طريق التشويش عليه بتهمة مُفَرَّاة لم يتم عليها دليل ، وقد نكّب الوالى من نفسه ولها لدم « عثمان » يطالب به باعتباره قراجه ، ونيابة عن أهل الشام الذين يلهمم باعتباره آخر ، وما اعتباره أن لم يسلّم له واحد منهما يمكن الحكم به على حمة نسبته إليه — كما لم يقوِّض في الادعاء بهما نيابة عن الأمة ، أو عن الأولياء القريبين للخليفة القتال .

وما أن يتم لوالى عثمان تأييد الشام لدى نزاعه السياسي حتى يبادو بإعلام للمبوض للنفاوض بقطع للفاوضات وخلع الإمام وإعلانه بالحرب إن كانت قد سمحت له بيمه — وكل هذا إذا لم يُلْزَم الإمام للشروط الخزية التي حاول فرضها عليه ، والزج به إلى محاذيرها — وذلك بأن يضطره إلى الاعتراف بجمعة لم يرتكبها ، ولأن لم يكن ارتكبها فقد آوى مرتكبها ، وإذا ما تحقق السمعيل الذى يفرضه الوالى فحينئذ يبرأ الإمام نيا يتلاق بهذا الجرم ، وهذا تطرح الخلافة في شورى عامة بين المسلمين مسرّفاً لاختلاف القائمة لانطوائها على تهمة قتل لم تتم البراءة منها بعد .

(١٤ - أدب سياسى)

هذا - هو موقف والى الشام الذى يطوِّع الأوضاع والظروف لتكون فى صالحه السياسى طبعاً لما انتواء من الاسمانه فى التمسك بولاية الشام كمدى أدنى لمطالبه ، وبمبمع للوقف نيا يعاقى باغلانة القناعة محاولاً بذهائه السياسى أن يمهلهما تجاهه وتناحيته إذا ما أمكنه التنباح فى التنشيط لموقف الإمام وزعرخته عنها بالطمع - عليه فى محبة البهيمه له ، أو بالحرب تشب على حق أو بدون حق .

إنها السياسة لاغير تفعل أفاعيلها ، والفلبة فيها لمن يمهده الفئول لأحاييلها أيقاعاً بمنصه ، وللميرة فيها بإحراز الفوز عليه دون نظر إلى حمة الوسيلة المسلوكة توصلاً إلى الغرض .

وتلك مصيبة كبرى حلت بالهولة الإسلامية منذ أن تم الفصل فيها والتجريد للسياسة من الأخلاق - فلو ظل الخلق القويم أسلوباً ملتزماً فى السياسة كهذا لايسوغ لأحد التفريق بينه وبين السياسة الأمة تحت أى اسم أو دافع لما داخلت المجتمع الإسلامى نزعات الفرق والتشتت والتمزق . إن عملية الفصل هذه هى الهداء الجديد القديم الذى مازال يعمل من كم للسلب الضم شياً لاوزن له فى عالم الأرقام والقوى المالمية على الرغم من ضخامته ؛ فلو لُزِم الخلق لما وُجد التنازع والعصارع ومايقرب عليها من ضرر ، وسلم كيان المجتمع من التفتت ، ولا نصر فجهتد الأمة بأجمعه إلى البناء والتطور والتعضر - الأمر الذى ينبنى أن يقتانس فيه المتنافسون - لأن ما تبغله الأمة من جهد فى علاج رأب الصدوع ،

هوذا الشوق لا يبقى لما على أى قوة يمكن أن تستمرها في البناء —
 خلاصاً من حسن الظن في إمكان التقدم ومحاولة الساق بركب الحضارة
 للسرعة في خطاه والذي لا تخلو نفس أنسانية سوية من الأمل في محاولة
 تحميه ، واعتماد مجلس الصدارة منه لتعديدها كما كانت في عهدا الأول
 — حضارة خيرة بنائة — خيرها موفور مهذول للإنسانية جماء دون
 تحفوفة لأى اعتبار كان ، فنحن نشأ فقط مجرد أصحاب دعاوى حضارية
 لم تدرهن الأيام على صحتها ، واسكننا أصحاب عراقة في عالم الحضارات —
 نجيح الإرساء لأسسها على أصلح قواعد ، ونشرها نوراً وهداية وعرفانا
 على الدنيا بأسرها دون أن يشوب ذلك تعصب أو تمقت أو استغلال ،
 ودون اصطلاح لقوة أو ركوب للهاية تسلط قوى العلم الأدبية والميدرو جينية ،
 ليعتلا فعلهما في بنى الإنسان قفلاً وتخريباً ودماراً في عصر حضارات
 التدمير التي تحكم العالم ، ونحلي عليه حالة رهب جعلت الناس يمحون وهم
 من خوف الحرب في حرب — لانعدام الجانب المطلق القويم ونقصه من
 السياسة فأنهت بهلونه مناورة ومداورة وتفشية وخداعاً !!!

المذكرة التفسيرية لحيثيات الرّفَض

وأما قصيدة الشاعر « كئيب بن جَعِيل » التي ذُيل بها « موانة »
 رسالته . فهي أشبه بالملحق التفصيلي أو للمذكرة التفسيرية التي تُلحق ..
 بنصوص الماهدات في عصرنا الحاضر — لتسكون مرجعاً يوضح الغموض
 والذي قد يستري النص أحيانا ، واتسكون الفضل عند الاختلاف على
 جزء من النص الأصلي .

وهكذا — اعتمد الزالى « معاوية » على قصيدة « ابن جعيل »
لتسكون موضحة لوجه نظره فيما يمرضه على اخطيئة الإمام من حيثيات
الرفض ليهمة والظلم في خلافته لانتهامه بدم البراءة من دم اخطيئة للمقاتل.
« عثمان » هذا إلى جانب الرفض الصريح من أهل الشام (كما ورد على
لسان الشاعر) من أن يتحكم فيهم أهل العراق حيث اعتبر الشاعر أن
(النزاع إقليمي) يرفض فيه إقليم سيطرة إقليم آخر عليه .

وتلك نظرة سياسية ضيقة مال إليها الشاعر واعتمد عليها كمبرر
سياسي لرفض أهل الشام الطاعة للخليفة الإمام ، وبهذا — يكون قد
أخرج النزاع السياسي الفاض ضد اخطيئة إلى نزاع إقليمي يؤدي إلى
تفتيت كيان الأمة .

وقد بنى الشاعر الفكر الراض في قصيدته اعتماداً على المحميات

التالية :

(١) فالرفض والكراهية متبادلان متأصلان بين الإقليمين ، وقد
ساقهما كهيئة رئيسية أولى صدر بها قصيدته ، وقد رتب على هذه الحقيقة
الاستعداد للنাজرة والتعارب بين الإقليمين بناء على اعتبار عدم قدرة
أحدهما على الاحتمال للآخر ، أو التقاضى عن أى محاولة للتحكم وفرض
السيطرة على الإقليم للناظر .

وللحق بالرفض هو سلطان العراق الزاحف إلى الشام بقيادة الخليفة
الإمام وإن كان الشاعر قد طرحه في صورة تشبُّه بالتساوى في الرفض
مهادلة بينهما — فليست الشام هي الزاحفة ، دون محاولة العراق
السيطرة بالرى والاصابة لها والقتل يوقه بها أهل الشام بغية الإيقاع

والنيل والاشفاء والانتقام ، ومحاولة فرض الطاعة علينا أمر دونه
(خطر القتاد) .

وإذا كانت إمامة «علی» في موضع الرضى بالعواقب في القابل
لإمامة « معاوية » سرّض عنها في الشام .

وبادل الشاعر في النزلة بين الروض للفتازة حيث أقامها حل
حد سواء وكأنهما واليان تنازعا الاقسام لما تحت أيديهما من أرض
هلوان عليها .

وتجاهل الشاعر أساس النزاع للتصحر في وجوب التسليم والطاعة
والاعتراف بخلافه «علی» للبايع له ببيعة عامة لُزمت جميع الولاة على
سائر أقاليم أرض الخلافة ، ومن لم يرتضها منهم فليعتزل الحكم من
قبح الخليفة القائم بالأمر .

(ب) وبوال الأشاعر حيثيات رفضه لحكم الإمام فيذكر : أن
«علياً» قد آوى إليه مرتكبي جريمة الاغتيال الخليفة «عثمان» (أهل
الذنوب) وفضلهم على من سواهم ورفع القصاص عنهم ، ولعل هذه
الحثية قد صادفت هوى في نفس الوالي «معاوية» حيث جاءت متوافقة
ورأيه الذي جمع عليه أهل ولاية الشام ، وتصدّر على أساسه القيادة لهم
في المطالبة للخليفة الإمام بقتله «عثمان» وإلا فليس يرى
من دمه !!!

وما يسوع في عرف عام أو قانون خاص ولاسيا في الدولة الاسلامية
أن يبسط الحاكم حمايته على مذهب واضح الذنب ومشهود عليه بارتكابه
له - جل شأن للذنب أو للرئس أو قل دون أن يُعاد بذنبه -

كالا يسوع لوال أو خليفة ملزم لشريعته مفذها وعلى الأخص الخليفة الإمام أن يلقى حداً حده الله ، وجعل فيه الحياة للجمتمع — ونحن مازلنا في صدر الإسلام. وكيف يمكن أن يتأتى ذلك من الخليفة الإمام صاحب الشرف الذي لا يُدافع في الإسلام ^(١) ؟

إنه الادعاء السياسي الذي يسوّغ إلصاق التهم دون تثبت أو حياء أو رعاية للسكينة في جانبها الديني أن يُرمّون بها ، ودون اعتبار لإمكانية صدور التهمة أو عدم صدورها عن ألقيت عليهم ، وألصقت بهم !!!

(ح) وما يزال الشاعر يلقى بهم على الإمام فيدعى عليه أنه يمس الأمور ، ولا يقطع فيها برأى — خاصة إذا ما سئل قصد الاستبانة لحقيقة سئل التهم التي ساقها نيران الفتنة للبشرية .
ويبدو أن رزاة الخليفة الإمام قد حالت بينه وبين الخوض في أحداث غشيتها الغواشي ، ولم يقع له بها علم ، فلزم حدود نفسه ، ومدى علمه ، ولم يحتمل نفسه مسئولية ليست له ، ولا تدخل إلا في حدود المسئولية المناطة بشخصه .

وكيف يتأتى للإمام الخوض في فتنة بدانت فيها الأحداث وتدخلت مسرعة بحيث استعصمت على الإيقاف لها في مناباتها ، أو التغاضي لشرورها عندما صفت بكل سلطة في طريقها ، واستعصمت الاستبانة لحقيقة ما تم فيها .

(١) راجع رسالة معاوية ، إل الإمام التي شهد له فيها بذلك .

وعلى الرغم من كل هذا يسوق الشاعر حيثية أخيرة مؤداها : أن حقيقة موقف الخليفة الإمام إبان الفتنة كانت غير مدركة ، فهو لم ينصع عنها بسلكه على إزاء الأحداث يمكن أن تستشف منه حقيقة موقفه أحو راض أم ساخط - كما أنه لم يداخل فيها على أى صورة من صور التدخل من أمر أو نهى .

وهذا تحميل للإمام مسئوليات لم تكن له صفة رسمية تحول له حق التدخل فيها ، وإهام سقيم له بالسلبية التامة .

وماذا كان يرجى من الإمام أن يفعله إزاء فتنة طاغية نهضت في أطراف الأمة وتجمعت مكتسعة في طريقها كل قوة ، وتطورت مستشرية حتى أدت إلى اغتيال الخليفة رأس الأمة ؟ كل هذا و « على » ليس بنائب له يدهش بالأمر بهذه ، ولم يكن بصاحب مسئولية على أى وجه من الوجوه تسوَّغ له اتخاذ إجراء أى إجراء حتى يعدهى مساءلته البعده في اتخاذه ثم إصدار الأحكام الجائرة عليه بناء على هذا البعده !!!

حرب الرسائل

للقوف السهامي : ويدخل الخليفة الإمام وجل الدولة والخليفة للبايع له ميدان حرب الرسائل ، والأخذ والرد مع والى الشام « معاوية » الرافض لبيعتة ، ويبذل الإمام قصارى جهده محاولاً تفنيد الدعاوى والقهم التي رماها بها « معاوية » .

إن للقوف الأساسى منحصر في أمر والى الشام الذى لم يبايع كما بايع غيره ، وكان الحل يبدو متحصراً فيما يلى :

(١) أن يبايع « معاوية » ، كما يبايع الناس - إن كانت نفسه مستريحة لخلافة الإمام .

(ب) أن ينزل الوالى الولاية - اعتماداً على عدم رضا عن الخليفة البايع له - إن كانت له وجهة نظر مخالفة لما أجمع عليه الناس ، وانفتح هو شخصياً يسلمة ماذهب إليه من رأى .

(ج) أن يدخل فى حرب تغزو مصيره كوال ، ومصير الخليفة للبايع له كصاحب حق فى بسط يده على سائر بقاع الأمة .

والذى نلاحظه أن والى الشام قد نجح فى جرد الإمام إلى الدخول فى نزاع جانبى ، ومصرفه عن الحسم فى الأمر الأساسى (والى الشام الرافض للبهمة) والذى يدخل فى عرف السياسة تحت اسم (الوالى للشق أو الخارج من طاعة الخليفة) .

لقد دخل الإمام فى مُنْعَرَج محاولة دفع تهم التقصير فى حق الخليفة للثقال « عثمان » ، والغذلان له ، وللهالة عليه ، وانفتح الإمام فى هذا للسخط بقوة ومراحة صاحب القلب النقي - سالكاً طريق إحقاق الحق فى طوفان التهم بكل ما انطوت عليه نفسه من استقامة .

لقد بذل الإمام جهداً مضاعفاً فى التضيق لهاموى رماه بها الهداه السيلس المضاد له ليعقق من ورائها غرضاً سياسياً قصيد بهيمه ، وكانت التهم سلاحاً استُخدم لبلوغ ذلك الغرض .

وقد أفلح الهداه السياسيون فى استقراغ جهد الإمام فى دوامة النقي للانهامات وطلب البراءة منها ، وضاعت تهمة التجريم لمعيان الوالى الرافض للبهمة الخليفة ، وعلت نيران فتنة الانهام للإمام بالقتل ، وخبت

أصوات جريمة الخروج والانشقاق والدعيان ، وشغل الدهاء العامة
بقضية قتل الخليفة « عثمان » لم يتم فيها القصص !
ويعظم الجرم لحدوثه في مجتمع إسلامي حياته في القصص وإلا عاد
إلى عرف الجاهلية في الثأر والانتقام .

إن جريمة قتل الخليفة « عثمان » جريمة اغتيال سياسي له ملبساته
وظروفه السياسية والاجتماعية التي دفعت إليه ، وليس بجريمة قتل عادية
يسهل فيها التعرف والاحكام إلى مرتكب الجرم ، أو يمكن فيها
الوصول ببسر إلى دوافع القتل أو مبرراته ، وحيث تقتضي ظروف
الجريمة وتقتضي على التعرف والاتضح لسائر اللابينات للصاحبة لها
فلا يمكن إبتاع القصص كحدث شرعي ناجز - ولكن أين هذا من جريمة
فتنة عارمة هبت من سائر الأصقاع ، وأسهمت فيها دوافع ماخفي منها
أكثر مما وضح !

وهل كان الإمام « علي » والخليفة « عثمان » حياً يملك حق اتخاذ
موقف على معان إذا سرعان طاع لفتنة في صفوف المجتمع بأسره قريبه
وبعيده - والحال أن يده خلوا من أي سلطة ؟

وما الصفة الرسمية التي كان يمكن أن يضفيها على نفسه لو كان قد
اتخذ إجراء معيناً اعترض به أمواج الفتنة المصطاحبة معخطياً سلطات
الخليفة القائم بالأسر ، والمباشر لصلاحياته (١) ؟

(١) لم يقصر الإمام « علي » ، في حق عثمان ، فقد حاده بمد أن حبيب
في المسجد وهو يطلب نصرة ، وكان مع علي طلبة والوزير يشكون إليه -

وإجمال الأمر يقضي القول بأن قضية الاتهام للإمام وجوبه - الإمام في التهمة لنفسه كان دخولا في معركة جانبية ثم فيها التركيز عليها على حساب القضية السياسية الأساسية الأولى - قضية الخليفة المبايع له ، والوالى الرافض للبيعة !

من هذا الباب هوّد الخليفة الإمام إلى التراسل مع « معاوية » بعد

ما يحدونه من أمر الفتنة الناشئة ، ويرد الأمور على « علي » بما يفضيه فيصرف .

ويبحث « علي » بآبائه « الحسن » ليكون إلى جوار « عثمان » عوناً ضد من اجتمعوا عليه فيصرفهم « عثمان » عنه صياحاً وطرذاً .

ويستقتل « الحسين بن علي » دون « عثمان » مع نفر من أهل المدينة بعد أن حسب وصرح مشعياً عليه ، وعند ما يستفيق يأمرهم بالانصراف راجع السكّان لأن الأئمة ج ٣ ص ٨٠ - ٨١ ط دا والكتاب العربي - بيروت . وعندما بلغ المتألبون على « عثمان » أطراف المدينة حاولوا اصطحاب الإمام « علي » و « طلحة » و « الزبير » معهم فجزعهم ووجعهم ، ورد الإمام على كل حمة وجهوها إلى الخليفة « عثمان » كما وضع لهم موقفه - ولكن التمردين كانوا قد فاجأوا المدينة بقدمهم ، واستولوا على أم مداخلها ، وصهروا أهلها شبه عاجزين - انظر البداية والنهاية ابن كثير ج ٧ ص ١٤٦ ولم يكن أحسن أهل المدينة يتصور أن الأمور قد تتطور وتنتهي بصريح التخلية « عثمان » الذي رفض أن يقتل أحد دفاعاً عنه ف « زيد بن ثابت » يقول له : « هذه الانصار بالباب يقولون : إن شئت كنا أنصاراً هزبهين » فيقول « عثمان » أما القتال فلا ، ويقول هذا لأبي هريرة وعبد الله بن الزبير - انظر طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٧٠

أن قطع المفاوضات ، ورد المبعوث المفوض وأمله بالحرب ، وربما
اعتقد الإمام أن الأمر هين ولا يمدو أن يكون مجرد تهمة ناتجة من
تقولات ليس لها ما يثبتها ويكنى فيها التقيد لإزالة آثارها ، وإقامة
المحجة على البراءة منها ؛ فأبقى باب الإقناع مفتوحاً من طريق الترامل
وفيه ينفي وينقد ويقترح المحجة بالمحجة ويقيم الدليل والبرهان ، ويمد في
حبال الصبر رغبة في السلم ، ويصد عن المسارعة إلى اتخاذ إجراء حربي
يحسم به الموقف ، ومال إلى عاوة لإحلال الكلمة محل السيف في حل
التخلاف السياسي — فسكرت إلى « معاوية » (١) :

من « علي » إلى « معاوية بن صخر » :

أما بعد - فقد أتاني كتاب امرئ ليس له نظر يهديه ، ولا قائد
يرشده - دعاه الهوى فأجابه ، وقاده فأنهم - زعمت أنه أفسد عليك
بهمتي خطيتي في « عثان » ولعمري ما كنت إلا رجلاً من المهاجرين
أوردت كما أوردوا ، وأصدرت كما أصدروا .

وما كان الله ليجمعهم على خلافة ، ولا يفرج بهم بالعمى ، وما أمرت
فهلزمني خطيئة الأمر ، ولا قلت فيجب علي القصاص .

وأما قولك : إن أهل الشام هم الحكماء على أهل الحجاز فهات
رجلاً من قريش الشام يأتيل في الشورى أو تحمل له الخلافة - فإن زعمت
ذلك كذبك للمهاجرين والأنصار وإلا أتيتك من قريش الحجاز .

وأما قولك : ادفع إلينا قطة « عثان » فما أنت و « عثان » ؟

لَمَّا أَنْتَ بِجَلٍّ مِنْ بَنِي أُمِيَّةَ ؛ وَبَنُو « عُمَان » أَوَّلَى بِذَلِكَ مِنْكَ . فَإِنْ
وَحَدَّثْتَ أَنَّكَ أَقْوَى عَلَى دَمِ أَبِيهِمْ مِنْهُمْ فَأَقْبَلْ فِي طَاعَتِي ثُمَّ حَارِكِ الْقَوْمَ
إِلَى أَحَبِّكَ وَلِيَايَايَ عَلَى الْحُجَّةِ .

وَأَمَّا تَمْيِيزُكَ بَيْنَ الشَّامِ وَالْهَمْسَةِ ، وَبَيْنَ « طَلْسَةِ » وَ « الزَّهْرِ »
خَلَسَتْ بِي مَا الْأَمْرُ فِيهَا هُنَاكَ إِلَّا وَاحِدٌ — لِأَنَّهُا بِوَجْهَةٍ عَامَةٍ لَا يَتَّخِذُ فِيهَا النَّظَرُ
وَلَا يَسْتَعَانَفُ فِيهَا لِخِلْيَارِ . وَأَمَّا قَوْلُكَ بِي فِي أَمْرِ « عُمَان » فَأَقْبَلْتُ ذَلِكَ
عَنْ حَقِّ الْيَمَانِ ، وَلَا يَقِينُ النَّخْبَرُ ^(١) .

وَأَمَّا فَضْلِي فِي الْإِسْلَامِ ، وَقِرَائَتِي مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
وَوُثْقِي فِي قُرَيْشٍ فَلَمْ يَمُرْ لَوْ اسْتَطَعْتُ دَفْعَ ذَلِكَ لِدَفْعِهِ .

البيان الأدبي :

يُحْتَضَرُ أَنَّ مَضْمُونَ رِسَالَةِ الْخُلَيْفَةِ « عَلِيٍّ » قَدْ حَوَى التَّنْفِيدَ وَالْإِبْطَالَ
لِجَانِبِ التَّهَمِ الَّتِي رَمَاهُ بِهَا الْوَالِي « مُعَاوِيَةُ » لَمَّا — نَرَاهُ وَقَدْ وَافَقَ مَوْثِقَ
الْمَقَامِ مِنَ النَّفْسِ فَعَدَّ إِلَى مَا يَلِي :

أَنْتَبَهْتُ أَنْ تَصْرَفَ الْوَالِي « مُعَاوِيَةُ » قَدْ مَالَ بِهِ إِلَى الْهَوَى فَاتَّبَعَهُ
وَحَادَّاهُ مِنَ الرُّشْدِ وَالصَّوَابِ لِقُدْرَةِ النَّظَرِ الْمَادِي ، وَالْقَائِدِ الْمُرْشِدِ ؛
وَبَعْدَ الْخُلَيْفَةِ الْإِمَامِ مَوْثِقَهُ مِنَ الْأَحْدَاثِ الَّتِي أَوْدَعَتْ بِالْغُلَيْفَةِ « عُمَان »
بِأَنَّهَا كَانَتْ فِي تِلْكَ الْآوَةِ شَخْصًا حَادِدًا لَا يَمْلِكُ أَمْرًا وَلَا سُلْطَةً يَسْتَطِيعُ
بِهَا مَدْلَفَةَ الْأَحْدَاثِ وَرَدَّهَا . وَيَعْرِىءُ الْإِمَامُ نَفْسَهُ عَنْ طَرِيقِ التَّنْفِيدِ
لِيَتَّخِذَ لَمْ يَنْهَضْ عَلَى إِنْبَاتِهَا عَلَيْهِ أَمْرًا دَلِيلًا (مَا أَمَرْتُ وَلَا قَبَلْتُ) وَيَمْتَدُّ

(١) العلم والاختيار .

الإمام ويستقصي سائر ما كان يمكن أن ينهم به فيردّد ما قيل منه
ومالم يقلّ مبالغة منه في أن يدفع عن نفسه أية شائبة لشبهة يمكن أن
تدور حوله أو تملّك به .

والإمام قوى في حجته المنيعة لولاية « معاوية » في المطالبة بدم
الخليفة « عثمان » فالتفريع والتفريخ في أسلوبه (فإنت عثمان) ؟ !
كفيل بإسقاط أى صلة يدهم « معاوية » لتكفل له حق المطالبة بدمه .
فهو ليس من « عثمان » في شيء من الصلات تبيح له أن يسبغ على نفسه
تلك الصفة (ولاية الدم) وأداء الصلة واتصال الصفة هذه تجاوز ممعيب
لا يحق له أن يدهمها ، فليس من العقول في هُرف العرب أن يدهم الشخص
لنفسه قرابة لشخص ليست له به قرابة اعتزازاً من العرب بنسبه — كما
رتب الشرع درجات الأولوية في حق المطالبة بدم القتل وأسندها إلى
الولى الأقرب فالأقرب .

وبناء على هذه الحثيات يكون في قوة الخلقة « على » لوالى
« معاوية » التفريع لتدخله بدون وجه حق مطالباً بأمر لا يساقده فيها
أى حق شرعى أو عرف أو تقليد .

إنه التبعيت القاسى لوالى الذى يدهم ما ليس له بحق .
ثم يسوق الإمام أدلة النفي المنقطة لحق « معاوية » فيها يدهميه من
ولاية دم « عثمان » .

فيبين أن « عثمان » من بيت ؛ و « معاوية » من بيت آخر
(إنما أنت رجل من بنى أمية ، وبنو « عثمان » أولى بذلك منك) .
وبذا يكون الإمام قد أسقط عن « معاوية » الصلة القريبة التي يستند إليها

كسجة في حق للطالبة بدمه بقصره على كونه أموى مُباعد بدرجات من
« عثمان » ، ونزع هذا الحق منه وأسندته على طريق الأولوية إلى بني
« عثمان » شرعاً — كما جرّده أيضاً من دعوى القوة التي تُنهض دفاعاً عن
حقوق الضمفاء ولظالمين شهامة قصد التقصا من لهم إن كان قد خالطه
الزعم بذلك ، ثم يرشده إلى الطريق الأمثل لنيل الحقوق للسرعة بطريق
شرعى بأن (ادخل في طاعتى ثم حاكم القوم إلى أحلك وإمام على
الحجة) .

إذن — لم يبق لوالى « معاوية » من حق بيعه له للطالبة بدم
« عثمان » سوى أن يسلك سلوكاً شرعياً في سائر خطواته : بأن يدخل
في طاعة الخليفة « على » أولاً ، ثم يحاكم إليه القتلة ثانياً ، ويسحب الإمام
الحجة والحكم الشرعى الذى طُبّق في وقته الجبل على الرافضين لبيعتهم
على أهل الشام واليهيم ، ويقسم على صحة التناوى عنده بينهما في الحكم
(فليسرى ما الأمر فيها هناك إلا واحد) ويدلل على تلك الصحة بأنها
(بيعة عامة) .

ثم يتناول الإمام أمر صحة انطلاقة له بمباراة تقطع على والى « معاوية »
حول التشكيك في صحة البيعة له حيث يُثبت (أنها بيعة عامة لا يثنى فيها
الغتر) وهذه جملة قد أثبتت صحة البيعة له ، وأخرجتها عن أن تكون
موضع نظر جديد حيث قد بُت لها وبها ما بُت من الصحة لاستيفاء
أشراطها في حينها ، ثم يعيد التأكيد لهذا المعنى بجملة مالية تقطع الطريق
والألمس دون الحديث في بيعة قد أُبرِمت وانتهت — ولم يبق فيها أى
جبال يسمح بأن (يسقأنف فيها الغوار) .

وأخيراً يعم الإمام بالحق سائر التهم التي رُمي بها في حق « عيان »
ويستطاعها جميعاً حيث لم يَقم على صحة ثبوتها دليل عميق أو خبر يقيني .
وبذا تصبح التهم ساقطة لانتفاء الأدلة للثبوت لها والحكم بعدم
صحتها ١١١

والإمام « علي » والحق يُقال إن الرجل هو صاحب الفقه والفصل
في الحاكات والقضايا المصيلة ؛ فقد كان رجالها للحق بالقوة المشهورة :
خصية ولا أبا حسن لها .

وهو في تلك الآونة قد حكمته الأحداث ، ووضعته حيث يقف
مدافعاً عن نفسه أمام الأمة ورأيها العام سئل عنهم رُمي بها لم يسكن
معتزلاً لها أو مُمينا عليها ، فالبري المتهم البريء المظنون على خلافته يدافع
بكل ما أوتي من قوة الحجة ، ويستشهد بأقطع الأدلة الدافعة لثبوتهم والمثبتة
في حقه ، فهذا هو مقام ظهور عبقريته وبراعته المشهود له بها — فبالك
إذا كان مظلوماً رُمي به ١١

ثم يذهب الإمام الرسالة بما يفيد أنه مُدرك أن خصومته مع الوالي
« معاوية » كفيفة بأن تدفع الوالي إلى الإنسكار والنقض لأي تفوق وفضل
للخليفة في الإسلام أو القرابة أو الشرف لو أمكنه ذلك (فلمرى
لو استطعت دفع ذلك لهفتمته) .

وجزياً على صنيع الوالي « معاوية » من إلحاقه قصيدة « كعب بن
جهميل » رسالته سائلة الذكر^(١) الموجهة إلى الخليفة « علي » نرى الإمام

(١) راجع الرسالة السابقة والقصيدة الملحق بها

قد سلكَ نفسَ النّج حيثُ أمر « النّجاشي » أن يحميه شمرًا يذبل به
رسالته فقال (١) :

كَمَنْ « مَآوَى » مَالَنْ يَكُونَا فَقَدْ حَقَّقَ اللَّهُ مَا تَهَذَّرُونَا
أَتَاكُمْ « عَلِيٌّ » بِأَهْلِ الْحِجَازِ وَأَهْلُ الْعِرَاقِ فَا تَصْنَعُونَا ؟
عَلَى كُلِّ جَرَدَاءٍ خَيْفَانَةٌ (٢) وَأَشْمَتَ نَهْدِي (٣) بِسَرِّ الْمُيُونَا
عَلَيْهَا فَوَارِسُ عَشِيْمَةٍ كَأَسَدِ الْعَرِينِ مَعَهُنَّ الرَّيْنَا
يَرَوْنَ الْعُلَمَانَ خِلَالَ الْعَجَاجِ وَغَرِبَ الْفَوَارِسُ فِي النِّقَمِ (٤) دِينَا
مُمْ هَزَمُوا الْمُجَمَّعَ جَمْعَ « الزُّبَيْرِ » وَ « طَلْعَةِ » وَالْمَشْرِ النَّارِ كَيْفِينَا
وَقَالُوا يَمِينًا عَلَى حَلْفَةِ لِنَهْدِي إِلَى الشَّامِ حَرْبًا زَيْوُنَا
تُصِيبُ النَّوَامِيسَ قَوْلَ الشَّيْبِ وَتَلْقَى الْحَوَامِلَ مِنْهَا الْجَيْنَا
فَضَّلَ الْمَضَالَّ مِنْ وَائِلٍ وَمَنْ جَمَلَ الْقَتْلَ يَوْمًا سِيَمُونَا
جَلَمَ « عَلِيًّا » وَأَشْهَاهَ يُظَلِّزُ « ابْنَ هِنْدٍ » أَلَا تَسْعَوُنَا ؟
إِلَى أَوَّلِ النَّاسِ بَدَّ الرَّسُولِ وَصِنُو الرَّسُولَ مِنَ الْمَالِينَا
وَصِنُو الرَّسُولِ - وَمَنْ مِثْلُهُ إِذَا كَانَ يَوْمُ يَشِيبُ الْقُرُونَا
الْبَيْتَانِ الْأَخِيرَيْنِ :

القصيدة تحمل سيف التهديد مُشْرَما دون مَوَارِيَةٍ من بعد أن اتضح

(١) وقمة صفين ص ٥٨

(٢) المجرّداء / الخيفانة / الفرس القصيدة الشعر الرومائية .

(٣) النهدي من الخيل المجسم الضخم .

(٤) غبار المعركة المنعقد فوق رؤوس المقاتلين .

أن الرأى « معاوية » قد رفض البيعة للإمام القائم بالأمر بناء على اعتبارات يدهيها .

لذا - نرى التصيدة في بنائها الفكرى : تنفتح بالتنبيط والإحباط للوالى فيما يسمى إليه جاهدا من محاولة الخروج على الخليفة « على » فيقول له الشاعر : (دعن) بكل ما فيها من إظهار خالص النصيح للبيكت في مقام انعدام الفائدة من بذل المحاولات غير النتيجة ، ثم يمتدح بما يدعو إلى التمسك من نتائج مساعيه ، فالأمر (لن يكونا) وهذا أدعى إلى قطع الأمل من بعد أن تحقق وقوع (ما تحذرون) وقد تم هذا بفعل (الله) القوى الذى لا ينقض له قضاء .

وليس أشد من ذلك تنبيط وتمييس من نتائج الجهود المبذولة دون تأمل لبلوغ أى هدف ولا فائدة .

ويقيم الشاعر تمييسه للوالى بالدليل المنع بصحة ما ذهب إليه فبهين أنه قد اجتمع إلى جانب الخليفة الإمام (أهل الحجاز وأهل العراق) في جبهة متعددة تنف في وجه أهل الشام من أجل عرقلة ما يهدفون إليه من محاولة الخروج على الخليفة الشرعى والتجميع لحقه .

وفي إظهار الشاعر لقوة الاتحادية التى تجمعت للإمام من (أهل الحجاز والعراق) ووضعت رهن إشارته وطوق يده كقوة كنفية بتعقيق الثمر على أهل الشام - أسلوب فيه من الإزهاج ما فيه لكل من الرأى وأهل الإقليم جميعا ، ويعمل معنى الضياع للسعى بالجبرى وراء ما لا فائدة ترجى منه بمحاولاتهم التماس من قروم البيعة لهم - (١٥ - أدب سياسى)

حيث قد أصبحوا في موقف ضئف فقدوا فيه كل عنصر من عناصر
الغلبة، فساء لهم مساءلة التوبيخ لن أوقع نفسه في مأزق وغدوم وسيلة
الخروج منه بقوله :

(فما تصلمونا) حيث قد أتاها بأضعف قوة لها وزنها في اعتبارات
النصر والغلبة عند من يزن الأمور بميزان القوة الحربية الضاربة إذا
ما استدعت الأحداث استخدامها من أجل التأييد والتثبيت لما يمكن
أن يذمى من حقوق .

ويتابع الشاعر السرد لأدلة النصر المتحقق وقوعه إلى جانب
الخلافة « على » فيذكر أن فرسانه شجعان مشهود لهم بالكفاءة
الحربية ، والاستانة في القتال لديهم الوفرة في معداته ، وقد طرخوا
أجوابكم ، وأناكم الخلافة الإمام بهم على حين غرة منكم حيث لم يترك
لكم فرصة لإعمال الفكر أو التهوؤ من بعد أن فاجئوكم بما لا يقبل
لكم به .

وبما أنه قد تم الإجماع الأكيد من أهل هذه القوى المرمجة على
ضرورة الإتيان بأهل الشام في حرب مريعة قد أقسموا على خوضها
— وم الفرسان المجزون من قبل في إتيان الهزائم الماحقة بالجموع
التي انتفضت وخرجت على الخلافة الشرعي — إذن — فسيعيق بكم
مثل معيبرم .

ويسوق الشاعر المعنى هنا في صورة تدعو أهل الشام إلى الاعتبار
بمصائر الماضين من الخائفين تداركا لأمرهم قبل أن تقع الواقعة ، وبحل

بهم ماحل بالخائن من أمثالهم ، وإذا ما أصر (أهل الشام) على العصيان فلا بد من أن يلتفتوا دوسا فيقتلهم بالحق بحرب مهلكة ، وتكون هذه الحرب خير هدية تُقدّم لهم حيث تكون صاحبة الفضل في تصحيح وضعهم بردهم عن العصيان ، وردّهم إلى رحى الجماعة ، وإذعانهم بالخليفة .

ثم يرضى الشاعر لإحساس الكراهية النّار من أهل الشام ضد أهل العراق فيبين في أسلوب شرط مُقنع أن الحساسية السياسية المؤدية إلى إنباع الكراهية بين الإقلاوين أمرٌ مفروض من أساسه .
فإن تكروهوا الملكَ ملكَ العراق فقد رضى التّوّم ما تَكْرَهُونا
غالباً في جوهرها طاعة مفروضة للإمام المبايع له أو تضاها أهل العراق ، وبذلك أهل الشام مثل هذه الطاعة ، فالجميع رعية الخليفة .
وليس الأمر كما تدّعون من حكم إقلم ونساطع على إقليم آخر مما تحاولون إثارة من حزازات المصيبة الإقليمية — فهذا أمر ليس بمنظور إليه .

والشاعر هنا يكتفى أمر المصيبة جانباً ، ويقتصر الأمر على جوهر وجوب الطاعة بالمبايعة للخليفة الإمام ، وعدم الخالفة له أو انخروج عليه استناداً إلى دعاوى باطلة أو ادعاءات لا تُقدح في صفة يستند .
ثم يستند الشاعر زعم أهل الشام بادعائهم للساواة في السكّنة وللثقة بين الخليفة « على » والوالى « معاوية » لدى مجتمع الأمة من حيث إمكان اللوازة بين الشخصيتين فيثبت أن البؤن بينهما شائع ، وإمكانية التناظر بينهما مستحيلة .

فهذا أمر لا يقرم عليه أحد ، ولا يُقبل في عُرْف مجتمع الدولة الإسلامية القائمة على التقويم للشخص على قدر عَمَلِه وأصالته وضمَامته أرومته في الإسلام . من أجل هذا يَتَمَيَّ الشاعر عليهم ارتكاب هذا الخطأ فيهِسْكَنهم قَاتِلًا : (أَلَا تَسْتَعْوَنَا) !!

بناء على اعتبار أن ادعاء التناظر أو التساوى في النزلة بين هاتين الشخصيتين أمر داح إلى الخجل ، ولا يقول به إلا مَنْ حُذِمَ الحياء . ثم يُبَيِّن الشاعر ذلك سَوِّقَ الحِثِّياتِ العَظْمَةِ لِقَدَرِ « على » الخليفة في الإسلام ، والمُسَمِّية لمسكاته إلى حيث لا نَبَاهَى أو تُضَارِع — والتي من أجلها رَمَاهُ بِإِعْدَامِ الحياء :

(أ) ذ « على » أعظم شخصية بعد الرسول عليه السلام والمُتَقَدِّم من بينهم (أول الناس من بعد الرسول) .

(ب) ذ « على » سَنُوَ الرسول لأنهما أبناء أبي واحد — بينهما تمام التماثل في الشرف والأصالة في بيوتهما القريبة ، ويسْمَوَانِ بِهَا مُعْلَوًّا في أصل قريش .

(ج) ذ « على » له منزلة عظمى وشرف أكبر يُعْلِيَانِهِ على غيره في مجال التفكير والموازنة ، فله علاوة على قرابة أدم شرف المعاصرة للرسول عليه السلام .

(د) ذ « على » ليس له مَنْ يَمَانُهُ شجاعة وإقداما في الحروب المروعة .

النزاع بين أتباع الخليفة

بين «جرير» و«الأشتر»

للوقف السياسي: لما رجع للبعث للفاوض «جرير» بما رجع دون
بإقناع لوالى الشام وأهلها ، وكانت هودته قد تأخرت واستطاعت
واستبطيت — نشأ موقف بين الوالدين للخليفة الإمام كان له تأثيره
المضرب للجبهة الولاية له ، والذي يمكن أن يقال فيه إنه قد فتح باب
شر خطير مضيق بما أنهض بينهم من الفلاح والفتازع المفق للصفوف
والمؤمن للثوى ، والذهب لروح المعنوية من بين جماعة تقاهب
القتال ، وللفرض في حقهم أن يخرسوا الألسنة ويسكتوا مثل هذه
الأمصوات التي تردّ الغنمة المقيمة للنزاع في الرأي الذي أغرقهم
في منازعات لا تحسم حول كل شيء ، ولم يحسمها الخليفة الإمام في حينها
بما أدى بها إلى العصامد في السوء حتى بلغت حد التأثير في للوقف
المسكري ، ومثلت خطراً ذهب بالنصر في «صنين» فيها بدا .

والجانب الخطير في هذا التنازع :

(أ) أنه لم يحسم في حينه بحيث تخفى كل نشمة ونبرة يمكن أن
تصدر عنه من غير المختصين للفصل فيه ، وإنما ترك يستشري حتى
يشمل الخوض في الأمور السياسية والدينية والمسكرية حتى بلغ حد
الخطانة المعطى بإلقاء الجند . للسلح وترك المسكرات بقاء على آراء

شخصية لم يتم عليها إجماع مما أضع نظام الضبط والربط وسرّب الجند حتى غدا الخليفة القائد دون جيش يحارب به ، وانتهى الأمر بهمضهم إلى الخسومة منه والمخرج عليه والتآمر ضده وأخيراً أودى به ضحية لفتح كان يتعمد إخماده قوّر شبوبه - وتلك كانت مسئولة الخليفة الإمام ولاشك !!!

(ب) لقد ترك المجال للتنازع بين أتباع يتعمد عليهم ، ويعمد عليهم موقعتهم التراث انتظاراً لقول الفصل يصدر من الخليفة صاحب الرأي الأول والأخير في الحسم في كل ما يدعوم إلى التنازع وللإحالة ، وما عليهم كرمية غير السم والطاعة لما يصدر عن الخليفة مادام قد حُسم بالعدل ولكن ترك الأمر مشاعاً يخوض فيه غير المختصين بخفى بهمضهم بمضاء ويسفهم بهمضهم رأى بعض ، وعتت فوضى سياسية في الآراء ، ولم يمتطوا الإمام الفرصة ليصدر حكمه السياسي ، ولم يسمحوا لملكته الفاصلة أن تأخذ طريقها لتوقف نزاعهم عند حده في اللحظة المناسبة ، فضلقوا نزاعاً سياسياً داخلياً أودى بجيش الإمام وحقه ، ولم يتركوا مالا خلفه للخليفة ويلزموا حدم كأتباع ورعية .

وبهذا - انفتح باب التنازع البين في صفوف المواليين للإمام - ولما لم يلق ذلك الباب الأمن أو يسد في حينه فقد غدا باب شرير زاد انساعاً ، واندفعت منه رياح النزاع السياسي عاصفة عاتية بمحض استعمال إغلاقه فيما بعد واستعصى على أى قوة تحاول التصدي لإغلاقه مما نجم عنه الضياع لحق صاحب الحق خسارة في خضم السياسة بلاهزيمة في ميدان القتال والحرب !!!

لقد رجع المبعوث « جرير » فترددت الأحاديث عالية ، وكثر لفظ الناس يهتمونه بالليل إلى الوالى « معاوية » من بعد أن طالت غيبته عنده .

لقد بدأ اللفظ طمنا على « جرير » بأنه ما كان أهلاً لأن يحصل مسئولية هذه المهمة من لدن الخليفة فبعد « الأشتر » وقد اجتمع هو و « جرير » عند الإمام يقول له :

« أما والله يا أمير المؤمنين — لو كنت أرسلتني إلى « معاوية » لسكنت خيراً لك من هذا الذى أُرْسِنِي خِناقَه ، وأقام عنده حتى لم يدع باباً يرجو رَوْحَه ^(١) إلا فَنَسَه ، أو يَخَافُ غَمَه إلا سَدَه ^(٢) ،

إذن — لقد اتهم « الأشتر » « جريرا » بأنه : الضعيف الذى لم يقول شذوذاً إلى الوالى « معاوية » وأطال للشكك عنده بما همأ له الراحة وأعطاه الفرصة للتخلص مما يهدده به الخليفة .

وتعليقنا على هذا الكلام أنه قد جاء في غير أوانه ؛ فقد انتهى وقت للشورة وبذل الرأى فيه ، والاعتراض عليه .

هذا — مع صدوره من غير مختص في شأن اختيار المبعوثين المفاوضين — غنى تلك الآونة — الحق السياسى للخليفة وحده يلتقى مبعوثيه طهراً لما يعتقد فيه من إخلاص وصلاحية قدمه للوكوة إليهم — كما أن « الأشتر » قد زكى نفسه بأنه الأكفأ في الابتاش

(١) يهد فيه راحته

(٢) وقمة صغين ص ٦٠

للمفاوضة في وقت هو الأجل بأحوال اعظم ومواقفهم وقدراتهم في إقليمهم - حيث تدنسه الصورة الواضحة الناتجة من القرب والرؤية والاحساسك والافعال بالأحداث هناك - فكيف يمكن تدبير حل سياسي على مدى ربما لا يتسكافاً أو يتسنى للواقف والأوضاع التي عليها الإقليم في الشام نتيجة لانسداد الرؤية السليمة لمقيفة الأحداث والجهل بها ١٩ .

ويذكر « جرير » للدفاع عن نفسه إزاء ما يُتهم به من عدم الكفاءة في مهمة سياسية خطيرة كان فيها رسول الخليفة ومبعوثه للتفاوض إلى « والي » معاوية « في وقت هو من أخرج الأوقات وأدقها في حياة كل من الخليفة والوالي الرافض لبيعتهم فيما عرض لهما من أوقات حرجية - وما كان أكثرها في تلك الفترة ١١

فقد كان يعرب على ما يتخذ في تلك الآونة من قرارات أثر السلم أو الحرب بين الخليفة والوالي - أي نشوب حرب أهلية تهم الأمة الإسلامية بأسرها ، وتكرّر مصيرها إلى آمان طويلة .

ويدافع « جرير » عن نفسه فيقول له « الأشتر » :

« والله - لو أتيتهم لقتلوك - وقد زعموا أنك من قتل « حنان » ثم خوفه بأشخاص حذّم بأعيانهم م: عمرو وذو الكلاع وحوشب بن طخنة . ولم يكن لدى « جرير » من تبرير لما اتهم به سوى أن يخوف « الأشتر » مضية القتل نتيجة اتهامه بالهمة التي قد غدت ناجزة (همة الاشتراك في قتل « حنان ») يمكن توجيهها وإصابتها بكل شخص

يُرجب في العناصر منه حتى عند الظلمة « على » وبين اللواين له ، وفي منطقة نفوذه III ولئن ساء لأهل الشام أن يرموا بهذه التهمة للوالين كخليفة « على » فلا يسوغ لأتباع الإمام أن يرمي بها بعضهم بعضا .
والواقع أن رد « جرير » لم يكن جذيرا صدوره من المثل السياسي للإمام في أخطر مهمة واجهته ، ووقفت حائلا بينه وبين فرض سيطرته الكاملة على سائر أطراف الدولة الإسلامية كخليفة شرعي بوجع له .
ولم يحاول « جرير » أن يبرز كفاءته في أداء المهمة التي وُكِّلَ إليه . الأمر الذي طعن عليه من قبل « الأشر » في صميم كفاءته الشخصية وقدرته على إدارة دفة المفاوضات مع الوالى وتوجيهها لصالح الخليفة .
وما لاشك فيه أن الكفاءة الشخصية ، والقدرة على حسن التصرف طبقا لما تعلمه تطورات المواقف والأحداث — أمران لا يضمن توافرها فيمن يُنْذَب مثل هذه المهام السياسية الخطيرة و« جرير » برؤى الآنف على « الأشر » كشف عن أنه قد تجرد من أخص خصائص المبعوث الفوق السياسي الذي يُرجى له التوفيق في أداء مهمته — حيث لم يحاول أن يصحح موقفه ، ويثني مآثرهم به ، ويثبت جدارته ، وإنما اكتفى بإشهاد سلاح التهمة الممينة في وجه « الأشر » حين السلاح الذي اعتمد عليه الخصوم من أهل الشام ، واتخذوه نكاة للعلن على الإمام والوالين له من سائر معارضهم .

ويكون « جرير » برؤى الجوابى هذا قد أثبت من طرائف خفي للدولتين أن سلاح التهمة هذا (سلاح تهديدي خطير) يمكن أن يرمى

به كل فرد ، ويؤجبه إلى كل معارض فيطيش صواب الجميع ، ويُفقدتهم توازنهم - مما دفع به إلى الاستشراء فيما بعد ، واعتبر قضية كبرى فرقت بين جماعة المسلمين - يملأها كل من يحاول أن يظهر نفسه أنه يقف إلى جانب المناصرة للحق حق وإن كان يروم من ورائها أموراً أخرى لا تليق وجه الحق ، ومن هذا القبيل ما كان من إشراح أصابع تجاه الإمام ترميه بالثمة هو ومن تأبسه دون بينة ولا دليل ، ثم عظم الخطب من بعد أن تبين أن التهمة سلاح قاتل؛ فأصبح مجرد الزعم على أي وجه كان بأن فرداً ما متهم على صورة لم تتضح أبداً ما قدت كفيلاً بأن يضع نفسه في موضع الإدانة والمطاردة والمطالبة بالقصاص منه من جماعة المتأدين بالقصاص من قلة « عثمان » .

وعلى الرغم من أن الحكم الشرعي في القصاص يقتضي بالنسبة من وضوح الصورة التي تمت عليها الممارسة للجريمة حتى يمكن إيقاع القصاص المادل المكافئ للجريمة على بصيرة تفي أي شك يذراً الحد - غير أن الأمر هنا أصبح وهنا بمجرد الزعم بالمشاركة على أي صورة كانت . . .

ومما يمكن من اعتبارات في إجابة « جرير » فقد كشفت من عظام خطورة ما كانت مدركة من قبل :

أولها : ظهور سلاح التهمة بالمشاركة في مقتل « عثمان » وتبين خطورته .

ثانيها : اتجاه أصابع الاتهام إلى الإمام « علي » وأتباعه ذرعتهم بها .

ثالثها : الاستغلال الشخصي لسلاح التهمة في الإرعاب للمصنوع ،
وسموة الزعم به من يقصد الإيقاع بهم ، والاكتفاء في إثبات التهمة
بمجرد الزعم ! .

ولما لم تكن إجابة « جرير » بشافية شيئاً مما في نفس « الأشر »
حيث نقلت من الإجابة القنمة وانجبه إلى التحذير له من القتل بناءً على
الزعم للقرض غير أن « الأشر » لم يقل « جرير » من إجابته
للتهاوية عن التهم التي لحقت به — وإنما أمسك بتلابيبه ، وألحَّ على
ملاحقته قائلاً :

ولو أنيتُهُ والله يا « جرير » لم يَتَعَيَّ جوابُها ، ولم يَتَقَلَّ على نَعْمَها ،
ولمَلَتْ « معاوية » على خُطَّةِ أَمِجَلِها عنها عن الفكر »

ويبدو أن « الأشر » كان واثقاً من نفسه أنه كان الأجدر بتعنيف
الإمام ، والتفاوض نيابة عنه ، فقد أضح أنه السكفء الذي يستطيع
أن يردَّ التهمة ، ويَبْطِلَ الزَّعم ، وأنه الأقوى على تحمل أعباء تلك
المهمة ، والأشدَّ تدبيراً وإدارة لفكة المفاوضات بحيث يمكنه التأمير
على الخصم وإزبأك وإيقادَه الفكر السليم مما يضطره إلى الانقياد
والواقعة لما عليه عليه دون معارضة — لما يهتم به من مقدرات
تجمله الأقوى على التطوع والارتياض للخصم بما يجيل به إلى ما يثق به
الخليفة ، أو بإفساد خُطط الوالي السياسية وقلبها عليه بحيث يكرمه
الانقياد لما رَسَمَ له « الأشر » وكل هذا يتم في مرونة تنسق وكل موقف
يقفه الخصم .

إن « الأشتر » يثق بنفسه ، ويضفي الكفاءة على شخصه ، ويُظهر
 حقدرته على الناوره والدائرة إزاء الأحداث العنيرة .

والثقة والكفاءة وللروية هي العناصر الأساسية التي لا بد من
 توافرها في شخص أى مهموث سياسى مقاض وخاصة إذا كان مُرسلاً
 إلى أدهى من عُرِف من العرب ، ولم يجر « جرير » جواباً على « الأشتر »
 الراضى من نفسه سوى أن يقول : فأنتهم إذن — ويتدارك « الأشتر »
 الأمر ويعلم أن هذا الإتيان قد مضى أوانه ، ولم يكن ليصلح
 جامكايته هذه لإعتماد المبادأة في النزاع قبل أن يستعمل فيندو وخاصة
 ومصادمة وإنذاراً بالحرب !!!

فما — نراه يرد قائلاً :

« الآن وقد أفسدتهم ، ووقع بينهم الشر !!! »

ملاحاةٌ بمحضرة الخليفة

لقد رجعت كفة « الأشتر » كفاءة كانت نعم أن يكون هو الأول
 بأن يكون هو للبسوث السياسى للفاوض وللثقل للخليفة « على » لدى
 الزوال « معاوية » طبقاً للنتيجة التي انجلى عنها النقاش الحاد الذي
 استصحب بين « جرير » و « الأشتر »

ولم يحاول « الأشتر » أن يقف في حوار الحاد عند حد اللواقف
 التي عابها على « جرير » وأنهى من الناحية العملية وقت النقاش حولها
 حيث اندم القأميل في أى جدوى فيها وخاصة بمثل هذه الحدة والمنف ؛
 فالرسول قد أُنقذ وماد خاوى الرفاض ، وقطعت للفاضات ، وأعلن

الانذار بالحرب من قبل الوالي « معاوية »
ومثل هذا الموقف كان يسعدني كل من يحاول أن يذلي رأيه فيه
أن يدور به حول اللواقف المنبهة ، واحتمالات الأحداث للتفكر :
ولكن « الأشر » بدلاً من ذلك نجد نفسك بمنصف بتلايس جريرو
ولا يفتك ، ويعلمك عليه أموراً خطيرة !

فمنذما اجتمع « الأشر » و « جريرو » عند الإمام نرى « الأشر »
وقد انبرى في هجوم فاس على « جريرو » في حديثه الموجه إلى الإمام
حيث قال :

الأشر (للإمام) أليس قد نهضت يا أمير المؤمنين أن تهبط « جريرو »
وأخبرتك بمداورته وغشائه ؟^(١)

ثم توجه بحديثه إلى « جريرو » شامخاً إياه فقال :
الأشر (لجريرو) يا أخا بنيمة^(٢) : إن « عثمان » اشترى منك دينك
بـ « مملنان »

والله ما أنت بأهل أن تمشي فوق الأرض حياً — إنما أنتهم
لتتخذ منهم بدءاً بمسيرك إليهم ، ثم رجعت إلينا من عندم نهدونا بهم
وأنت والله منهم ، ولا أرى سبيلك إلا لهم ، ولئن أطاعني فيك أمير
للمؤمنين ليحبسك وأشباهك في نحس لا تخرجون منه حتى تستبين هذه
الأمور ، ويهلك الله الظالمين .

تاليق :

وقوة « الأشر » هذه لم تكن إلا سهاماً مسمومة صوبها إلى

(١) وقعة صفين ص ٦٠ (٢) قوم جريرو بن عبدالله البجلي

« جرير » منها إياه بأسوأ منهم يمكن أن توجه إلى مبعوث سياسي
مقاوم يمثل الخليفة الإمام .

(أ) فهو مدوّ غاش — وفي هذا تجريد المبعوث من الإخلاص
للإمامه ، ومن الوضوح والصراحة في تعامله معه ؛ وهذا يعكس سوء
الاختيار لشخص المبعوث لانعدام كفاءته ، وبالتالي طعن على من
اختاره .

(ب) وهو منهم في دينه بالضعف — حيث قد أُجر عليه من عثمان
وضعت الدين بفتح الباب واسعا ليبلغ منه مقدما الضعف الخلق : من
إمكان المادة مع قيام للصاحبة ، ومن إكسان النفس والمخداع مع
إظهار الولاء والمتابعة .

(ج) و « جرير » منهم أيضا بالتواطؤ مع الوالد « معاوية » والعمل
على انتصاره في خصومته السياسية للإمام .

إذن — فهو العالي خائن للخليفة « علي » في قضية نزاعه هذا !
ولما كانت الظلمة السياسية وعلى الأخص أعناء الحرب ليس لها
من عقوبه سوى الإعدام . لذا — نرى « الأشر » يُصدّر حكمه الأكيد
بأن « جرير » ليس بأهل أن يمشى فوق الأرض حيا .

حيث قد ثبتت خيانتة كائني ، وصح عداؤه للإمامه بدمله وفق
مصلحة خصومه المازحين له . لهذا — لا يرى « الأشر » مفرّا من أن
يواجه بحكمه القاسي : « أَلَمْ يَأْتِ اللَّهُ مِنْهُمْ »^(١)

(١) راجع نص الرسالة ص ٦٠ وقمة صفين

كما يدمغه بالنهاية للخليفة الإمام في كل مسمى يقوم به ، وبمثل ذلك بحديثات يراها باعثة على إصدار ذلك الحكم :

(أ) ذ « جرير » قد رجع يهتد الإمام وأتباعه بقوة الوالى معاوية ومن تابعه — وفي هذا إضفاف للروح العنوبية في جانب الخليفة الإمام وهو يول في قوى الخصم المنازع كفيل بأن يمنعه سلاح نصر أئضى وأردف .

(ب) ذ « جرير » في رأيه لم يسكن غير تهازل لفرص يبنى النفع الشغوى من وراء قيامه بهذه المهمة السياسية الخطيرة كممثل للإمام — على الرغم من وضوح ضعفه ، وقلة ثقاته في النهوض بها .

وينتهى « الأشر » حلقه على « جرير » بمطالبة الخليفة « على » بحبس حبسا مطلقا ، وعدم إفلاته هو ونظرائه من الطغاة إلى أن تتضح الأمور بهلاك الخصوم الذين يقفون في وجه إحقاق الحق :

وأخيرا — بذكر « الأشر » بأنه في حضرة أمير المؤمنين صاحب الحق الأول في اختيار ميموثيه السياسيين ، وصاحب الكلمة الأولى التي تحسم الأمور ، وتنتج النجاح والفشل فيما يكلف إلى تمثيله من مهمات وتصدر الأحكام نبأ لذلك .

وهنا — يتجه « الأشر » إلى الخليفة الإمام طالبا منه السماح له بإيقاع عقوبة الحبس المطلق على « جرير » فيقول : « لئن أطاعني فيك أمير المؤمنين » .

وهو هنا يصدر الحكم بناء على التفهيم الذى ارتآه ، ولا يترك ذلك لصاحب الرأى الأول والأخير وهو الخليفة « على » أمير المؤمنين !!! .

و «الأشتر» بصنيته هذا يمنح نفسه حق الخوض في مسائل سياسية عليها ليس مُفَوَّضًا للخوض فيها إلا عند طلب الرأي في ذلك إن كان من ذوى الرأي فيه - ولكنه تعدى ذلك إلى حق إصدار الحكم بالإعدام - ثم التعفف له والاكتفاء بالحبس المطلق إلى أن تقضى الحرب .

ولم يكن لـ « جرير » من جواب يدفع به عن نفسه التهم التي وجهت إليه بمحضرة الإمام غير أن يقول :

جرير - وَدِدْتُ وَاللَّهِ أَتُكِّ كُنْتُ مَكَانِي بُعِثْتُ - إِذْنِ وَاللَّهِ لَمْ تَرْجِعْ .
ويبدو من رد « جرير » أن مهمته كانت قاسية صعبة لدى الوالي « معاوية » حيث تمنى لو كان الأثمان والتفاوض قد تم لأى شخص آخر بدله - ليعفيه من ثقل هذه المهمة ، وليدرك مقدار العنت وللشفقة فيها ، الأمر الذى لم يَقْدِرْ فَيُعْذَلْهُ - ولو كان الإرسال قد تم لمثل « الأشتر » لما كانت له عوذة .

إن « جريرا » يعبر عن قسوة المهمة السياسية التي نهض بها، وحقق فيها مالا يسكن لأحد أن يحققه إخلاصاً منه للخليفة الإمام، واستمساكاً بحقوقه ، ولو غير « جرير » حاول ذلك لاضطر إلى دفع حياته ثمناً ؛ فالأوضاع السياسية في الشام لم يطلع عليها ولم بها غير « جرير » وقد هاجم مجزئتها طبقاً لأصلح الوجوه الممكنة ، وقد كانت منه الرونة الكافية التي أيلنته أقصى ما يبلغ وعاد سالماً .

وإذا كان الفقيه لمهمة « جرير » يسعد عينا الحكم عليها بالقتل غير أننا لا نستطيع أن ننقل القول بأن هذا القتل يعمل في طائفة

الهالة على حال الوالى للنازع فى الشام وهو أنه قد صمَّ على تَبَلُّ غرض معين من وراء نزاعه هذا - اعتماداً على أنه صاحب الحق فيه ، وفى سبيل ذلك لن يدع لأحد فرصة الوقوف فى طريقه ، أو محاولة الخيلولة دون بلوغ هدفه .

وقد اختط لنفسه من أجل تحقيق ذلك أسلوباً سياسياً حاداً (للأليفة) ومحاربة الاجتذاب للناوئين إطماعاً لهم فى شيء من الدنيا التى بين يديه ومن لم تنلح معه للأليفة فالقتل لاختلاس منه ولو كان المناوئ للناهض مبعوثاً ممثلاً للخليفة الإمام « على » .

ومهما يكن من أمر للأحاة التى نمت بمحض من الخليفة الإمام اعتماداً على الحرية المطلقة فى إبداء رأى الذى كانت مكفولة إلى أبعد حد فى ظلال الدولة الإسلامية فى عصر الراشدين فقد فتحت باب الشر والنزاع والفرقة الذى أدى إلى التفتت والتفتت لقوى جيش الإمام وأخيراً انتهى بإذهاب حق صاحب الحق وإخضاعه ، وقضى بصورة نهائية على عصر الخلافة الراشدة ، وكان ذلك نتيجة للحرية المطلقة السراح للتدخل بإبداء الآراء فى أمور سياسية قلَّما يستعصى الإدراك لأبصارها على الشخص المادى ، وتحتاج إلى الحسم فيها بأراء المختصين ، ووقف إصدار الأحكام بخصوصها على رأس الدولة وحده III

وقد نجم من عدم الحسم فى ذلك أن امتدت تلك الحرية فشميت إبداء رأى فى أمور عقائدية ، وتميَّت حتى لم تبق لها حدود ولا رسوم تحكمها أو تحكم تصرف الشخص فى حدودها III

لقد كانت ملاحاة « الأشتر » لـ « جرير » بمحضرة الإمام أمراً طبيعياً من ناحية إبداء الرأي بكل حرية جرياً على عادة المجتمع الإسلامى فى تلك الفترة - غير أن أحوال المجتمع كانت قد اختلفت فى آخر عصر الراشدين عنه فى أوله - مما كان يستدعى التدخل من رأس الدولة بوضع حد للتدخل فى النقاش السياسى لمطائىم الأمور فيقتصر على الشخصين أو القوميين فيه ، وخاصة إثر فتنة عارمة عمت شروها سائر أمم الدولة الإسلامية ، وأدت إلى الاغتيال السياسى للخليفة « عثمان » .

ردود فعل الملاحاة

الوقف السياسى : كان من النتائج المباشرة لملاحاة « الأشتر » لـ « جرير » والانتهاكات التى وجهت إليه بمحضرة الخليفة الإمام أن تهزل جماعتهم ، وخلق بـ (فرقيسها) وخلق به أناس من قومه ، ولم يشهد (صفين) من قومه الأقربين غير تسعة عشر رجلاً^(١) . وكان رد الفعل لدى « الأشتر » نتيجة تخويف « جرير » له مغبة القتل لو كان قد أنفذ مبعوثاً مفاوضاً إلى الوالى « معاوية » وخاصة أن هناك شخصيات تحسب حسابها تماديه^(٢) ، وتعتزق شوقاً لاقتناصه وقتله من بعد أن أنعمت به أنه من القلة الخليفة « عثمان » .

فما كان أن ثارت ثائرتة لهذا التخويف الذى جوبه به واعتبره نكلاً

(١) راجع وقته صفين ص ٦٠

(٢) ذو الكلاع ، وحوشب بن طخمة .

عن شجاعته ، فإكان منه إلا أن انبرى يرد على حلة الإرهاب والتخويف
على وجهته إليه من « جرير » شعراً فقال :

لَمَرَكْ بِأَجْرِي «عُزْرُو» وَمَاوِي «الشامى»
و «ذى كلع» و «حوشب ذى ظليم»
أَخَفَّ عَلَىَّ مِنْ زَفِّ النَّهَامِ (١)
إِذَا أَجَبُوا عَلَىَّ فَخَلَّ مِنْهُمْ وَهَنَ بَارِئُ غَالِيهِ دَوَامِ (٢)
فَأَسْتُ بِخَائِفٍ مَاخَوْتُونِي وَكَيْفَ أَخَافُ أَخْلَامَ النَّهَامِ
وَمَنْهُمْ الَّذِي حَامُوا عَلَيَّ مِنْ الدُّنْيَا وَهَيَّ مَا أَمَامِي
فَإِنْ أَسْلَمَ أَعْمَسُ يَجْرِبُ يَشِيبُ لِهَوْلَا رَأْسُ الْغَلَامِ
وَأِنْ أَهْلَكَ فَقَدْ قَدَّمْتُ أَمْرًا أَنْوَزَ بِغَلْبَةٍ (٣) يَوْمَ الْغَضَامِ (٤)
وَقَدْ زَارُوا إِلَيَّ وَأَوْعَدُونِي وَمَنْ ذَامَاتِ مِنْ خَوْفِ السَّكَامِ؟

«البيان الأدبي»

قصيدة « الأشتر » بنامها موجهة إلى الرد على التهديد والتخويف
الذى وجهه إليه « جرير » صادرا من والى الشام « معاوية » وأتباعه
عن وقفوا إلى جانبه ، وعلى الأخص منهم من أمثال : « عرو » و « ذى كلع »
و « حوشب ذى ظليم » .

(١) حفيف صفار ويشها .

(٢) ملطخه بالدم لكثرة الاقتراس .

(٣) النصر .

(٤) يوم للقيامة .

و «الأشعر» هنا يُفهم أنه لم يمد مالياً ، ولا يُلقى بالأل إلى التهديدات التي صدرت عنهم وجعلها إليه «جور» وعدم اللبالاة بهديداتهم إنما يعود إلى أنها تهديدات ليست بذهات أثر خفيف أو مرعب يمكن أن يحسب حسابها نتيجة لما يمكن أن يتوقع من ورائه من الإيقاع به .

وقصارى ما يحسه الشاعر «الأشعر» لذلك هو انعدام التأثير المحف لنظام التهديدات ، واعتبارها جوفاء خالية من مضمونها للرب لأن قوى الإيقاع السكاينة من ورائها تافهة لا يُقد بها ، وغاية التقويم لما في إحساس الشاعر أنها تتعادل وزناً مع زغب ويش النمام التي لا تحس له أى وزن ، وبالتالي فلن تعق تهديدات خصومه له غير أن تكون التفاحة بينهما في تأثيرها الفعل عليه .

ويسمى «الأشعر» في بيان أنه لا يسكاد بحس خوفاً ما يتهده به خصومه الشاميين من القفل فيأتى باستفهام بالغ الدلالة في هذا المعنى : وكيف أخاف أحلام النيام !!

حيث يُظهر أن تهديداتهم له لا تعدو أن تكون مجرد أحلام طافت بمقول خصومه وم نيام فأحسوا لما الراحة نتيجة لما حُوِّل إليهم في أحلامهم أنهم قد اشتقوا بالنيل منه قذلاً . غير أن تلك الراحة لم تلبث أن تبددت بانقضاء الأحلام فإذا بهم يواجهون واقعهم للربان «الأشعر» لم يزل حياً يرزق يقف نداً مارقاً لهم ، ولم يفلوا منه مقتلاً .

إذن- تأميلهم في الخلاص منه يمدُّ أمراً لا يحدث إلا في عالم الأوهام

طلق تطوف بقول أصحاب أحلام اليقظة أو للنام على سبيل القاميل ،
 ولن يكون لما تحقق في الواقع ، ثم يقتل الشاعر إلى بيان أن مُتهدِّبه
 بمن خوفهم من اتباع والي الشام مام إلا جماعة من أصحاب للآرب
 والأغراض ، فكل همهم الدنيا بما فيها من متاع يشدونه ، وأخذوها
 محورا غرضيا يدورون حوله .

ويبدو أن الشاعر قد صور الدنيا التي جئت بينهم وصارت أكبر همهم
 جأها جيفة لكنه متفحصة - لا يدور حولها ويقع عليها ، ويقاقل بغية النابل
 لشيء منها غير أكلة الجيف من الحدا والغربان - بدليل استخدامه لفظ
 (حاموا) للشير أنهم طيور جيف !!!

وبهذا يكون الشاعر قد أجرى تقويا غلصومه الشاميين بأنهم طلاب
 دنيا وليسوا بطلاب حق ، وأصحاب كقع وغرض يميلون إليهما وليسوا
 بأصحاب مبادئ يستمسكون بها ، فتأية مألهم دنيا يدورون حولها
 آملا في اعتبال فرصة تفيح لهم نهشه ، أو الاختلاس أو الاختطاف إن
 أمكن لشيء منها - كينما تهيأت الظروف ، وأتيحت الفرص للمتطلعين
 إلى النهش من جماعة طلاب الدنيا .

وفي الوقت الذي أنصح فيه « الأشر » عن مخ خصومه من أصحاب
 الأغراض من أنهم يؤم الدنيا - نراه قد كشف في اللقائل عن م نفسه هو
 الآخر - وهو ما يمثل أمامه من مهام تشغله (وهي ما أسمى) وما أظن
 له من مهام مقبلة تشغله وتمثل أمامه غير مستقبله ومستقبل إمامه في
 الأيام القليلة القادمة التي ستعصم للوقوف بين الخليفة الإمام المهاجج له ،

ووالى الشام الغالغ الذى لم يبايع ، وما يمثل أمامه أبنا من وضوح الحق إلى جانب الإمام ، وتعلق متازعيه بالباطل ومهلهم إليه ، ويمثل أمامه الفوز برضى الله فى الآخرة بوقوفه ومؤازرته للإمام صاحب الحق ولو أدى ذلك إلى هلاكه بالتضحية فى سبيله دفاعاً عنه ، واطمئناناً إليه صحة سلامة موقفه منه .

وبناء على ماوضح الشاعر واطمأن إليه من أنه يقف إلى جانب الحق مع إمامه هذا - نراه بعد نفسه ملوَّب لا يدرك لملوَلها مدى - حيث ذكر أن حولها كنفيل بإشابة ودوس (الفنان) عن م فى سن صغيرة لم تبحر السادة على رؤيتهم ذوى شَيْبَةٍ - اللهم إلا إذا صادقتهم الكوارث الموهلة من أمثال تلك الحرب للقوَّة .

ولفظ (أَمْهَمَّ) يَشِيرُ بِالْخَطُورَةِ الْخَرِيبَةِ لِلشَّاعِرِ فَهُوَ وَحْدَهُ كَنِفِيل .
هش حرب تم سائر الخصوم من تهديده ثقة منه بنفسه ، وكفائته فى مجابهة خصومه بمفرده ، وكل هذا إذا صدق حدس الشاعر وكُتِبَتْ له السلامة ليشهد تلك الأيام كما يقضى .

ويبدو هذا من تمليقه لظلمه الحربى الذى يتهدد به خصومه على شرط (السلامة) فى قوله : إن أسلم ، ويستمر الشاعر مُطِيلًا نَفْسَهُ فى استغراق سائر الافتراضات الأخرى إن لم يتحقق لشرط السلامة وذلك فبين أن يكون قد ذهب فداء للحق ، وسيستلحق نتيجة ذلك بفوز أعظم فى الآخرة إن كان قد فاته الفوز فى الدنيا ، فهو دائماً الفائز المنتصر فى الدنيا أو الآخرة ؛ وبانسحاب المعنى المتعكس على خصومه نجرده

يُدْمِغُهُم بِالْغُصْرَانِ دُنْيَا وَآخِرَةً بِطَرِيقَةٍ غَيْرِ مُبَاشِرَةٍ عَنْ طَرِيقِ لُحْجِ الْمَدَى
الْمَنْظُورِ الَّذِي يَرَاهِي فِي الْمَقَابِلِ .

وَيُمْكِنُ أَنْ نَسْتَنْفِتَ مِنَ الْبَيَانِ الْوَجْدَانِ الَّذِي أَفْصَحَ عَنْهُ
« الْأَشْتَرُ » مَا يَلِي :

(أ) أَنَّهُ مَخْلُصٌ غَايَةَ الْإِخْلَاصِ لِلْخُلُفَةِ الْإِمَامِ أَقْنَانًا مِنْهُ بَوْضُوحِ
الْحَقِّ إِلَى جَانِبِهِ، وَبِجَافَةِ الْخُصُومِ الْمُنَازِعِينَ لَهُ طَعْمًا فِي تَكِيلِ شَيْءٍ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا .
(ب) يَسْكَتُ « الْأَشْتَرُ » الشَّاعِرَ كَقَرْدٍ مِنْ أَنْبَاءِ الْخُلُفَةِ الْإِمَامِ
عَنْ وَفَرَةِ الْحَاسِ الَّذِي يَمُرُّ قُلُوبَهُمْ ، وَاسْتِعْدَادِهِمُ لِلتَضْعِيقِ وَالْقِدَاءِ مَعَ
مَنْ يَمَعْتَدُونَ أَنَّهُ صَاحِبُ الْحَقِّ .

(ج) مَا يَزَالُ الْعَامِلُ الدِّينِي فِي الْمَجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ هُوَ الْفَيْصَلُ فِي
الْمُنَازَعَةِ بَيْنَ الْطَلِيبِ وَالطَّيِّبِ ، وَالْحَقِّ وَالْبَاطِلِ .

فَهُوَ فِي جَانِبِ الْإِمَامِ الْمَهَابِيعِ لَهُ بِيَمَّةٍ مَحْمِيَّةٍ عَامَّةٍ حَقِّ صِرَاحٍ نَبْأًا
مِنَ الدِّينِ الَّذِي يَقْضَى بِاطِّعَاةِ مَنْ تَمَّتْ لَهُ تِلْكَ الْبِيَمَّةُ ، وَمَنْ خَالَفَ وَلَمْ
يَبَاحِصْ مِمَّا يَكُنْ عِذْرُهُ اِعْتِبَارُ خَارِجًا يَنْبَغِي رَدُّهُ إِلَى صَوَابِ الْحَقِّ بِأَيِّ
طَرِيقَةٍ بَرَاهَا الْخُلُفَةُ الْمَهَابِيعُ لَهُ كَفَيْتُهُ بَرْدَهُ إِلَى حَوْزَةِ الْحَقِّ .

(د) اسْتَطَاعَ « الْأَشْتَرُ » الْحَكَمَ فِي شَعْرِهِ عَلَى الْخُصُومِ الْمُنَازِعِينَ .
فِي الشَّامِ بِأَتَمِّهِمْ طُلَاقَ دُنْيَا ، وَلَارْعَايَةِ عِنْدَهُمْ وَلَا وَزْنَ لِعَامِلِ الدِّينِ .
بِنَاءً عَلَى اسْتِعْدَادِهِ لِهَذَا الْعَامِلِ كَقَبْضِهِ يَفْرُقُ بِهِ وَيُمَيِّزُ بَيْنَ الصَّلَاحِ
وَالطَّلَاحِ .

(هـ) الْعَرَبُ وَاقِعَةٌ لِمُحَاةِ بَيْنِ الْخُلُفَةِ « عَلِيٍّ » وَأَتْبَاعِهِ وَبَيْنَ الْوَالِدِ
عَلَى الشَّامِ « مُعَاوِيَةَ » وَمَنْ مَعَهُ .

وتلك هي النتيجة العتمة التي انتهى إليها «الأشتر» طبعاً لما يستفاد من تمهيدته : إن أسلم أصحابهم بحرب ... فهو لن يشن حرباً بمفرده يخالف في إشعال نارها رأي الخليفة الإمام ، وإنما سوف يشارك بكل قوة وعنف في حرب يملنها الإمام ، وينتهي لها أنهاهه بقوة مقابلة يحشد لها جيش بأكله يُحشد فيه الجميع بحيث يتفوق كفاءة جيش الخصوم المتنازعين في الشام .

وبناء على هذا نقول إن الرؤيا الشاعرية كانت صادقة الحس لدى «الأشتر» حيث راعى الأحداث رَصدًا ورتبها واستغلص النتائج من تَوَقُّعات تداخلها ، وانتهى إلى حكم سليم مؤداه احتمية الحرب بين الخليفة والوالى المتنازعين من بعد أن علا صَوْتُ نفيرها ، وارتفع سيف التهديد بها .

ولم يسكن التهديد بأهل الشام الذي دفعه «جرير» في وجه «الأشتر» مثراً «للأشتر» وحده فقط ، وإنما وجدنا أثره يمتد إلى آخرين فتشور نفوسهم أيضاً — فترى الشاعر «الشكوى» وقد اضعافه التهديد فأنشأ يقول :

تَطَاوَلَهُ لَيْلِي بِالْعَبِّ الشَّكَايِكِ^(١)

لَقَوْلِ أَتَانَا مِنْ «جَرِيرٍ» وَ«مَالِكٍ»

أَجْرٌ عَلَيْهِ دَبِلَ «عُصْرُو» عَدَاوَةٌ

وَمَا هَكَذَا فَنَلُّ الرِّجَالِ الْحَوَائِكِ^(٢)

(١) حتى من الذين يُنسبون إلى أبيهم سكتك بن أمرس .

(٢) المدركون للأمور والقاعمون لها

غَاظُمَ بِهَا كَرَمَى عَالِيكَ مَصِيْبَةٌ (١)
 وحل يهلك الأقوامَ غيرُ المَلْحِكِ (٢)
 فَإِنْ تَبَقِيَ تَبَقَى الْمَرْاقُ يَنْطَلِقُ
 وفي الناسِ مَادَى لِلرَّجَالِ الصَّمَالِكِ
 وَإِلَّا فَلَهْتَ الْأَرْضَ يَوْمًا بِأَهْلِهَا
 تَمِيلُ إِذَا مَا أَصْبَحَا فِي الْهَوَاكِ
 فَإِنَّ « جَرِيرًا » نَاصِحٌ لِإِمَامِهِ
 حَرِيصٌ عَلَى قَسَلِ الْوَجُوعِ الصَّوَاكِ
 وَلَكِنَّ أَمْرَ اللَّهِ فِي النَّاسِ بِالْبَغِ
 بِحَسَلِ مَنَابِهَا بِالْفُفُوسِ الشَّوَارِكِ
 البيان الأدبي :

لقد أوقد التهديد الذي حمله « جرير » عن الشام نيران الدواوة
الإقليمية بين الشام والعراق - وذلك هي النعمة الجديدة التي انطوت
 عليها قصيدة « السكوني » مما دعاه إلى التنادي بحب قومه البليانين
 يناصرونه في تلك الأزمة التي كثر فيها الججاج والشارّة وأصبحت تندر
 بالهلاك إذا ماتصادم الإقليمان .
 وبما حل الشاعر أن يُنصِف « جريرا » في موقفه فهذا ذكر أن الشاحنة
 بينه وبين « الأشرار وسوء العلاقات ونذر الحرب المنبئة بين الإقليمين
 لم تكن إلا بفعل « عمرو »

و « جرير » لم يكن إلا مخلصا في مهمته لإمامه - حاول أن يزيل بالحسنى آثار النزاع السواسى التى نشبت بين الثنازين - غير أن اشتعال العداوة بين القبيين لم يكن غير قدير من الله أراد أن يوقع النهاية بالمخالفين الحائذين .

« معاوية » و تحميد أهل مكة والمدينة

يبدو أن والى الشام قد أحس خطرا على موقفه فى نزاعه السياسى مع الخليفة الإمام ويبدو أنه قد أدرك أن مبعث هذا الخطر يكمن فى القتل السياسى لأهل الحرمين ، وألقى لا ينفى أن يتجاهله حصيف يحاول أن يتصدى للتعامل مع رأى العام لجماعة المسلمين فى تلك الآونة ونحن ما زلنا على مشارف الغلالة الراشدة حتى وإن كانت مشارف النهاية ، وخاصة من مائل الوالى « معاوية » فى دهائه السياسى .

وليس من السَّخيم أن يكون والى الشام ربما يكون قد أحس أن أهل الحرمين هم مع الخليفة « على » ميلا إليه فى غالبيتهم إن لم يكونوا جميعهم .

وما يزال رأى أهل المدينة ومكة وزنه وقدره الخطير فى أى خلاف أو نزاع عام ينشب فى الدولة الإسلامية لصدوره من كبار الصعابة من أمثال « عبد الله بن عمر » وغيره - ممن لم يهرم الصعول إلى البلاد المفتوحة فأقاموا ولذين فى جوار الرسول ، وقريبا من بيته الحرام . لقد كان الوالى « معاوية » يحشى أن يجمعه أهل الحرمين فى لحظة لاتناسبه برأى يضيف من مكافته فى نزاعه السواسى مع الخليفة « على » خاصة

أن النزاع بينهما ديني سلسي يتعلق بنظام الدولة والحكم في الإسلام — مؤداه أن البهجة العامة لتغطية للسدين تنزيم أفراد الأمة بما فيهم الولاة حكام الولايات بالمباينة له ، وإلا فليعتزلوا الفصل لحسابه إن لم يكونوا في رضى شخصي من خلافته ، ويلزمهم بعد ذلك أن يهابوا كأفراد مواطنين عاديين وإلا خضعوا لمقوبات للمتعمين من البهجة للقررة للثقة كنظام متبع منذ أن بدأ الأخذ بنظام الخلافة في الدولة الإسلامية (١) . وما لا شك فيه أن صدور رأي لأهل مكة وللدولة فيها ينشعب من نزاع في دولة سياستها دينها ، ودينها فهم سياستها يكون فيه الترجيح .. لوجهة النظر التي يعملون إليها وبالتالي تعمل إليها وتلتزم بها سائر البقاع في الدولة الإسلامية .

وإزاء ما يبدو من حامل الضغط والنقل السياسي الذي يمثل أهل الحرمين في المجتمع ميلا إلى التغطية الإمام يبرز مكثفاته في جانب والى الشام حامل الجذب السياسي بناء على بسند النظر ، واستغلا لا للدواء في توجيه دفة النزاع وأخذاً بالأحوط في التعامل مع الخصوم للنزاعين . وذلك باستخدام سياسة التطويق للخصم ومحاولة تجريد من القوى المتعاطفة معه والتي تمثل عنصر قوة له .

وهنا يدخل الوالى « مداوية » في سلوك أسلوب التعهيد لأهل مكة وللدولة حسام لا يعملون إلى الخليفة « على » إن استعصى عليه الجذب لهم تجاهه كلية .

وقد اتضح القسرة في ذهنه بدأ ممارسة التنفيذ لها ؛ فراء قبل .

(١) لقتال لمن لم يبايع

بدنه للسيرة إلى (صفين) يسرع إلى «عرو» يستشير فيها اعتمذه من
محاربة التصعيد لأهل مكة وأهل المدينة «تلاقي حوار استشاري بينهما :
مماوية : إني قد رأيتُ أن تُلقى إلى أهل مكة وأهل المدينة كتاباً
نذكر لهم فيه أمر «عنان» فلما أن نُدرك جاجكتنا ، وإما
أن يكفَّ القومُ هنا .

عرو : إنما نكفُّ إلى ثلاثة نفر :

- ١ - راضي بـ «عل» فلا يزيدُه ذلك إلا بصيرة .
- ٢ - أو رجل يَهْوَى «عنان» فلن نريه على ما هو عليه .
- ٣ - أو رجل معتزل ؟ فليست بأوثق في نفسه مِن «عل» .

مماوية : على ذلك !!

ومن المحاورة يعضح أن والي الشام قد حاول التصعيد لأهل الحرمين
معتدلاً على استئارة الجانب الماطني في نفوسهم واستمطابه لحسابه وذلك
بتوجيهه إلى المضادة للخليفة «عل» عن طريق تذكيرهم بمأساة الاغتيال
للخليفة «عنان» التي أُلقيت مسئوليتها على البغيين من أتباع الخليفة
«عل» دون تحديد بحيث يمكن إلقاء تهمتها على كل فرد منهم مادامت
التهمة قد اتَّسعت بالشروع ، ثم امتدت حتى تناولت الخليفة هيته ، ثم
تضخمت وحُمِلت للخليفة «عل» كل وزرِها ، وانتهى بها الأمر إلى أن
حاصرت وصمة عامة يمكن أن يُوسم بها كل فرد يحاول أن يقف في وجه
الغاصرين من أهل الشام ، أو تشتم منه ربح القصدى لهم .

ولم يعرف التاريخ تهمة مطاطة سريعة الانتقال والمدوى والاراي
لشرورها القطاير حتى تلتحق بكل من لحقت به من المسلمين مثل تلك التهمة

التي تمتعت ، واستمعت على التعديد والحصر لما في فرد بعينه - واربعة
كان الجميع لها على هذا الوضع قد قصد به التطويل التهمة لتخدم الغايتين .
للخليفة حقه في بسط سلطانه على سائر ارض الخلافة حيث قدمكنهم التوبيخ .
لها من التصحك بدقة في توجيهها ليترى بها كل من يحاول قطع الطريق
عليهم ليحول بينهم وبين تحقيق ما دبرهم السياسي في ذلك - فترام
وقد نصبوا من أنفسهم اولياء الدم المطالبين بالقصاص للخليفة المغال .
في الوقت الذي يوجد فيه من هو اولى منهم بتلك المطالبة ، ثم توسعوا
في هذا الحق فوققوا بوجهون سهام الاتهام بالاغتيال إلى كل من م في
غير موضع عنه حتى ولو كان من أنقى الأبرياء وأهدم من تلك التهمة .
وواضح من الحوار الاستشاري بين الداهيتين أن الوالي « معاوية »
كان واجها من الفائدة المرجوة من وراء تلك السكعابة إلى أهل الحرمين .
حيث يرى نفسه وهو متراوح بين احتمالين كلاما في صالحه :

(أ) فهو إما أن ينجح في استيانتهم إليه فعلاً ، وصرفهم عن الميل .
والتأييد للخليفة « هل » وهذا يمثل عنده قوة النجاح المرموق - بدليل
قوله : « نذكر حاجتنا » .

(ب) وإما أن ينجح نجاحاً جزئياً على أقل تقدير - وذلك بهلوجه
هدف التعديد لأهل المدينتين بكث تأييدهم عن الضليقة الإمام ،
ومضادتهم له بدليل قوله : « يكث القوم عنا » وهذا يمثل في نظره نجاحاً
في تخفيف ضغط جماعات التوجيه للرأى العام ليس مقتنفاً مَرِجاً إذا
مانحج في التفرغ لضبط أولئك من أصحاب الحل والمقد ذوى الرأى .

المسروع المقدر به بين جماعات المسلمين عامة الصادر عن أهل مكة وأهل المدينة .

ويبدو من التحليل بالتقسيم الثلاثي لحال أهل الحرمين الذى طرحه المستشار « عمرو » أنه قد أظهر الأجدوى من مكانة أهل المدينتين فى هذا الشأن حيث لا بُدَّ من تحقيق أية فائدة تُخدم الوالى « معاوية » من جِراء الكتابة إليهم .

(١) فالأرضى بالخليفة « على » هو ضد الوالى « معاوية » والكتابة إليه لن تزيده ثقة وبصراً بسلامة موقفه أكثر مما هو عليه . إذن — لا فائدة تُرجى من مكانته — لأنه ضد صريح لا يمكن زحزحته عن وضاء بالخليفة الإمام .

(ب) ومن يهوى الخليفة المتكالب « عثمان » هو معلق بهواه بحيث لا يمكن أن يصرفه عنه صارف آخر عن الاشتغال به حتى ولو كان النظر فى أمر اغتياله والقصاص له ؛ فلن يَسْمَحَ له هواء بالجرى وراء التهمة الملوَّح بها تركاً لما انعقد عليه قلبه من الحب لـ « عثمان » ؟؟

إذن فهذا القسم أيضاً لن يكون مع « معاوية » .

(ج) وللتزول للنزاع ليسوا أيضاً معه من بعد أن ارتفعوا لأنفسهم البُعد عن الخوض فى هذا النزاع اعقاداً منهم أن السلامة فى عزلتهم — وبهذا لن تخرجهم الكتابة إليهم مما ارتفعوه لأنفسهم .

وعلى سبيل القرض لو أمكن لأمثال هؤلاء أن يفارقوا عزلتهم لصح منهم الليل إلى « على » الخليفة ثقة منهم فى أن الحق إلى جانبه حيث ارتفعوا ييمته إدىء ذى بده .

وصُنف مركز الوالى « معاوية » عند معتزلى النزاع يبدو من تحول « عمرو » : فاشتَ باوثق فى نفسه مِن « على » حيث ركز الثقة النفسية عندهم وجعلها إلى جانب الخليفة الإمام - وبناء على هذا يَستَبر للمعتزلون من ليسوا مع « معاوية » ولا يمكن إمالتهم إلى جانبه . ويمكن التلخيص لنتاج التقسيم الثلاثى لخال أهل الحرمين ومؤداه أنهم جميعاً فى الجانب للضاد للوالى « معاوية » وإن كانت درجة للضادة له قد تفاوتت قوة وضخا .

فأراضى بالخليفة « على » هو فى مضادة مريحة له ، وأحباب الخليفة للفتكال « عثمان » هم وللمعتزلون للنزاع فى مضادة ضمنية له .

وبهذا يكون للاستشار « عمرو » قد كشف بنية الوزن السياسى للوالى « معاوية » لقاء رجسان كفة الخليفة « على » عند من يهدم للميزان المقرر لقوى الفتاعة فى مجتمع الأمة الإسلامية .

والتصور الصحيح للموقف يندمونا إلى إسباغ الصلح على التتحييل الذى طرحه « عمرو » لواقف أهل اللدبنتين حيث أبدى براعة الظهير للدرك لا تجاهات الرأى العام للوزير ، واستشر ما انطوت عليه نفوسهم ، ومضى تأييدهم فى الرأى العام للدولة الإسلامية والذى تحقق صدقه نيا ^(١) .

غير أن الوالى « معاوية » لم يقتنع بما طرحه عليه « عمرو » من تحليل وتقسيم ، وربما كان يؤمل أن ينال خيراً من وراء المسكينة -

(١) واجع رد عبد الله بن عمر ، الذى أجابهما به ص ٢٥٨ التالية .

فما كان منه من جواب على تحليل « عمرو » سوى أن يقول : « على ذلك » .

إذن - فقد ضيع البعائج الإيمائية لمكانته ، فما كان من « عمرو » سوى أن ينصاع لما اقترأه « معاوية » وانتهى بهما الأمر إلى الكتابة إلى « عبد الله بن عمر » سوياً فقالا في رسالتهم إليه :

« أما بعد - فإنه مهما غاب عنا من الأمور قلن ينهب عنا أن . « علما » قل « عثمان » والدليل على ذلك مكان قوله منه ، وإنا نطلب يديه حتى يقدموا إلينا فتلقه فنقتلهم بكتاب الله ، فإن دسهم « على » إلينا كفتنا عنه ، وجعلناها شورى بين المسلمين على ما جعلها عليه « عمر ابن الخطاب » وأما الخلافة فلست نطلبها فاعهتونا على أسرتنا هذا ، واتهموا من ناحيتكم فإن أيدينا وأيديكم إذا اجتمعت على أمر واحد حاب « على » ما هو فيه » .

التعليق

والرسالة في مضمونها تنطوي على ما يلي :

(أ) الاتهام الصريح للخليفة « على » بأنه القاتل له « عثمان » استنادا إلى أنه قد آوى قتله ، وقد اتخذ الإبراء كذريعة لإقناع « ابن عمر » بأن عليا هو القاتل .

(ب) « معاوية » و « عمرو » قد نصبوا من أنفسهم أولياء دم « عثمان » لذا - طالبا بحقوقهما في القصاص من قتله .

(ح) ينفي كل من « معاوية » و « عمرو » عن نفسيهما شائبة المطالبة بالخلافة أو السعي لها - ليظل بارزا أن قصدهما الأساسي ليس .

غير القصاص للخليفة المقتل ، ول يظهر نزاعهما أنه ديفى ميرف مقطوع
 بإنفاذ حد من حدود الله ويجرد من أية أغراض سياسية حيث أخفيت
 في ثنايا الرسالة ، ولم تذكر إلا عند اللطابة بحمل الخلافة شورى حتى بعد
 القصاص لـ « عثمان » حتى بعد الاستعانة لمطالبهم لن يصح عندما أن
 « علياً » هو الخليفة الذي يوم له عن رفض تام من الجميع ثم جباراً لهاوا .
 وما إذن أنه يستقيم لها قول بسد الآن : وأما الخلافة فلنشا
 نطلبها !!

(د) التلويح بحمل الخلافة شورى بين المسلمين فيه إسقاط الخلافة
 القائمة ، وسلطانها المائل في شخص الخليفة ، وإبطال لرسومها التي عمت
 بالمباينة لـ « علي » واعتبار أن الأمة الإسلامية في تلك الفترة إنما
 هي خُلُوفُ الإمام الشرعي لها يسوسها ويعمل مسئوليات القيادة
 لها ، وأن كل ما يصدر من تصرفات إنما تجانبه الشرعية لصدورها من
 شخص مطعون على صحة خلافته في نظره — لأنها ما تزال على ما جعلها
 عليه « عمر بن الخطاب » .

هذا — والتلويح بطرح الخلافة شورى بين المسلمين فيه التلويح
 قصد الإغراء لـ « عبد الله بن عمر » لعله يصيب منه هو في نفسه إليه
 بهواه — حيث قد وجدون المسلمين من نادى بإرجاع الخلافة « عمرية »
 في تشدها في مسيرتها بينهم بإسنادها إلى أبه « عبد الله » .
 وبما لا شك فيه أن التلويح المطيح « لابن عمر » بالخلافة ما هو إلا
 محاولة جادة من « معاوية » قصد الرخصة « لابن عمر » عن موقفه منه
 الذي يدرك تماماً أنه ليس بمؤيد له فيه .

فشل مسعى التحييد

لقد صدق حدس « عمرو » في أن محاولة التحييد لأهل مكة وأهل المدينة غير مجدية فلا داعي للكتابة إليهم في ذلك ، وخاب نال « معاوية » في النتائج المعلقة عليها - حيث وجدنا « عبد الله بن عمرو » يرد عليهما قائلا :

« أما بعد - فلم نرى لقد أخطأنا موضع البصيرة ، وتناولناهما من مكان بعيد ، وما زاد الله من شاك في هذا الأمر بكتابكما إلا شكاً - وما أننا والخلافة ؟ »

وأما أنت يا « معاوية » فطليق^(١) ، وأما أنت يا « عمرو » فظنون^(٢) - ألا فكنا من أنفسكما فليس لسكما ولا لي نصير^(٣) . - .
التعليق :

والرسالة واضحة الدلالة على ما يلي :

يأتي (عبد الله بن عمرو) أن يتخذ كل من (معاوية) (وعمرو) ضميراً إلى غرضهما وهو الخلافة :

(١) فهنّ لما أنهما قد سلكتا أطول الطرق واشتقيا إلى قصدهما بقوله : تناولناهما من مكان بعيد - أي أنه يتف في وجهيهما حقبة في هذا الأمر ، ولن يسطيعا فرصة العبور عليه بسهولة ويُسْر ، وكان من

(١) واحد الأسراء الذين أطلقهم الرسول عليه السلام يوم فتح مكة .

(٢) منهم لا يرتق به

(٣) وقمة صفين ص ٦٣

«الأنضل لهما أن يقصدا غيره» — أما هو فصلب لابلين، وبالتالي بدل الحقوى
المباراة مل أنه لو كان قد صبح منهما قصد الطريق الأقرب الأصوب
بالتسليم لصاحب الحق لكان لهما فيه خير عون .

(ب) وبين أنهما قد أخطأ القصد بليغتهما إليه — لأنه مدرك
لحقيقة مجريات الأمور، ويدل بمن هو صاحب الحق ومن ينازعه فيه ؟
فثله لا يخفى عليه مالهما من مأرب هو عين الطموح إلى الخلافة —
إذن — فلن يسكون لهما منه أى مؤن يؤثله فيه ؛ أو يحاولان
حذفه لاه . وهذا — سرٌ مخطئتهما الوثيقة التأكيد في عبارته (لقد
أخطأتما)

(ج) حدوث العلم السابق لدى « عهدها بن عمر » إحساساً منه
بالتعذر الذى يهتف إليه كل من « معاوية » و « عمرو » من تطلع إلى
الخلافة كتحسیر للأحداث الجارية في الشام : من اعتناع لواليتها ومن
حبيبه من البيعة للخليفة « علي » وتطور الأمور إلى ردى للخليفة بفعل
سلفه الخليفة « عثمان » وللطالبة بدمه وإعلان « معاوية » من نفسه
ولياً يطالب بانقصاص له .

وإذا كان « ابن عمر » يساوره الشك قبل الآن في الدفاع المحرك
لذلك الأحداث ، وحقبة القصد فيما يتقويه الأشخاص الواقفون خلفها
مخدبات هذه الرسالة فزادته شكاً على شك فيما يترزمانه من أنهما يبنيان
حق وراء كل ذلك إلى التعلق بالخلافة ، والآن قد رقى شكه في ذلك قوة
حتى بلغت به الرسالة مبلغ اليقين — مما دعاه إلى أن يصارحهما في الجلة
التالية لذلك بأنهما ساقطى شرائط الأهلية لقولها .

وإذا كان « ابن عمر » قد استطاع أن يستشفَّ بِذِ كائنه من خلال
سطور الرسالة ما انتوي به ، ولم تنمَّوْه عليه الأمور فمتصدع بها ، فقد كان
أيضا واضعا في رده عليهما من أنه لن يكون مُمَيِّزا إلى قصدهما ، فمقدمه
تبيين له على سبيل القطع سرغوبهما في الخلافة نراه يماجلهما يرد تطلعهما
عليهما بأسلوب هو غاية في التوبيخ على مثل هذا التطلع بقوله : وما
أنا والخلافة ؟! أي أننا غير مُؤَهَّلَيْنَ لئليها أو محاولة التطلع إليها لعدم
توفر أيٍّ من شرائطها فيسكما — وبهذا — يكون « ابن عمر » قد
طرح بهما بعيدا من الخلافة ، وقرَّعتهما حتى على مجرد التعلق بنفسيهما
أو التطلع إليها بهذا الأسلوب !!

ولم يتركهما على حالهما من التفرغ وإغما أنبه ببيان الأسباب
المُنِيطة لأحليتهما فصارح « معاوية » بأنه أحد طلقاء الرسول عليه
السلام يوم فتح مكة ، وبهذا تكون عبارته (أما أنت يا معاوية فطليق)
للصدرة بأما الشارطة والمنلوَّة بأنك للوجهة للخطاب ، وإثرا وقع
النداء المحدث والمعين لذات الشخص قد حكمت عليه حكما أبديا لا تزوله
رِيحُهُ — بأنه من الأسراء الذين منَّ عليهم بإطلاق السراح — وبهذا —
لم يَسْطِطْ عنه الحق في الخلافة أبدا قطع ، وإنما ذكره أيضا بإذلال موقف
كان يحتمُّ عليه أن يكون فداه لذلِّ أَمْرِهِ في ذلك اليوم .

وأما « عمرو » فقد حكَّم عليه بأنه مُتَمِّمٌ لا يُؤْتَقِ بِهِ (ولما أنت يا عمرو
فمُتَّكِنٌ) ومثل هذا الحكم كقول إسقاط أحليته العامة في أي تصرف
يمكن أن يمارسه في مجتمع المسلمين ، وما دامت الثقة فيه لا ترقى إلى هذه

المجلد - فا بالك والخلافة ١١ وبناء على هذين الحكمين للسببين أصبح
الأمم لمهما في الخلافة ماداماً مؤسسون بذلك .

ولما كان من المقطوع به عند ابن عمر ، أن لاحق لمهما في التطلع
إلى الخلافة - إذن - فليكنها عنه مطالبتهما بالموافق في شيء إن
يستعفه ، وتكون عبارته (ألا فكفاً عن أنفسكما) تنبيه حازم صارخ
أن يجابدا بينهما وبين ملاحقته والضغط عليه بهذا الخصوص ، ويمكن
ملاحظة مدى الضغط الواقع عليه من الجمع للفظ (أنفسكما) للشراهما
ألقيا عليه بكل قلمهما - مما دعاه إلى إقذارهما بالكف عنه قلت -
حيث لن يضمنهما على ما بينهما هو ولا أحد من جماعة اللذين الذين
يذكرون فيهما ما أدرك - لذا قال : فليس لكما ولا في نصي .

وكأنني التفتة لمهما في هذا الأمر قاعاً أيضاً عن نفسه بخصوصه
حيث لن يجد من ينصره فيما فيه حكمة من الحق لو حاد قرضاً وحاول
أن يجاريهما بالمغازاة للخلافة « على » .

وهذا - أدخل في نقي النصراء من « معاوية » و « عمر » فيما
طلبها النصرة من أجله .

وإذا استطعنا أن نعتبر أن رأى « عبد الله بن عمر » هذا هو الرأى
المعبر من وجهة نظر المهجرين في عدم أحقية هذين في التطلع للخلافة فقد
وأننا رأى خلطائهم من الأنصار مثلاً في قصيدة بحث بها أنصاري^(١)

(١) لم يرد ذكر لأمم الأنصاري صاحب القصيدة ، وقد وثق النسب
الذي أوردته في هامش وقمة صفيين بذكره في المتن (كتب رجل من الأنصار)
مراجع ص ٦٣ .

ونقرد « ابن عمر » السالف قال فيها^(١) .
 « معاوية » إِنَّ الحقَّ أَهْلَجُ وَأَضَحُّ
 وليس بما رُبِّعْتَ أَنْتَ وَلَا « عمرو »
 نَصَبْتَ « ابن حنَّان » لَنَا اليومَ خُدعةً
 كما نَصَبَ الشَّيْخَانِ^(٢) إِذْ زُنُوفَ الْأَمْرِ
 فَمَذَا كَذَا الْبَلَاءِ^(٣) حَذَوْا نَحْسَهُ
 سواء كوفراق^(٤) يُغَرِّبُهُ السَّنَو
 رَمِيمٌ « عليا » بِالَّذِي لَا يَضُرُّهُ وَإِنْ عَظُمَتْ فِيهِ السَّكِينَةُ وَالْمَكْرَمُ
 وَمَا ذَنْبُهُ أَنْ نَالَ « حَنَّان » مَمْسَرَةً
 أَوَّلُهُ مِنْ الْأَحْيَاءِ يَجْمَعُهُمْ مَضَرَّةٌ
 فَصَارَ إِلَيْهِ الْمُلُونُ يَبْقِيهِ هَلَاكِيَةٌ مَا كَانَ فِيهَا لَمْ يَكُنْ قَسْرٌ
 فَبَاقِيَهُ الشَّيْخَانِ كَمْ تَحْمَلَا
 إِلَى الثَّمَرَةِ الْمُطَيِّ وَبَاطِنُهَا الْقَدُورُ
 فَكَانَ الَّذِي قَدْ كَانَ عَمَّا اقْتَصَاصُهُ^(٥)
 رَجِيحٌ^(٦) فَيَا لَيْلَ مَا أَحْدَثَ الدَّهْرُ لَنَا

(١) للتصيدة ص ٦٣ - ٦٤ .

(٢) غنى بها طلحة والزبير صاحبي وقمة الجبل

(٣) بمقصود البلاء

(٤) السراب يفتن به المسافرين الظلمات .

(٥) روايته تكرور وتماد (٦٥٠)

فَا وَالْقَصْرُ مَعًا وَأَنْتُمْ
وَمَا أَنَا لَهُ دُرٌّ أَيْسَكَا وَذِكْرُكَ الشَّوْزَى وَقَدْ فَتَحَ الْقَبْرُ
البيان الأدبي :

النص يُفصح عما يلي طبعا لما عبر عنه الشاعر :

(أ) لقد اتضح أن « معاوية » قد اتخذ من رثمة لقيص « عثمان »
والناداة بالتصاوص من قُتلته (خُدمة) ينتظر من وراءها هدفاً سياسياً
آخر يحتميه لاهلاقة له بالدين ولا بالقبلى كي حل « عثمان » وذلك أمر لم
يخف علينا فقد ظهر واضعاً .

ولفظ (رُبِيت) يوحي بأن الانتظار إنما يتم قصد التحين لفرصة
للتأسيب للاقتراض على النرض المتصور من بعد أن تكون الخدمة قد
أنتت أكملها ، ومكنت للتربصين فرصة التلث ريثما يحين وقت الوثوب ،
ولفظ (نصبت) يوحي بأن « معاوية » قد اتخذ من اغتيال « عثمان »
نصباً ألامه ليجتبه إليه المتباكون ويفرغ هو لتعتيق غرضه السياسى فى
الخلافة من وراء ذلك المشهد الحزين .

(ب) يسوى الشاعر بين صنوع « معاوية » وصنيع « طلحة »
« والزبير »^(١) فى الحادعة بما يُشير به التشبيه فى قوله : « كما نصب
الشيخان ... » وما لاما به أمر جريلاً على المسلمين تماماً كهذا البلاه
المرتقب من وراء صنوع « معاوية » .

(١) مثيران الحروب الخفية .

(٢) بايما وعليها ، ثم انصرفا إلى التبييض حنده بما أدى إلى وقعة الجمل .

(ج) يكشف الشاعر حقيقة أن ما ألَّهم به « علي » ما هو إلا مكيدة ومكر ، وما وإن كانا لا يُصيرا له شخصيا غير أن بهما من بلاء السكيدة ودعاء المكر الخطر العظيم عليه ، وكان الشاعر دقيقا عندما قال (رموز) حيث دُلَّ أن « عليا » قد أصيب فعلا في مقتل بسبب تهميق دافعها خبت السكيد وعين المكر ، ولولا حصانات معينة تميزت بها شخصية الإمام لسكنت القهمة كفولة بالحق له ، وربما قصد الشاعر من وراء ذلك التلميح بظلمة « علي » في الإسلام ومواقفه الشهود له بها مما يسطيه مناعة ضد شرِّ القاتل أو القدامى أمام خطر هذه التهمة التي أملاها « السكيد وأحكمها المكر » .

(د) يُبرِّئ الشاعر « عليا » من تهمة القتل لـ « عتيان » مبينا أنه لا ذنب له في الحادث الذي تألَّبَتْ فيه علي « عتيان » جماعات قديمة من خلف الأنحاء ، وقصدوا بيته علانية حيث شوهدوا كانوا من السكيرة بحيث لا يقوى أحد على ردِّهم ولو عن طريق القوة ، فقد كانوا رمية قصدوا الخليفة — وما يستطيع أحد ودَّ الرعية عن الإفناء بإمامها — وبما لُفِّقَ إليه شكاية ، أو لتعصيه في أمر أو لتناقضه في تصرف أتاها رأَتْ فيه الجبانة لصواب — فلقاؤها حقها للشروع المكشوف في الدولة الإسلامية فلا يستطيع أحد أن يحول بين الرعية وبين هذا الحق — كأنه لم يكن لأحد فكر يمكن أن يحسد بأن الأمور ستعطور إلى حدٍّ من سوء ينتهي بمصرع الخليفة .

ولما كانت مسئولية إدارة دفة الأمور في الدولة رهنا بيد الخليفة القائم بالأمر — إذن — فقد ثبت أن لا ذنب يلحق « عليا » .

على الاتهام الوجه إليه حق ولو في القرائن من نصرة « عثان » حيث لم
يقترف القتل ، ولم يقصر في الحيلولة دونه ، وبقاء على هذا
فلا مجال لاتهامه .

والاستقهام الثاني في قول الشاعر : وما ذنبه ؟

كفيل . معناه أى ذنب يمكن أن يُرمى به « على » وهو بالقال
ثابت على من سواء من الجماعات القادمة من مختلف الأمصار والذين
هكّاهم الشاعر بقوله : قال « عثان » معشر أئمة من الأحياء والعجز
بالنمل (قال) يدل على أن قصد الجماعة لم يكن مصحوباً بنية القتل
للاخليفة هادى ذى كبد ، وإنما هي الأحداث نتاجت نتيجة للتجمع
الجماعى غير المتجانس والمتكاثر في صعيد واحد يمثلون (الفوضى)
والجماع لا عقل لها مما أدّى إلى تفاقم الأمور ، واندفاعها في السوء
حتى انتهت بالاعتقال المشنوم .

(هـ) ينص الشاعر على أن « طلعة » و « الزهر » بايما علياً ثم خرجا
متمترين وهما ضميران حكراً علياً انطوت عليهما العمرة المظلمة هذه
إشغال حرب لا ينطوي لها لهيب بين جماعات المسلمين — الأمر الذي
يشنع فعله في المجتمع الإسلامى أن يفتلق المسلمون بسيوفهم — وما دام
الأمر كذلك فلا تنتظر منا معونة فيما أنتم بسيله من سوء تدبير يدفع
المسلمين إلى التطاحن ، وأنتم أبعد عن الانتظار والتأميل في أى نصرة
لكم منا في هذا الأمر الشنيع . وقد ضمن الشاعر هذا قوله البلعج : (فنا
أنتم والنصر) ثم أنتمه الأسلوب الإخبارى المنبت أنه لا هم لهما إلا إثمارة

الحروب التي لا يَجِدُ لها أوار بقوله : أننا بيميننا حروب - وجاء وصفه
المرّة - (العظمى) لِيُشِيرَ بانطوائها على غُدرٍ خطير - مما يتنافى مع
الفرض الذي شُرِعت له من كونها عامة لله ظاهرة وباطنة - أما هذه
فمظلمة لداخِلِها غرضاً خبيثاً يتنافى وشرعيتها وهو (القدر) .

(و) وكما ياعدد الشاعر بين « مساوية » و « عمرو » من أن ينظرا
أي نُصرة لما من أهل المدينة كذلك ياعدد بينهما وبين مجرد القصد
في أمر الشورى (وما أننا . وذكرنا الشورى) وكأني به يقول لما :
إنكنا لستما منها في شيء ، فلا تتناولنا ولو بالذكر لأنكنا لستما
من أهلها - هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى لقد صح عندنا أنه
لا مقصد لكم غير (المخادعة) وما دامت حقيقتكما هكذا فكيف
يمكنكما أن تنصبا نفسيكما للشورى وأنكنا لستما من أهلها كولا مؤثمين
لها بمخادعتكم التي انكشفت مما يقطع أملكم في التطلم إليها نهائياً
على سبيل اقتراض جوازه^(١) .

وبالتّزن بين اقتتاح القصيدة : الحق أبلغ واضح وبين الاختتام
لها : وقد فلق القبر :

نرى لوئناً قريباً من ردِّ الصّدْر على العجز يُثبت وضوح الحق نيراً
في قلب غلام الأحداث المصطنعية ، وفيما يحاول « مساوية » ومن الثقة
التقول : إنه ليس إلى جانبه وبناء على الاعتبارات التي أوردها الشاعر -

(١) لم يدخل « الخليفة عمر » في الشورى أحداً إلا من كانت نعل له
الحلّة من قريش .

عُودَ إِلَى إِرسالِ الرُّسُلِ

للوقوف السياسي :

يبدو أن محاولات إحلال السلام ، وفض النزاع الدعائى المشعير بين الخليفة الإمام ووالى الشام بطريقة سلمية كانت ما تزال أملاً له بقية باقية ، وسرى لتلك المحاولات صوراً شتى فيما يُعَيَّل من أحداث النزاع حتى بعد اشتعجار السيوف وسقوط القتلى من الجانبين - وذلك بمحاولة كفى الرأى « معاوية » وصرفه عما هو عليه ، ودفعه إلى التأين في موقفه بالمباينة للخليفة « على » وخاصة من بعد أن كان ما كان من إيفاد « جرير » وعودته بالفشل في مهمته .

وتأتى فكرة للعودة إلى إيفاد صيوت كفاء برامى في إرساله هذه المرة أن يدخل على « معاوية » بحيلة تأتى من عند « عدي بن حاتم » من أتباع الإمام حيث قال له :

يا أمير المؤمنين - إنَّ عندي رجلاً من قومي لا يُجارى به ، وهو يريد أن يزور ابن عمك^(١) « حابس بن سعد الطائي » بالشام فلو أمرنا - أن يلقى « معاوية » لعله أن يكسره ، ويكسر أهل الشام .
ويسحب الإمام لامرض فأنلا : نعم فَرَّه بذلك .

وهكذا يميل الإمام إلى معاودة إرسال الرسل بناء على اقتراح قُدِّم إليه ، وتكون هذه هى المرة الأولى التى يميل فيها الإمام إلى الأخذ

(١) هو « خفاف بن عبد الله » لا والله أحد كفادة .

بما يُعرف بالسلوك الديبلوماسي الذي يهتم بالمرونة إلى جانب الحسنة في سياسة المواقف ، ولا رُفُض الإخفاء للقصد في التصرف بالسلوك به الطريق غير المباشر قصدًا إلى الهدف — حيث كان الإيقاد للرسول مدخولاً غير مرجح فقد خُطط ورسم له أن يتم في صورة زيارة قريب ^١بحر إلى مقابلة الوالي « معاوية » .

ويقدم الرسول الجديد « خفاف بن عبد الله » على ابن عمه « حابس ابن سعد » بالشام ، ويُحدث « خفاف » ابن عمه « حابس » أنه قد شهد أحداث المدينة التي أودت بحياة الخليفة « عثمان » .

ولما كان أهل الشام في حالة تمعش إلى العرف على تفاصيل تلك الأحداث وحقيقة الأسر فيها من مصدر ثقة لتبينوا حقيقة موقفهم في النزاع الديني السياسي ، ولما كان « خفاف » للبعوث من الدين يؤثق بكلامهم ^(١) فقد غدا به « حابس » إلى « معاوية » ليعده به بأحداث المدينة ، وما أن انتهوا حتى دار بينهما الحوار التالي :

معاوية : (موجهًا حديثه إلى خفاف) هات يا أخا طيء : حدثنا عن « عثمان » .

خفاف : حقره للكشوح ^(٢) ، وحكم فيه حكمي ^(٣) ، ووليّه محمد ^(٤)

(١) كان بليغاً لئلاً إذا مهابة كما كان شاعرًا — راجع زقعة صفين ص ٦٥ .

(٢) المكشوح المرادى / شخص عتلف في اسمه .

(٣) حكمي بن جيلة بن حصن العبدي كان عاملاً لعثمان .

(٤) محمد بن أبي بكر الصديق .

وَعَمَّارٌ^(١)، وَتَجَرَّدَ فِي أَمْرِهِ ثَلَاثَةٌ نَقَر : عَدِيَّ بْنُ حَاتِمٍ ، وَالْأَشْتَرُ النَّضِيُّ ،
وَعَمْرُو بْنُ الْحَقِّ ، وَجَدَّ فِي أَمْرِهِ وَجَلَانُ : طَلْحَةُ وَالزَّيْبِرُ ، وَأَبْرَأُ النَّاسِ
مَعَهُ « عَلِيٌّ »^(٢)

مَعَاوِيَةُ : كَيْفَ مَعَهُ ؟

خَفَافٌ : نِمَّ نَهَافَتِ النَّاسِ عَلَى « عَلِيٍّ » بِالْبَهِيْمَةِ نَهَافَتِ الْفَرَاشِ حَتَّى ضَلَّتْ
الْقَتْلُ ، وَسَقَطَ الرِّدَاءُ ، وَوُطِنَ الشَّيْخُ ، وَلَمْ يَذْكُرْ لَهُ نِمَّ نِهْجًا
لِلْمَسِيرِ وَخَفَّ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ .

وَكُرِهَ الْقِتَالُ مَعَهُ ثَلَاثَةٌ نَقَر : رَسَمِدُ بْنُ مَالِكٍ ، وَعُمَيْدُ اللَّهِ بْنُ حَمْرٍ ،
وَعُمَيْدُ بْنُ مَسْلَةَ ، لَمْ يَسْتَكْرِهْ أَحَدًا ، وَاسْتَفْنَى بَيْنَ خَفِّ فَمِهِ عَنْ قَتْلِ ،
نِمَّ سَارَ حَتَّى أَتَى جَبَلَ طَبِيءٍ ، فَأَنَاءَ مَتْنًا جَمَاعَةً كَانُوا ضَارِبِينَ بِهِمُ النَّاسِ
حَتَّى إِذَا كَانَ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ أَنَاءَ عَجِيرٍ « طَلْحَةُ » وَ « الزَّيْبِرُ »
وَ « عَائِشَةُ » إِلَى الْبَصْرَةِ ، فَسَرَحَ وَجَاهِلًا إِلَى السَّكُونَةِ فَأَجَابُوا دَعْوَتَهُ ،
فَسَارَ إِلَى الْبَصْرَةِ فَهِيَ فِي كَفِّهِ ، ثُمَّ قَدِمَ إِلَى السَّكُونَةِ فَحَصِّلَ إِلَيْهِ الْعَصِي
وَدَبَّتْ إِلَيْهِ الْمَجُوزُ ، وَخَرَجَتْ إِلَيْهِ الْمُرُوسُ فَرَحًا بِهِ ، وَشَوْقًا إِلَيْهِ ،
فَفَرَّقَتْهُ وَلَيْسَ مَعَهُ إِلَّا الثَّامُ^(٣) .

حَابِسٌ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ لَقَدْ أَسْعَيْتَ شَرًّا غَيْرَ بِحَالٍ فِي « عَنَانٍ » وَعِظَامٍ
بِهِ « عَلِيٌّ » عَدُوٌّ .

(١) عَمَّارُ بْنُ يَاسِرِ الصَّحَابِيُّ .

(٢) رَاجِعْ فِي ذَلِكَ قَصِيدَةَ وَلَدِ الْمَذْبُورَةِ بْنِ الْأَخْنَسِ السَّالِقَةِ .

(٣) وَقْعَةُ صَيْفَيْنِ ص ٦٥ .

حماوية : أسمعني يا «خفاف» .

فأنشد بين يديه قائلا^(١) :

قُلْتُ وَالْأَيْلُ سَاقِطُ الْأَكْفَانِ وَبِجَنِّي مِنَ الْفِرَاشِ نَجَافٍ
أَرْقُبُ النَّجْمَ مَائِلًا وَمِنَ الْغَمِّ هُنَّ^(٢) يَمِينُ حُلُوبَةِ التَّدْرَافِ
لَيْتَ شِعْرِي وَإِنِّي لَسْتُ لِحُلِّ هَلْ لِي الْيَوْمَ بِالْمَدِينَةِ شَافٍ
مِنْ صَاحِبِ النَّبِيِّ إِذْ عَظُمَ الْخَطُّ بٌ وَفِيهِمْ مِنَ الْبَرِيَّةِ كَافٍ
أَحْلَالَ دَمِ الْإِمَامِ يَذْنِبُ أَمْ حَرَامٌ بِسَفَةِ الْوَقَافِ^(٣)
خَالَ لِي الْقَوْمُ : لَا سَبِيلَ إِلَى مَا

تَطْلُبُ الْيَوْمَ قُلْتُ : حَسْبُ خِفَافٍ
خَفَدَ قَوْمٌ لَبِثُوا بِأَوْعِيَةِ الْمَلَسَمِ وَلَا أَهْلَ صِغَةِ وَغَفَافٍ
خَلْتُ لَمَّا سَمِعْتُ قَوْلًا : دَعُونِي إِنْ قَلْبِي مِنَ الْقُلُوبِ الضَّعَافِ
قَدْ مَضَى مَا مَضَى . وَمَرَّ بِهِ الدَّهْرُ كَمَا مَرَّ ذَاهِبُ الْأَسْلَافِ
إِنِّي وَالَّذِي يَجْعَلُ لِي النَّاسَ مِنْ هَلْ لُحِقَ الْبُطُونُ^(٤) الْعِجَافِ
تَتَبَاوَى مِثْلَ الْقَيْسِ^(٥) مِنَ النَّبِ عِ بَشْمِ^(٦) مِثْلَ الرَّصَافِ^(٧) بِخَافٍ
أَرْهَبُ الْيَوْمَ إِنْ أَتَاكَ « عَلَى » صِغَةً مِثْلَ صِغَةِ الْأَحْقَافِ^(٨)

(١) وقعة صفين ص ٦٦ - ٦٧ - ٦٨ . (٢) يضم الغين النون .

(٣) التاني . (٤) ضامر الإبل هو يلها .

(٥) الأقواس تضرب بها السهام — شبه بها الإبل في تقوسها لضعفها
وتنحرفها

(٦) مني بهم المصباح الذين تلبد شعرهم واغبر .

(٧) المقددة يصلح بها السهم المتكسر .

(٨) الإهلاك الذي لحق بمعاد قوم هود .

لَمَّا الْيَتُّ عَادِيًا وَشُجَاعًا ۖ مَطْرُقٌ نَافِثٌ بِسْمِ زُهَافٍ
خَازِلُ الْخَلِيلِ كُلِّ يَوْمٍ نَزَالٍ وَنَزَالُ النَّفَى مِنَ الْإِنصَافِ
وَاضِعُ السَّيْفِ فَوْقَ عَاتِقِهِ الْأَ يَمْنُ يَذَرِي بِشَتُونِ التَّعَافِ ۖ
لَا بَرَى الْقَتْلَ فِي الْخِلَافِ عَلَيْهِ أَلْفُ أَلْفٍ كَانُوا مِنَ الْإِسْرَافِ
سَوَّمَ الْخَمَلَ ثُمَّ قَالَ لِقَوْمٍ تَابَعُوهُ إِلَى الطَّمَانِ خِفَافٌ :
اسْعُدُوا لِحَرْبٍ طَافِغَةٍ الشَّامِ ، فَلَبَّوْهُ كَالْبُهَيْنِ الْإِطَافِ
ثُمَّ قَالُوا : أَنْتَ الْجَنَاحُ لَكَ الرَّيَّ شِ الْقُدَامَى وَنَحْنُ مَعَهُ الْتَوَاقِ
أَنْتَ وَالِ ، وَأَنْتِ وَالِدُنَا الْهَرَمِ وَنَحْنُ الْغَدَاةُ كَالْأَشْيَافِ
وَقِرْبَى الضَّعِيفِ فِي الدَّارِ قَلِيلٍ قَدْ تَرَكْنَا الْمَرَاقِ لِلْإِخْفَافِ
وَمُمْ مَامُمْ إِذَا نَشِبَ الْبَيَا مِنْ ذَوْدِ الْفَضْلِ وَالْأُمُورِ الْكَوَاكِبِ
وَانْظُرِ الْهَوَمَ قَبْلَ نَادِيهِ الْقَوِ مِ بَسْمِ أَرَدْتَ أَمْ بِخِلَافِ
إِنْ هَذَا رَأَى الشَّفِيقَ عَلَى الشَّامِ مِ وَلَوْلَا مَا خَشِيتُ مَشَافِ

«بَيَانُ الْأَدَبِ» :

استطاع الرسول للدخول « خِفَافٌ » أَنْ يَلْتَمِسَ فِي حَدِيثِهِ الْخَوَارِ
وَفِي إِيجَازِ بَلِيغٍ عَمَلِ الْأَحْدَاثِ لِلتَّعْلُقِ بِإِفْتِخَالِ الْخَلِيفَةِ « بَنَانٌ » حَيْثُ
تَحَدَّثُ عَنْ حِصَارِهِ وَحُكْمِ الْجَاهِلِيَّةِ فِيهِ ، وَمَنْ وَقَفَ إِلَى جَانِبِهِ مِنْهُمْ ،
وَمَنْ تَجَرَّدَ فِي أَمْرِهِ ، وَمَنْ جَدَّ فِيهِ ، وَمَنْ هُوَ بِرَى مِنْ تَهْمَةِ قَتْلِهِ .
وزاد الأسر دقة ووضوحاً بقرئته الحديث باسم صاحبه ، وأتى بها

(١) الذِّكْرُ مِنَ الْحَيَاتِ

(٢) يَطِيرُ بِهِ الرُّوسُ

مرتبقة وفق أهميتها ، وأنها يائبات البراءة الخالصة للخليفة « على » من تلك الأحداث الرميّة في حياة الأمة الإسلامية ، وكان بارحاً في تسميته : وأبرأ الناس منه « على » حيث أثبت له براءة مطلقة لا يلحقها أى شك ولا مطعن - حيث أوردنا على سبيل القرض بأن تهمة القتل لو لحقت بجميع الناس ووقعت عليهم لكان « على » هو الفرد الوحيد الأبرأ منها ، وأقرب مبادوته هذه في مقام الأحداث للعروضة لتكون للثبوت لحديث الأحداث والنقطة عند حد البراءة - « على » بما لا يدع مجالاً لـ « معاوية » للنقاش أو التشكك أو معاودة الذكر لتلك الأحداث ، وبها يكون الرسول « خفاف » قد بلغ قصده في إتهام البراءة للإمام ، وأسقط من يد « معاوية » أمضى سلاح كان يعتمد عليه في نزاعه السياسى له .

ولهذا لم يجد « معاوية » لنفسه من سهيل سوى أن يقول : ثمّة ؟ وكأنه قد خشي من « خفاف » أن يطيل من حديثه في إتهام البراءة لـ « على » فقاطعه طالباً منه الانتقال وسرد بقية الأحداث - مع أننا لو تذكر قاطعة حديث « معاوية » لوجدناه يقول : حدثنا عن « عثمان » .

ولربما كان داعى « معاوية » في طلبه السالف هو التعرف على ما تلك مقتل « عثمان » من أحداث ظاناً أنه لن يكون هناك حديث من براءة « على » فأن قالها حتى قاطعه لينبذ من مجرى الحديث الذى لا يرغب وحتى لا تقع براعة الخليفة « على » على من في المجلس كالسكفة اللطيفة السكتية يترقبون فى نفوس السامعين وثناقلها الألسن خارج المجلس مثبتة البراءة للإمام - وهذا أمر لا يخفى « معاوية » فسكانت

المقاومة بمثابة صرف النظر عن حديث البراءة ، والدعوة إلى موالاة
السرد لما تلا ذلك من أحداث III

و « خفاف » بليغ في تصويره التزام على بيمة « على » بهافت
الفرّاش - فن المعروف عن الفرّاش أنه لا يهافت إلا على مصدر القود -
إذن - قد جعل « خفاف » من الإمام تبعا لهداية هفت إليه جميع
نفوس المسلمين نهاية بطريقة لم تُعهد إلا في نهافت الفرّاش - حيث
أدى التزام على البيمة له إلى وقوع أمور ما كانت تحدث لو كان
التزام عاديا أو تم في حد المقول .

لقد دس الشيوخ في مجتمع مجل كباو البن ويوقرم ؛ وسقطت
الأردية من المناكب وما كان الدري يحرس إلا على كمال هيبة في
جال هيته ، وضاعت الثمال وزاغت باختلاط بمقتها في بعض في
مجتمع شعث فيه الثمال فا كان كل عربي بمنصل - وما ذلك إلا
دليل السكرة السكرة التي تدافعت بطريقة تهاوى فيها حمل الثقاليد
نفرجت غايه ، وما أمكن الحفاظ على شيء من النظام نتيجة لطوفان
المدنمين العدائين من الجموع الراضية ببيمة الإمام .

أما قول « خفاف » : إن « جلها » لم يذكر « عيان » ولم يذكره -
فلربما أتى بها الرجول قصدا واضحة في موضعها هذا إثر الحديث عن
التزام على البيمة ليعبر أمرا قد اعتزمه المجتمع الإسلامي وشوكة أن
جماعة المسلمين قد صرفت النظر نهائيا عن الالتفات إلى أحداث الفتنة
الطاغية التي أودت بالغلبة « عيان » وأنها قد فتحت في حياتها صنعة
جديدة بدأتها بالبيمة للإمام « على » .

وعندما يتحدث « خفاف » من إجماع المراق على البيعة للإمام
تراه يصور ذلك في عبارات صنع منها التضاد في الأسلوب استغراقاً شل
جميع الرعية لم يخاف منهم أحد حتى من لا يحتم عليه الخروج بالمباينة .
فلحديث عن الصبي المحمول ، والمعجوز التي تدب إنفاً هو خبك
قبي في التعبير تناول به جميع أفراد المراق من صغورهم إلى كبرهم رجالاً
وتساء - بدءاً بالصبي من جنس الرجال وانتهاءً بمجائز النسوة ، وفاهوك
بالرجال شيباً وشباناً أصحاب الأصوات المخروطة بالمباينة أساساً وإن كان
مستكوناً عنهم لشمول التعبير لإمام ضمناً بالنس على المجائز من النساء
اللاتي لا يحتم عليهن الخروج ولا يقطعن إلا بمشقة - إنه فرح القنām
شل الأمة على خليفة رضى به بموسها !!

حتى العروس التي غابشوقها شيء في حياتها أعظم من أن ترى نفسها
عروساً - لقد غماها فرح أمتع مما يحى فيه تفرجت إليه لقتهم فيه ،
ولقرب من الفرحة به - وما كانت ظروف موسها تدعوها إلى
الخروج لو لم تكن في اعتبارها أن الخروج هو الأمتع !

وبعد أن أحكم « خفاف » التصور للاستجابة الجماعية المحببة إلى
أهل العراق بيمينهم للإمام تراه يهيئ حديثه بما يشعر أنه قد طارق
الإمام وهو مطمئن على قوته وضعه السياسي ورجوح كفته على من
يتنازعه ألا كان من بعد أن طابثلة أرض الجزيرة والعراق ولم يبق أمامه
من مهام سوى الشام وما أيسرها أمام قوى الدولة الإسلامية التي
انحازت إلى جانب الإمام !

وبهذا يكون « خفاف » قد وازن خفية بين ماعليه الخليفة الإمام
 وبين ماعليه والى الشام من قوة ، ووضع والى الشام فى الجانب الأضعف
 الذى يسهل على الإمام اجتياحه والسيطرة عليه ، وورده إلى جادة العوالم
 حول بالقوة إذا تمكنت حلانها نيكاً من بعد أن فرغ له الإمام حيث دانت له
 مسائر أنحاء الدولة الإسلامية ، ولم تبق سوى ولاية الشام — وهنا يبرز
 حوال منبسط لمعة والى الشام ومؤداه : فهل تقوى يا « معاوية » على
 المجاهدة والمقاومة لتلك القوى التى أتاك بها الخليفة الإمام ؟

فقد أتاك بكل تاريخه الحربى ، وببطولته فى الحروب الإسلامية ،
 وبشجاعته التى أثرت عنه فيها ، وبصره فى وقعة الجمل ، وبقوة الأمة
 الإسلامية تقف إلى جانبه تشد أزره من بعد أن وضيت به ودانت
 له وأسفوت الشرعية بالإجماع على مبايعته خليفة .

وهنا نجد والى الشام وقد استولى عليه القدر وركبه الخوف^(١)
 وما كان يملك سواها أمام تلك الأنباء للربعة لحشد القوى ضده
 والى صيبت عباداتها بنقة وعداية أذهبت قوة تماسكه .

وليت الأمر وقف عند حد النقاش الحوارى للرعب الآنف
 وإنما وجدنا « حابسا » صديق الرسول بخير « معاوية » بأن
 له « خفاف » شيراً خطيراً ، وخطورته تمكن فى تغييره للمعالم التى
 أحلت عليها فى الولاية فيما يتعلق به « عثمان » وفيه ما فيه مما عظم به
 « علياً » حدى .

وبسع « معاوية » القصيدة فيهيه الانكسار^(١)، وبس الضياع
من بعد أن أحسَّ أن أهل الشام الذين يركن إليهم هم حُرمة لثقت
من قبضته ، وهذا — لا يملك إلا أن يقول :
معاوية : يا « حابس » إني لا أظن هذا^(٢) إلا عَيْناً لـ « علي »

وقد كان « معاوية » قوى الخلدس في إحساسه بالارتباط الوثيق
بين ما أُلقي إليه من حديث وشِعر مُرعب وبين النزاع الدائب بينه
وبين الخليفة الإمام ، وأن « خفافا » ليس غير جاسوس وطابور
خاص جاء ليضرب أهل الشام وواليتهم في منوياتهم لحساب الإمام .
ولربما سأل والي الشام نفسه سريعا :

وماذا يملك مِن قوة إذا انصرف عنه أهل الشام اقتناعه
ببراءة علي ؟ .

وكيف تمكنه مقاومته والحال أن « عليا » بقواء لم يعد له مِن مُسواه ؟
وهنا تبسّد قبة القشوف عند « معاوية » من خطورة بقائه
« خفاف » في الشام فتجده يصور أمره النافذ إلى « حابس » قائلا :
معاوية : « أَخْرِجْهُ هُنَاكَ لَا يَفْسِدُ أَهْلَ الشَّامِ »
وما كان هذا إلا نتيجة للتأثير النفسى الرعب الذى وقع والى الشام
سريعا له من بعد أن سمع قصيدة « خفاف » للرابعة إثر حوارهِ الخفيف .

(١) راجع نص القصيدة .

(٢) يعنى « خفافا » الرسول .

وبعد — فما هي تلك للماني التي أزعجت « مساوية »
في القصيدة ؟

(أ) استعمل « خفاف » قصيدته بإظهار الفائق والحدة نتيجة
لانتخبط نيا لم بالدينة من أحداث ، ولم يجد من يهتفه بحقيقتها فتسرح
غسه حتى ولا من الصحابة أنفسهم على الرغم من وفورهم — مما يحد
بينه وبين المنام وأسندهم يرقب العجم بعين دامعة .

ويكشف من حقيقة الأحداث في البيت الخامس وينص على أنها
تلك التي انتهت بأغتيال الخليفة « عثمان » .

وقد أظهر ذلك في صورة من يتساءل عنها ، وعن الخلل والخروعة نيا
أصاب الخليفة ؛ فتلك أمور قد انتهت ، ولم يستعلم لها أحد تفسيراً
أدبياً نافعاً يريح من يتساءل ، ثم يتبع تساؤله بسرد أقوال تتردد على السنة
العامّة تكاد تقطع في مجوعها بالأسبيل إلى محاولة تبين حقيقة
ما حدث — ولما كانت الأقوال للرّدّة قد صدرت عن العامّة ولم
ينض دليل مقنع على صحتها ، ولم تصدر عن لسان مفسّر التردّد لتفسير
الوثيق من الأقوال ، ولم تصدر أيضاً من أهل بصيرة بحقيقة ما حدث
— لذا — نرى « خفاف » يبدى عدم الاطمئنان والرضى بكل ما يردّد ،
ويظهر أنه لم يصدّقوى على تحمل التردّد لمثل تلك الأثاويل التي
لا يدعمها أي قدر من صحة أو سلامة ، وبهذا — يسم « خفاف » نفسه
بأنه واقعي يحكي حقيقة ما يعوج به المجتمع من أثاويل ، وبأنه محايد نيا
يحكيه وليس أسير رأي معين قد يظعن عليه في صدق ما يحكيه لدى
« معاوية » فينسند عليه مهمته التي وقد من أجلها .

(ب) ولما كانت الأحداث قد تضاربت واختلطت دون إمكان التعديد أو تمايزها استعصى منه الاهتداء إلى صواب قرارها أصحاب « حيان » لا — كان من عين الصواب عند « خفاف » وعند عقلاء الأمة أن يفلقوا باب شر يهدد الأمة بأن ينهوا القول فيها حدث، وبأن يقتنعوا بأنه :

قد مضى ما مضى ومز به الدهر — كما مرّ ذاهب الأسلاف
إتها الدعوة للأمة أن تضرب صفحا من فتنة قد ألت بها واتمت
بمصرع الظلمة ، وتذر القصاص له لاندام التعديد الدقيق لشخص
القاتل وتيممه خلال طوفان الجموع الزاحفة على منزل الظلابة دون توقيع
من أحد أنها كانت ستعصى إلى ما اقتت إليه من الاعتيال للؤسف .
وكان في صرف النظر عن القصاص وإبراء للشبه فيهم مرور قوى
يؤدى تضادى الإهدار لأنها رسات يدماء السدين فيها يمد ، وكراهة
أن يوقع القتل عن طريق الشجة يرى . فيكون عدوانا قد ارتكب
في صورة قصاص ولا قصاص لن اغتيل — وهذا يمثل عين التعبط في
إيقاع العقوبة !!!

كما أن الأخذ بالحسنة : قد مضى ماضى ومز به الدهر ...
كان كفولا بتعلمص الأمة الإسلامية من الميزات السياسية التي أدت
بها إلى الققسام إلى شيع وأحزاب متنازعة متناحرة مقفانة ، وفصحت
على نفسها شروور الاعتيال السياسى ولم تفرأ منها حتى الآن ، وإنما
تماودها القينة بمد الفينة ملبسة أردية غفانة تراوح بين الدين أو السياسة

أو بين الدين والسياسة مما مما تماهى منه ضخا وتضككا .

وقد كان من الأوفق والأصلح للأمة أن يتوقف النزاع بين الخليفة للبايع له والوالى للمنع عن البهمة عند مرحلة ما قبل تحكيم السيوف في الرقاب وإخلاء النفوس وتأريث الأضغان وإثارة العصبية — حيث كان يرجح للنزاع حل أى حل غير الاحتراب !!!

والحكمة الذهبية الدامية إلى طرح الففكر في أمر الفتنة جانباً فيما مرضه « خفاف » إنما هي موجهة في حقيقتها إلى شغور والى الشام بعينه ، وإن كان الشاعر قد مرضها في صورة الدعوى العامة — يحاول أن يريح بها نفسه والآخرين كذلك من بعد أن نشد الحقيقة فاستعصى عليه إذراكها . وهى أيضا دعوى لوال الشام ليستنوق ويخرج عما هو فيه من أمور من الهمم أنها تجرُ خراباً على الأمة الإسلامية إذا استمر على تمسكها — إذن — فلا يضرب صفحاً عما مضى ، ولنهنض لحل مشا كل نزاعه مع الخليفة .

وقد كان في هذه الدعوى انطى لسكل فريق لو كان قد أمكن إلبام الشر الجوىح — ولكن مجرى الأحداث قد سار مندفا إلى خلاف ما تنقضى به الحكمة وينشده عقلاء الأمة !!!

(ج) ولما كان الشاعر يحس أنه وبما لن تكون من والى الشام الاستجابة لمرضه .

لذا — نراه قد أتبعه يقسم مملوظ بجميع بيت الله الحرام ينص على ضخامة المؤل المالحق الذى ينتظر الشام على يد الخليفة « على » الذى أعد لهم إغلاكا بمائل لإهلاك قوم « عاد » !!!

وله دلال على صحة ذلك نراه قد امتدح « عليا » المقاتل بأنه :

١ - الشجاع القوي في حالة الهجوم .

٢ - أشد الثمانيين فكاً بسمه المقاتل - وهو الآن في لحظة

ما قبل النهش .

٣ - المقاتل المتهجد بسلاحه الذي يحسن استخدامه في الإطاحة

بالردوس .

٤ - المقاتل صاحب الرأي في القتال ، وأنه لا يرى بأساً بالإطاحة

بالآلاف المؤلفة في سبيل وضع الحق في نصايه .

ويلاحظ عند البهتان للاستعداد القتالي الذي أعدّه الإمام قد وجهه

الشاعر إلى وإلى الشام أساساً ، ولم يتناول به أهلها اللهم إلا إذا ناصره

- عما يدل على أن النزاع في حقيقة بين الخلافة وواليه ، ثم هم فشل

الأحياء والأغنياء ، والقبائل والأقاليم ، والمراقبون في اعتزام الإمام

القتال جعلوا أنفسهم منه بمنزلة الخوفا من القوادم دحماً وتأيداً وكفاية .

(د) تظهر المفردة الشاعرية عند « خفاف » في تمكنه من صياغة

وأبه بقوة وإحكام عندما يتبها لاختتام قصيدته - فتراه يُنبها بدعوة

ناحية لوالى « معاوية » يرجسه فيها بين خيارين : السلم أو الخلاف

وكانى به بدعوة فائلا : يا « معاوية » انظر وتأمل وتغير لك

طريقاً آمناً تملكه : السلم أم غيره قبل أن يتم التعادى للقتال ، والنفخ

في نفير الحرب .

وانظر اليوم قبل نادية القوم بسلم أروّت أم بخلاف

وتقديم لفظ (السل) إغراء « معاوية » أن يقع اختفاره عليه .
حين بعد أن عدده قبل تخييره ، وأورد اختيار الثاني بلفظ (انقلاب)
اليدل على سؤنه مسلكا لا يرتضيه لوالى .

هذا — والنصيحة مَسُوقة في صورة الرأى الشغفى يقدمه الحب
المشفق على الشام وأهله ، ومن الشفقة بهم تحميم انقلاب الموقع لهم
بلى الإهلاك .

فيا حبذا — لاستعجاب والى لما أبداه الحب المشفق !

والقصيدة قد بلغت بمعانيها وحسن صياغتها ، وجميل مرضها حد
التأثير المنشود حيث انكسر لها « معاوية » ^(١) غير أن والى الشام كان
له من قوة الإدراك ما أشمره بأن « خفا » ليس إلا مدخولا عليه .
وأنه يآرائه هذه خطر شغفى عليه يمكن أن يفسد عليه أهل الشام ،
وإن كان دماؤه قد أبلى عليه أن يخرج الكلام على أنه يخشى منه
الإنساد لأهل الشام في أنفسهم أما هو فلا عليه منه شيء .

فأبدى خلاف ما يريد: مداراة وبراعة منه في التحكم في التعبير ،
وبنى على اعتباره هذا قراره بإبعاد « خفاف » من الشام .

عَوْدٌ إِلَى مُرَاسَلَةِ خَاصَّةٍ (أهل المدينة)

١ - « عبد الله بن عمر »

٢ - « سعد بن أبي وقاص »

٣ - « محمد بن مسلمة »

الموقف السياسي : يبدو أن الوالي « معاوية » مازال مُصِرّاً على محاولة استمالة أهل المدينة تجاهه بُنية الترجيح لوزنه السياسي في نزاعه مع الخليفة الإمام ، أو تحييدهم على أقل تقدير إن لم يمكن من استمالتهم. تجاهه كلية كما أوضحنا آنفاً^(١).

من أجل هذا نراه هنا يماود الأتصال مع الخاطبة من أهل المدينة ممن يشتعر نفهم الخطر عليه إن لم يكونوا أميل إلى جانبه ؛ فكتب إلى « عبد الله بن عمر » يقول^(٢) :

١ - « أما بعد - فإنه لم يكن أحدٌ من قريش أحب أن تجتمع عليه الأمة بعد قتل « عثمان » منك ، ثم ذكرت خذلانك إياه وطعنك على أنصاره فتغيرت لك ، وقد هوّن ذلك على خلافك على « علي » ، وعما عنك بعض ما كان منك قاصداً - رحمتك الله - على حق هذا الخليفة للظلم ، فإنني استأريد الإغاثة عليك ، ولكنني أريدك لك ، فإن أبيت كانت شؤري بين المسلمين »

(١) راجع (الوالي معاوية يحاول تهديد أهل مكة والمدينة)

(٢) وقعة صفين ص ٧١ - ٧٢

التعليق :

وغوى الرسالة يتضمن التلويح بأمرين على درجة قصوى من الأهمية
فيما يتعلق بشخص « عبدالله بن عمر »
أولها : التلويح بالتهديد له بالتهمة (المبنية)

و « معاوية » في هذا وإن لم يكن منها إله بالتورط فيها مباشرة ،
إلا أنه قد أعان على « عيان » غلبه والطمع على أنصاره — كما يذكر
ثم أتبع ذلك بمبرر يخفف من عقوبة الجرم الذى ألحقه به « ابن عمر »
وهو خلافه على « على »

ويلاحظ أن التهديد في الرسالة مختلف بخلقة وقيمة تمكاد بمنه ولا تهديده
قد استندم مع الاتهام مبالغة : (فتغيرت لك) الى تظهر الأثر النفسى
للهمة عند « معاوية » أنه مجرد تغير ولم يتعد هذا الطور إلى ما هو
أعظم ، واستندم مبالغة (هو ذلك على) ليدل على أن أثر التهمة من
الممكن أن يمتد إذا ماتم لـ « ابن عمر » أن يستمر على موقف
الخلاص على « على » فيما يتعلق بنزاعهما ، ومن أجل ذلك إلى للمارضة
والخلاص أكثر ذكر أن بعض أركان التهمة للوجهة إليه قد سقطت
فلا عن « ابن عمر » مما دل عليه تصوير « معاوية » : بما منك بعض
ما كان منك .

إذن — فهى تهمة غير مسكنة الأركان ، ومن الممكن أن تنهار
تماماً ولا يترتب عليها أية عقوبة إذا ما صح من « ابن عمر » المون .
لـ « معاوية » على الخليفة « على » في نزاعهما .

وثانيهما : التلويح لـ « ابن عمر » بالخللة صراحة في هذه المرة إما لهما

في النصب الخطير إن لم يكن سلاح التهديد غير مقم له بالاستقالة أو
الحلقة — ومن لم تردعه الرحمة ربما يعتز به مغريات الإطعام.

وكانت تلك خطة يجانبها يفسد النظر في تامل « معاوية » مع
« ابن عمر » فتل « ابن عمر » ما كان يأبه لرغبة أو رهبة مهما بلغت
خسوة التهديد أو عظمت للفرات — مما استدلل عليه الأحداث
غيا بد ١١١

وما كان لوالى الشام أن يقصب من نفسه مذهبا عاما ومثلا للأهلام
بوجهه إلى من يريد كإقراءى له دون أن يعضبه أحد لذلك، أو تكون
له أى صفة رسمية فيه — مما سوغ للعامة التلاعب بهذه التهمة الخطيرة
في غير موضعها، فلاننى داع التنازع بوجهها أى فرد لمعهم بها أى فرد
آخر، فخرجت التهمة عن خطر الاغتيال السياسى وأصبحت سلاح تهديد
يمكن أن يوجه لأى خصم قصد إيقاع الضرر به والتئيل منه .

وما كان لـ « معاوية » الوالى أن يحمل من نفسه وصيا على خلافة
السلين — يستندها لمن يشاء، ويصرفها عن يشاء، أو يترك أمرها
شورى وكأنه قد جمع سلطة أهل الشورى والحل والمقد وركزها في
شخصه في مجمع للسلين، وأهل الشورى والحل والمقد فيه أحياء
ما تزال لهم مكاتهم ورأيهم في الخلافة وعظام شئون الدولة وزنه
وقيته — بدليل لجوئه إلى منضمهم هنا يحاول منهم ما يحاول ١١١

هذا — وفي الإغراء من « معاوية » لـ « ابن عمر » تركزت في
بأسلوب قصير حاصر الخلافة في « ابن عمر » ميلا لإيادها إليه من بد أن

فها من نفسه تأميراً ورأساً أوردته على سبيل النفي والاستثناء قائلاً :
 لست أريد الإمارة عليك ولكنني أريدك لك ، ولما كان « معاوية »
 حريصاً على إذهاب الشبهة القائمة للعنقة في أنه يسمي إلى الخلقة لنفسه
 من وراء جهوده هذه — لذا — نراه في تمييزه قد صدر أسلوب القصر
 بتوكيد ظاهر ليزيد معنى نفى السمي لها والتطلع إليها وثاقفة في نفس
 « ابن عمر » الذي يحاول إقناعه بهذا الضمون ، فأسلوب القصر ذاهب
 في تمييزه إلى إثبات نية الإرادة في : لست أريد ولكنني أريد عند
 تفريقه من الضمائر للمعينة للأشخاص — ونفي الإمارة عن نفسه وأئمتها
 لـ « ابن عمر »

وكأنني به معنى تمييزه هذا : أنه لا يستطيع العطاويل بالإمارة عليه
 إحساساً بمطعم مقامه ، وتسلياً بمنزلة التي لا تدافع ، وهو إذا كان
 يتقبل شيئاً إمارة « ابن عمر » عليه فهو في التنازل لن يتقبلها
 لـ « علي » عليه .

لأنها القوة في التمييز المقتض.

ولم يكتف « معاوية » في رسالته الخاصة هذه بما أوردته من ممان
 حارل بها الإقناع ، وإنما نراه قد عمد إلى الشر ليذعم به ما قصد إليه
 ثمراً فقال :

ألا قل لـ « عبد الله » و « الحسن » و « محمد »^(١)
 فدارسنا المأمون « سعد بن مالك »^(٢)

(٢) سعد بن أبي وقاص

(١) محمد بن مسلمة

ثلاثة رُحط من حساب محمد ،
 نجوم وما أوى للرجال الصالح (١)
 ألا تخبرونا والحوادث جمة وما الناس إلا بين نازح وهالك
 أحل لكم قتل الإمام بذنبه ؟
 فلم لأهل الجور أول تارك
 وإلا فسكن ذنبا أحاط بقتله
 فني تركه - والله - إحدى للهالك
 وإلا وقمتم بين حق وباطل توقف ستوان إمام هوارك (٢)
 وما القول إلا قصرة أو قتاله أمانة قوم بدلت غير ذلك
 غان نصرنا تنصروا أهل حرمي
 وفي خذلنا يا قوم جب الحوارك (٣)
 البيان الأدبي :

ودور الشعر للصاحب للرسالة هنا يؤدي ما يلي :

(أ) التوبيخ لثلاثة الخاصة من كبار الصحابة : « عبدالله بن عمر »

و « سعد بن أبي وقاص » و « محمد بن مسلمة »

بأنهم : (النجوم) سُموا ورفعة ، و (الأوى) يلجأ إليه كل مستضعف .

(ب) طلب البيان لحنفة ما تم فيها يعلق بأفعال الخليفة « عثمان »

يراد من الخاصة من أهل الثقة من الصحابة لبيت في أسر اغتياله ،

والبيان مُنصب على إيضاح الرأي : هل في قتله قصاص أم لا ؟ الأسلوب

(٢) لسوة حوائض

(١) القراء

(٣) القضاء علينا وإقطع لأهل الكامل

علا يمتنع بتعدد موقفهم من الجريئة الكبرى. قدروا ما يمتنع بالتوريط
هتلانه الخاصة بمجاوبتهم بمحدث جلال أتم بالأمة الإسلامية، ولا ينوي
السكوت عليه من أمثالهم

وينبغي هذا إلى محاولة الدفع لثلاثتهم لينضموا إليه في الدعوى النافضة
للمطالبة. بدم «عنان» حتى إذا ما تم له إقناعهم بذلك أصبح من الختم
عليهم الانضواء تحت لواء زعيم المطالبين بالقصاص وهو « معاوية »
وذلك - أسلوب الدعاء العباسي للقطع النظير - فقد أوقف
أعيان الصحابة موقفاً يستعمل عليهم فيه الخيلار - وإلا فالكون إلى
عدم اللهاة إزاء ما يبدو على الأمة من أحداث وم فادة الرأي العام
خيبا !!!

وخاصة : من بعد أن اعتبرهم (الصجوم والأوى) من بين الصحابة .
ومن بعد أن صنف الأمة إلى ناجين وحالكين بخصوص مصابها .
ومن بعد أن طلب منهم الرأي في جريمة اغتيال وأس الدولة .
ومن بعد أن أقسم أن ترك القصاص له ضياع للأمة .
ومن بعد أن غرهم في حديثهم بأنها تمثل موقفاً غير كرم منهم .
ومن بعد أن أهل قدوم إلى حد يصيب عليهم معه سلوك أرائل
الأنسوة في أسوأ حال لمن .

لقد حاول « معاوية » جاهداً بأسلوبه للفتن في رسالته أن يزعج
الثلاثة الخاصة قسراً بعد كرمهم بأن ركونهم إلى الخيلاد موقف لمن
طارق زجولته !

وزاد القسّر عنفاً بما أنهم من قَرِيع خفي بأن للتحاز إلى ذلّ هذا
 للوقوف لم يشارك رجولته فقط . وغداً يد التحول امرأة كريمة لها قدرها
 من به . - حسنها فقط . وإنما خداساً قطعاً أمة بين النساء ، وزاد الأمر
 مساةً يجعلها لا يُرعب فيها إطلاقاً لوجودها على حال تلونها الشورى .
 علاوة على خسانتها كجئس مصحول في حواد الإمام منهن بما يزيد
 الغفور والجزوف منها نهائياً .

(ج) دخل الرخص من أن « معاديه » يطلب رأى الخاصة في الجريمة
 غير أنه يُلقي برأيه الشخصي متغياً أو ضامها طبقاً للاعتبارات التي ارتأها .
 فالأحداث التي أدت إلى اغتيال الخليفة كانت تُجسم عليه القبح لها ،
 واتخاذ موقف تجاه الخلافة بناء عليها بمنصره إن كان بحقاً في تصرفاته
 أو بحجته وقبحه إن كان قد هب بمقلدات الأمة .

وإذا كان الاعتبار الثاني قد سقط بقتله غيبة ، فلم يبق غير النظر
 في أمر القصاص له - وهو الاعتبار القائم الآن .

وقد حُلّ الخاصة بهذا مسئولية الممارسة لحقوق سياسية يلزمهم إلّاها
 ومنهم في الأمة حيث يقسم عليهم النظر في تصرفات الخلافة ، وهم إذا
 كانوا لم يمارسوها فلها تقرب لارتكابهم ، ولا يهمل ارتكاب تقرب
 آخر يترك القصاص له إذا كان قد ظلم ، واعتبر ذلك أمانة دينية قومية
 يجب أن تؤدي كاملة - وهي الآن تنمض لمحاولات الحماية لها .

وهذا ترمض عن رأي أن الاغتيال كان فتنه طاغية عامة يحصل
 منها إيقاع القصاص في حقه لدم التحقيق من شخص القاتل بعينه .

و « معاوية » بهذا يكون قد أقام نفسه داعية للطالبة بأداء
الأمارة الدينية القومية بالتصاوص لـ « عثمان » والنصرة للمطالبيين به ،
ويعني بها نفسه المزمعة لذلك — إذن — الخذل له فيه التحلل لهم من
يُقتل في سبيل إقرار هذا الحق وإتاء تلك الأمانة ، والثلاثة الخاصة على
رأس المختارين لوزر — كما يرى في قوله :
فإن تنصرونا تنصروا أهل حرمه

وفي خذلنا لا قسم جِبُّ الخوارج
والقصيدة بتمامها استتارة شعورية يحاول بها تغيير حماس خاصة
الصعابة ليناصروه فيما يدعو إليه ، فعمد إلى الدعم القوي التأثير عذده
لجمع بين الإقناع الفكري والإجاء الشعوري بما سلكه في رسالته من
الجمع بين قوتَي المنثور والنظوم .

« عبدالله بن عمر » يرد على « معاوية »

الوقوف السواسي : لم يقصر « ابن عمر » في الرد على ملبسه من رسائل
والى الشام إبان عفوان التراشق بها — فنراه على الرغم من أنه قد
سبق له الرد على « معاوية » و « عمرو » ^(١) مُشككاً في أمرها —
مقرحاً إياهما لدخولهما في أمر الخلافة — يتغيرى لرد على معاوية مجيباً
على رسالته الخاصة إليه قائلا : « أما بعد — فإن الرأي الذي أطمعك
في هو الذي صرّك إلى ما صرّك إليه — أني تركت « عليا »

(١) راجع رده السالف في « معاوية » ، يحاول تحييد أهل المدينة .
(١٩ - أمب سبلس)

في المهاجرين والأنصار و « طلحة » و « الزبير » و « عائشة »
أم المؤمنين وانبئت ١٢

أما زعمك أني طعنت على « علي » فلهي ما أنا كـ « علي » في
الإيمان والمجرة ، ومكانه من رسول الله ﷺ ونكايته في البشر
ولكن حدث أمر لم يسكن من رسول الله ﷺ إلى فيه عهد ، فزمت
فيه إلى الوقوف ^(١) وقلت : إن كان هدى ففضل تركته ، وإن كان
ضلالة فشر نجوت منه — فأغرين هنا نفسك ^(٢).

ويدل لغوى الرسالة على ما على :

التعليق :

(أ) معادرة « ابن عمر » في صدر رسالته إلى القنديد بمنع والى
الشام في أسلوب ميكت له على طمعه في أن يزحزحه عن موقفه الجهادي
ومحاولة إيماله نحوه نزولاً على ما أغراه به .

(ب) التصميم على موقف الجهاد ، واستعانة مقابته لـ « معاوية » في
أي من عروضه استمساكاً منه بملازمته لأرومة خاصة المسلمين من
المهاجرين والأنصار بعامة ، و « طلحة » و « الزبير » و « عائشة »
بأعيانهم - وهو إذا كان لم يفارق ما أجمعوا عليه فيما مضى فلن يسوغ
له الآن بل يستعمل حايه بعد الشك في تحركاته أن يفارقهم بعد طول
ملازمة وبقية .

وقد أدت الأداة (أني) دورها في إفادة الاستبعاد المقضي إلى

(١) إثراء والتزيث انتظاراً لجلال الأمور .

(٢) وقمة صفين ص ٧٢ - ٧٣ .

استعانة ترك الملازمة للتفتية فيما مضى ، والمستمرة على انقضاءها مستقبلاً
بصوابتها الأسلوبية القاطمة لسكل أمل لوالى الشام فى متابعتها بالاستعظام
الشكر العاصى عليه تصرفاته وما يهتفون وراثتها .

(ج) يؤكد « ابن عمر » أن « عليا » قلة لا تضاهى فى عظام
الإسلام - لا يمارى فيها أعداء ولا يبرز على إنكارها من : سبته
وهجرته وقربه ومكانته عند الرسول عليه السلام ؛ وعنفه على المشركين .
وبهذا قد أعطى « ابن عمر » « عليا » حقه فى القصد للسلمين
بشهادة لما قدرها كفاية بقطع الطريق على كل من يحاول منافسته فى ذلك
ولو كان « ابن عمر » عينه ، وبالتالى فيها التجربة له من سكل مطمئن عليه
ولو أجمع عليه أهل الشام كلهم لضخامة رصيده الإسلامى .

(د) يذكر « ابن عمر » أن الأحداث التى أحاطت بالغلبة « عثمان »
وانتهت بمصرعه ما كانت إلا أموراً لم يكن للسلمين بها عهد من قبل
لم يستطعوا أن يقيموا فيها (الضلال من الهدى) فتعززوا عن الخوض
فيها طلباً للسلامة فى الحياض منها ، وصاحب الحق فى التصريف لما
كسبوا أول هو الخليفة وحده ، وهى فى نفس الوقت أحداث جديدة
تؤذن بتطورات جديدة تدخل حياة الأمة - لذا - آثروا فيها
التوقف قناعة منهم أنها حتماً ستنتهى إلى حلول مناسبة يبرمها
الخليفة .

ويبدو أنه لم يدور بخلد أحد من كبار الصحابة أن الأمور ستزداد
جسداً فى تطورها حتى تبلغ حد العنف السامى الذى انتهى باغتيال

الخلافة وإلا ما توانوا من محض الرأي له في حينه، ونجدته عند إحدائق
الخطر به .

ولم يكن موقفهم هذا سلبيّة منهم وإنما كان قناعة بأن يتروكوا
الحق لصاحب الحق يسكون له فيه رأياً، ويتخذ فيه قراراً يتفذه طبقاً
للمصالح العام للأمة تبعاً من التشريع الإسلامي الذي على أساسه تنصب
وبايح له الجميع .

ولربما اعتقدوا أن حيادهم إزاء تصرفات تتعلق بالخليفة وورثته
طبقاً لما يقرره « ابن عمر » ، هو عين السلامة والبرادة والصواب سواء
أكان هديّ أم ضلالة فليست لهم صلاحيات تؤهلهم للتدخل في التصرفات
والأحداث وصاحب الحق الأول في التصرف والفصل فيها قائم بالأمر .
وهو الخليفة فكيف يفتأون على حقه ؟!

هذا - ووضعهم السياسي في سلم الحكم رأوه لا يسوّغ لهم التدخل .
حق وإن كانوا من أعيان الصعابة وكبار المستشارين، ولا أن يقرضوا
أنفسهم على الأحداث أو الخلافة فساداً لأنوفهم فيما ليس لهم بحق ، أو
تحميل أنفسهم لمسؤوليات لم تؤكل إليهم .

(هـ) يقطع « ابن عمر » عن « معاوية » كل أمل له في رجاء العون
منه بقوله : أخبرنا عنك .

فهو يركّذه بأسلوب الأمر القاطع لكل مطامعه فيه بمعاودة الاستقامة
أو التجهيد أو الإسكات عن التأييد لمنازعه الخلافة .

وبهذا الأسلوب يكون « ابن عمر » قد دفعه بعيداً عن ملاحقته

والإحاحه ، وأزاحه صارمًا له من نفسه إلى حيث يمكن أن يرتجى لنفسه
غناءً في عون آخر بنفسه .

ولم يكتب « ابن عمر » رسالته التاضية على كل مأمّل لـ « معاوية »
فيه وإنما نراه يمتد إلى الشعر ينشد فيه العون مماه يقتضى له أن يقطع
بالابتذارات الشعورية فيه ما حاول الإقناع به من أفكار أوردتها في
رسالته جزئياً على التهجج الذى سلكه جميع من كلفهم النزاع .

وتوصلاً إلى هذا الغرض يطلب « ابن عمر » من أشعر قريش
« ابن أبى غزوة » أن يجيب « معاوية » بشر يعوافق ومضمون رسالته
مقال (١)

« معاوية » لا ترجى الذى لست ناثلاً

وحاول كعباً خير « سعد بن مالك »

ولا ترجى « عبدالله » واترك « عمدا »

ففى ما تريد اليوم جب المسوارك

تركنا « علياً » فى صحاب « محمد »

وكان لما يرجى له غير تارك

ليصير رسول الله فى كل موطن

وفارسه المأمون عند المصارك

وقد خفت الأنصار منه وعصبة

مهاجرة مثل الأموث الشوابك (٢)

(١) وقعة صفين ص ٧٣

(٢) مشبكه الألياب قوية الانقراض

و «طلحة» يدعوه «الزبير» وأما
 قتلنا لها قول لنا ما هذا لك
 حذارِ أمورٍ شُبِّهَتْ وعلما
 موانع في الأخطار إحدى الهالك
 وتطمع فهنا يا «ابن حسد» سقاعة
 عليك بعلما حسدٍ والشكاسك^(١)
 وقوم يمانيون يظنونك نصرهم
 بهم السؤالي والسيوف الهوانك
 البيان الأدبي :

ويدور حول التركيز على النقاط التالية :

(أ) « معاوية » يحاول الاستحصال في إيجانه المون من التلازمة الخاصة
 ليصنع من ورائه أهدافاً يتوحيها تبحر الملاك الحقيقي على الأمة (فنيا
 تريد اليوم جب المواوك)

لذا - كرد (لا ترج) قطعاً لأمله في هذا، وإذا لم يتفصح بالكف عما
 يريد مما لم يوافقه عليه الخاصة فعله نُشْدَانُ التعبير لدى تايبيه من الممانين .

(ب) « على » مَعْدُ آمال الأمة في أزمتها السياسية الراهنة ، وبملك
 سائر الخصائص التي تؤهله للتصدر لقيادة الأمة طبعاً لئلا تُشَدَّ المسلمين في
 خليفهم - فهو على الجادة في جمع محاربة النبي عليه السلام والمهاجرين
 والأنصار - من أجل ذلك نراهم قد خفوا منه رضى به وتصرأ له - مما
 يضعه في السكفة الراجعة في ميزان القوى المادية والمعنوية .

(ج). الأحداث التي أدت إلى وقعة الجبل لم تكن إلا مهايات
نزعت بالأمه، وأحاطت بها الشبهات ولم تقدم بحقائق تبين وجه الحق
فيها فغيرها من الشكوك التي فشتها .

٢- رسالة معاوية « إلى سعد بن أبي وقاص » .

وقد كان الشأن مع « سعد » لا يختلف كثيراً من سابقه وإنما
يدور في نفس الإطار الذي نكج عليه فكهو في مراسله مع الخليفة -
قد كتب إليه يقول :

« أما بعد - فإن أحق الناس بنصر « حنان أهل الشورى من
غيري الدين أنبتوا حقه واختاروه على غيره » ، وقد نصره « طاعة »
و « الزبير » وما شريكك في الأمر ، ونظيرك في الإسلام ، وخفت
ذلك أم المؤمنين ، فلا تكفرن ما رآوا ، ولا ترفدن ما قبلوا - فإنما
نردّها شورى بين المسلمين » .

التعليق :

تصدر الرسالة هنا روح اليوم لـ « سعد » لعدم المسارعة
إلى نصر « حنان » كما نصره « طاعة » و « الزبير » والثلاثة من أهل
الشورى ، وعلى فكم للمساواة في الإسلام وقد تأيدت مناصرتهم بما بخروج
أم المؤمنين معهما مسارعة ذلك وتقامس « سعد » مما أوجب عليه
اللامّة من بعد أن اعتبر الخروج على الإمام الخليفة مناصرة الخليفة

(١) هو سعد بن مالك بن أبيب بن عبد مناف بن كلاب القرشي الزهري
أحد الستة أهل الشورى - ولي الكوفة لدمر ، وهو بائعها ، وقد قول
هنا ثم وليها لـ « حنان » توفي عام ٥٥ هـ .

المتنال . وبتطوى اليوم المدموم بالأداة على التتحيض والدفع الخفى
 لـ « سعد » أن بسلك ملكهما فى الخروج على الخليفة « على » وقد
 لاحت له الفرصة الآن ليلحق بركب (الخارجين المناصرين) ليشاوى
 مع أتداده من أهل الشورى ، إذا كانت الفرصة فى المناصرة قد فاته
 بالمشاركة لما فيها سلف من أحداث فلا أقل من أن ينضوى تحت لواء
 المطالبة بالتصاغن لـ « عثمان » الذى يتزعمه « معاوية » ليصيح موقفه
 ويسلم من اليوم وتلك هى المناصرة المرغوب فيها عند « معاوية » .

أما الخلافة فقد أصدر بحتمها حكماً أكدها بردها إلى الشورى
 وفى ظلال فكر الرسالة وتبعاً من مضمونها بصوغ « معاوية » قصيدة
 يرقها برسائله ليدعها فيها فى موجهة إليه فقال^(١) :

ألا يا مستنم قد أظهرت شكاً	وشك المرء فى الأحداث داءً
على أذى الأمور وقتت حياءً	يرى أو باطلاً فله كواء
وقد قال النبى وحداً حداً	يحل به من الناس الدماء
ثلاث : قال نفسه ، وزان	ومرتد معنى فيه القضاء
فإن يكن الإمام يلم منها	بواحدة فليس له ولاء
ولأنا فى جفم حرام	وفاتله وخاذله سواء
ومذا حكمه لا شك فيه	كما أن الساء هى الهاء
وخير القول ما أوجزت فيه	وفى إكثارك الداء المياء

«أبا عمرو» دعوتك في رحال فجاز عراقي الدلو الرشاش^(١)
 فأما إذ أبيتَ فليس يني وبينك حرمة لأهب الرجاء
 يسوق قولي إذا اجتمعت قريش على «سعد» من الله العفاء
 «بيان الأدبي» :

يلم الشاعر في القصيدة بالمعاني التالية :

- (أ) النفس على «سعد» توقفه في أمر «عثمان» وعدم التقصص له دون سعد من دليل قوى فاطم يرتكن عليه وإنما الأمر مجرد ريب .
 (ب) يسوق الشاعر قياساً مؤداه أن قتل النفس بإحدى ثلاث —
 ولما كان الخليقة «عثمان» لم يلج بواحدة منها .
 فالتقصير في التقصص له ارتكاب لحرمة التطليل لحد من الحدود فيه الحياة للأمة .

ويمثل هذا القياس المدح لـ «سعد» لتقصصك بالتقصص «عثمان» مع المتأدين به والتزعمين له ، والخروج عن التوقف والجهاد في هذا الحكم الديني الثابت الذي لا يخالطه شك (كما أن السماء هي السماء) .
 (ج) يعلق الشاعر عظيم الرجاء على استئثار «سعد» بعينه على إصلاح الأمور التي اعتورها الخلل ، وعاهو قد عدّه واعتبره ودعاه مع الرجال ذوي الخطوة للإنجاد في حينه وإلا فلي «سعد» العفاء في مجامع قريش التي تمده من خيرة رجالها حمية ومجدة .

(١) عراق الدلو — خشبتان متعامدتان في قم الدلو على هيئة الصليب يربط بها الحبل الذي يزل ويرقع به من البئر — والمراد دعوتك بعد أن انقطع الأمل في صلاح الأمور .

رَدِّ سَمْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ

ولم يكن من « سمْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ » إلا أن عُدَّ إلى تحرير رسالة جوابية له قال فيها ^(١) :

« أما بعد - فإن « عمر » لم يدخل في الشورى إلا مَنْ يحمل له الخلافة من قريش ، فلم يكن أحدٌ أحقَّ بها مِنْ صاحبه إلا باجتماعنا عليه - غير أن « علياً » قد كان فيه ما فينا ، ولم يكُ فيه ما فينا . وهذا أمرٌ كَرِهنا أوله وكَرِهنا آخره - فأما « طلحة » و « الزبير » فلَوْ رَمَا بِهِمَا كَانَ خَيْرًا لهما . والله يَغْفِرُ لَأَمِّ الْمُؤْمِنِينَ مَا أَنْتَ » .

التعليق :

والرسالة تَنْقُذُ وتصحح المفاهيم التي طرحها عليه « معاوية » :
(١) فهو يقرر أن الخلافة لا تَمُّ إلا بإجماع شورى بين السبعة القرشيين للزَّهَّابِينَ لها - وكلهم في حقها على قدم المساواة ، وقد أبرم هذا بقرار (عُرِّي) لا يسوغ تحريفه أو المدول عنه مِنْ بعد أن صدر واضحاً لا لبث فيه .

وقد صَدَّرَ بهذا الحكم الآ كد رسالته ليصحح المفهوم الخاطئ الذي عدَّ إليه (معاوية) يَطْرَحُها شورى عامة - مما يمثِّلُ خروجاً على قرار اعتدَّ دستوراً للخلافة ، ومما يَمْرُضُ للخلافة لأن تصبح مهادنة للصراع والأهواء والتخلاف بين مَنْ لا يقدر خطورة للنصب - الأمر الذي يَنْهِي تَجَنُّبُ الأمة مضاره .

(ب) «على» استوفى شرائط الخلافة ، وزاد فيها على ما لدى البقية
الباقية من أهل الشورى المؤمنين لما - ما يندفع به إلى التصديق لسائر
للمشعين ، وأصبح خليفة من جدارة كفاية بسد الطريق على صواب
التنصيب لأى شخص آخر و«على» حيا !!

(ج) إسقاط دعوى المناصرة لـ «عنان» للتسوية إلى صنيع «طلحة»
و«الزبير» ويبان أن الأجدد بهما كان اعتزال للشاركة في تلك الأحداث
التي لم تبرز منها أى رضى.

ولى ظلال للبادى والشخصية الرزينة الثابتة على صواب الراى
ينشأ قضية يفتتح فيها من قوة المسودتها على ما يعتقد أنه للوقف
الأمثل فيقول :

«معاوى» داؤك الداء العياء فليس لسا نجيء به دواء
طابت اليوم فهنا^(١) يا «ابن هذيل»

فلا تطع قــــــد ذهب الرجاء

عليك اليوم ما أصبحت فيه فا يكفيك من مثل الإباء !!
فا الدنيا بها قيسه لى ولا حى له فيها بقاء
وكل سروره فيها غرور وكل مقلعه فيها حياء^(٢)
أيدعوى «أبو حسن على» فلم أزد عليه بما يشاء !

(١) ورد فى الأصل (فى) والافق بالمعنى والأصوب لموسيقى البيت
(فينا) الى أبتناها .

(٢) ورد فى الأصل (سرورها فيها) و(متاعها فيها) وتعديل الضمائر
المثبت فى النص السب .

قُلْتُ لَهُ اغْطِنِي سَيْفًا بَعِيرًا تَمْرًا يَوْمَ الْمَدَاوَةِ وَالْوَلَاةِ (١)
فَإِنَّ الشَّرَّ أَصْنَرُهُ كَعَبْرٍ وَإِنَّ الظُّهْرَ تَنْقِلُهُ الدَّمَاءُ
أَتَطْمَحُ فِي الْبَيْتِ أَشْيَا «عَلَيَّ» عَلَى مَا قَدْ طَمِعْتَ بِهِ الْمَفَاءُ
يَوْمَ مِنْهُ خَسِرَ مِنْكَ حَيًّا وَمَيِّتًا - أَنْتَ لَعْنَةُ الْقَدَاءِ
فَأَمَّا أَمْرُ «مَيَّانَ» فَدَعَهُ فَإِنَّ الرَّأْيَ (أَذْهَبَ الْهَلَاةُ)
البيان الآتي :

يدور الفكر في القصيدة حول ما يلي :

(١) يعيب «سعد بن أبي وقاص» على «معاوية» جُرأته عليه وعلى خاصة الصداقة من أهل الشورى - تلك الجرأة التي ما كانت له قبل أحداث الفتنة مما أطمعه فيهم يتهدم ويحاول فرض رأيه عليهم . وعلى الرغم من ذلك فلا استعجابه له وإنما القطع لرجائه ومطمعه ، ويكنى «سعداً» حياده واحتزازه الأحداث إزاء منه لمقارعتها ووجه الحقيقة فيها لم يتضح بعد .

(ب) للوقوف الوقفي في القصيدة (الآيات ٣ ، ٤) مساق تطبيقي للداء العمى الذي يما في منه «معاوية» والذي عده فيه «سعد» والذي لا يرجي له البرء منه من بعد أن أدخل نفسه في نزاع سياسي مع «معاوية» «علي» وضوحاً لسيطرة الداء العضال عليه .

(٢) روى عن «سعد» أنه قال في شأن النزاع : لا أقاتل حتى تأتوني بسيف له حيتان ولسان وشفتان فيقول : هذا مؤمن وهذا كافر ، ابن عبد البر في الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج ٢ ص ٦٠٩ ، ٦١٠ ط نهضة مصر .

(ج) قوة الشخصية والثقة بالنفس يديهما الشاعر في استعساكه بما يعتقد أنه صواب وحق مهما دعاه الموقف إلى مجاهبات عصية - حيث لم يستجب له «على» البطل والخليفة بالانضمام له ، وعاتق ذلك على مستعجل (السيف البصر) المميز بين المستعجل لقتل به والأبرأ منه. وفي هذا تنويه بقوته وصلابته التي لم ينك منها أحد حتى «على» الأقوى - الخليفة وصاحب السلطة والحق حيث لم يرهبه فيخرج عن حياده واعتزله ، فبالأولى لن تكون لتهديدات «معاوية» عنده كبير أثر ، وبناء على هذا فأطامحه فيه قد دكّتها الرياح ، ولن يثوى على تحقيق ما عجز من تحقيقه «على» منه !

(د) يثبت الشاعر مؤكداً (اليوم) وهو في معرض الموازنة بين «على» و «معاوية» على توفر الفضل والتخيرة في «على» متمثلاً حتى في أقل القليل مما يصدر عنه لدرجة أنها كفهلة على الرغم من قلتها باستفراق كل «معاوية» في حياته وموته ، و«سعد» يتبنى هذه القلة ويرغبها ويؤثرها ويؤدى بها السكرة غير المنفضة عنده !! وقد ساق هذا المعنى في صورة قياس يمكن أن يفهم بأسلوب معادة رياضية :

مدد

١ يوم من حياة «على» على الرغم من قلته عددياً = كل حياة «معاوية» مهما طالت وحق وفاته

ولما كان الموت ليس فيه فضل غير انقطاع النزاع - لذا نستطيع أن نقول : إن العطف في (حياً وميتاً) يعطى انطباًحاً مؤداه : أن اليوم

من حياة « علي » أي يوم كان يفوق فاتح بكل حياة « معاوية » فيها بين أقصى حديثها من الميلاد وحتى الوفاة !!

(٥) ينظم الشاعر بأن الطالبة بالقصاص لـ « عثمان » أمر لا ينقص « معاوية » في قليل ولا في كثير وما عليه إلا أن يخرج نفسه منه ، غيابه ناسحاً (فذمه) ثم يصدر رأيه الأكيد في تقييمه لتلك الأحداث التي ابتعثت بالاغتيال بأنها ما كانت إلا بلاء ذهب بالخليفة ، ولا أحد يرغب في عودة البلاء ولا في التذكير به .

٣ - زساعة « معاوية » إلى « محمد بن مسلمة »

وقد كان مع آخر « معاوية » مع الثالث من الخاصة أن بعث إليه يقول^(١) :

« أما بعد - لئن لم أكتب إليك وأنا أرجو مقابلةك^(٢) ، ولست أرى أردت أن أذكرك النعمة التي خرجت منها والشك الذي صررت إليه . إنك فارس الأنصار ، ومعدة المهاجرين - أدعيت على رسول الله ﷺ أمراً لم تقطع إلا أن تمضي عليه ، فهذا نهاك عن قتال أهل الصلاة - فهلا تهت أهل الصلاة عن قتال بعضهم بعضاً .

وقد كان عليك أن تسكره لهم ما كره لك رسول الله ﷺ - أو لم تر « عثمان » وأهل دار من أهل الصلاة ؟ فأمّا قومك فقد عصوا الله وخذلوا « عثمان » والله سائلك وسائلهم من الذي كان يوم القيامة » .

التعليق :

والرسالة في صميمها موجهة قصد اللوم لـ « ابن مسلمة » لعدم مسارعته إلى إنجاد « عثمان » على الرغم من فروسيته المتميزة بين قومه الأنصار والتي اعتبرت قوة للمهاجرين أيضا ، وكان الأولى بها أن تستخدم في هذا الوطن — لا أن يعزل الأحداث هو وقومه حيث عرضهم للمشورية عن هذا التصدير يوم القيامة أمام الله .
أما ما وراء ذلك من قصد للثأمة له فيها هو ناهض به فليس من مراده .

رد « محمد بن مسلمة »

ولم يتوان « ابن مسلمة » في الرد على « معاوية » مستجبا له العوج فيما رماء به، وكاشفا له حقيقة قصده من تدخله في أحداث « عثمان » بذلك السكيفية فقال :^(١)

« أما بعد — فقد اعتزل هذا الأمر من ليس في يده من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مثل الذي في يدي ، فقد أخبرني رسول الله ﷺ بما هو كائن قبل أن يكون ؛ فلما كان كسرت سنهي ، وجلست في بيتي ، واتهمت الرأي على الدين — إذ لم يصح لي معروف أمر به ، ولا منسكرا أنهي عنه .

وأما أنت فلمصرى ما طلبت إلا الدنيا ، ولا انبعت إلا الهوى —

(١) وقمة صفين ص ٧٦ ، ٧٧

فإن تَنَصَّرَ « عُمَان » مَيْتًا قَدْ خَذَلَتْهُ حَيًّا . وما أخرجني الله مِنْ رِئْمَةٍ ،
ولا صَهْرِي إِلَى شَكِّ ، وإن كنتُ أَهْمَرْتُ خِلَافَ مَا تَحْبِي بِهِ وَمَنْ
رَقِبْنَا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ فَنَحْنُ أَوَّلَى بِالصُّوَابِ مِنْكَ » .

التعليق :

ويبدو من ثنايا الرسالة أَنَّ « ابن مسلمة » قد استكثر على « معاوية »
خطاب اللوم والتقصير الذي ألحقه به وقومه فكان رده المنيف الذي
بَضَعْنَ ما يلي :

(أ) كَتَفُ « ابن مسلمة » الخبرَ أَنِّي إِلَيْهِ مِنَ الرُّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ
كَانَ فِيهِ الْإِعْلَامُ الْمُسَبِّقُ لَهُ بِأَحْدَاثِ الْفِتْنَةِ الَّتِي سَيُضْرِبُ فِيهَا الْمُسْلِمُونَ .
بعضهم بعضًا ، وأعلمه بدلائلها ، وأشار عليه بالتزام المِزَّةِ عنها ، وقد
أَتَقَذَّهَا امْتِنَانًا لِمَا أُصْدِرَ إِلَيْهِ مِنْ أَمْرٍ ^(١) — وفي هذا إظهار لمدى
قرب « ابن مسلمة » من الرسول عليه السلام إلى حدِّ اختصاصه بمثل
هذا الخبر ومدى بُعد « معاوية » عن فضيلة هذا الاختصاص .

(ب) النَّصِيحَةُ عَلَى الْوَالِي « معاوية » بِأَنَّهُ مَا تَدْخُلُ فِي الْأَحْدَاثِ عَلَى
هَذَا الْوَجْهِ إِلَّا وَكَانَ قَصْدُهُ الدُّنْيَا وَلَيْسَ الدِّينُ — إِنِّهَا عَامَّةٌ لِرَغْبَةٍ تَحْكُمُكَ
مَنْهُ يَرِيدُ تَحْقِيقَهَا ، ثُمَّ يَفْقَدُ دَعْوَاهُ فِي النُّهوضِ لِمُطَالَبَةِ الْإِخْتِصَاصِ لَهُ .

(١) روى عن « ابن مسلمة » قوله : « أعطاني رسول الله ﷺ سيفًا

فقال : قَاتِلْ بِهِ الْمُشْرِكِينَ مَا قَاتِلُوا ؛ فَإِذَا رَأَيْتَ أُمَّتِي يُضْرِبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا
قَاتِلْ بِهِ أَحَدًا فَاضْرِبْ بِهِ حَتَّى يَنْكَسِرَ ، ثُمَّ اجْلِسْ فِي بَيْتِكَ حَتَّى تَأْتِيكَ يَدُ
خَاطِئَةٍ أَوْ مَنِيَّةٍ عَاطِئَةٍ ، الْإِصَابَةُ ص ٧٨ :

يتمتع منها الدليل على أنها لم تُردِّجها حقيقةً الدينية من بعد أن أثبت على سبيل التوكيد أنه قد خذله في الوقت الذي كان يجدر به أن ينصره (فقد خذله حياً) .

(ج) الرد على زعم (الشك والمصمان) الذي اتهم به وقومه بأن للوقف الذي وقفه المهاجرون والأنصار كان وما يزال هو للوقف الأصوب دائماً ، والأولى بالأمة الاقتداء بهم فيه لالتزام جادة الصواب في الدوجية للأمة ولا قيمة لأي رأي يقول بخلاف ذلك مهما كان مصدره حتى ولو كان والي الشام !!!

ورسالة « ابن مسلمة » هذه هي الوحيدة من بين الرسائل الجلوية التي لم تُشَمَّع بقصيدة تدور في فلك معناها ، وقد كان مزوف « ابن مسلمة » من قول الشعر هو السبب في وحدة رسالته وتفردها بطابع النثر فقط . وقد صرح منه الطالب من أحد الحضور « مروان بن عتبة » الأصارى أن يجيبه شعراً فقال : أجبه يا « مروان » فاعتذر بأنه لم يسكن عند بني عتبة شيراً ، فأُنذرت الرسالة على ما هي عليه .

إلهابُ نيران الفتنة

الموقف السياسي : يبدو أن التسامح يتزعم والي الشام للعداوة بالقصاص للخليفة « عثان » قد أحدثت أثرها في نفوس مَنْ يميلون إلى هذا الرأي ، فتدانت ركبائهم إلى الشام موطن الزعامة يستحثون ويستنبهون — وهم بين هذا وذاك يفرقون في إلهاب نيران الفتنة بما يتساقط من ألسنتهم من صواعق الكلمات التي تقفل عليها في الإغضب (٢٠ - أدب سياسي)

والإحياء والاستثارة، وبما يُصِفُونَهُ عَلَى وَائِي الشَّامِ مِنْ أَلْقَابِ تَدْنِغٍ إِلَى
تَطْلُغَاتٍ سِيَاسِيَّةٍ تُعَدُّ لِلوَاقِفِ وَلَا تَعْلَمُهَا، وَتُتَكَبَّرُ الصَّفَاءُ وَلَا تُبْقَى
عَلَيْهِ أَوْ تَحَاوَلُ تَرْوِيْقُهُ مِنْ شَوَائِبِ التَّمَكُّكِيرِ - فَيَبْقَى «مَعَاوِيَةَ» جَالِسًا
إِذْ أَهْبَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مُعَلِّقٌ حَتَّى إِذَا مَا انْتَهَى إِلَيْهِ قَالَ الرَّجُلُ:
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ^(١) - أَعْرِفْنِي؟

مَعَاوِيَةُ: أَنْتَ وَالْحِجَابُ بْنُ خَزِيمَةَ بْنِ الصَّمْعَةِ - فَأَيْنَ تَرِيدُ؟
الرَّجُلُ: إِلَيْكَ الْقُرْبَانُ - أَنَّنِي إِلَيْكَ «ابْنُ عَفَانَ» ثُمَّ أَشَدُّ ^(٢)
إِنَّ نَبِيَّ عَمَّكَ مِمَّنْ دُخِلَ الْمَطْلَبُ «مَرَّحَلُوا شَيْخَكُمْ غَيْرَ الْكَذِبِ
وَأَنْتَ أَوَّلَى النَّاسِ بِالْوَثْبِ فَتُبَّ
وَإِغْصَبَ «مَعَاوِيَةَ» لِلَّهِ وَاحْتَسِبَ
وَسِرَّ بِهَا سِرَّ الْجَرِيِّ الْمُخْتَبِ ^(٣)
وَانْهَضَ بِأَهْلِ الشَّامِ تَرَشُّدًا وَنُصْبًا
ثُمَّ أَهْزَ الصَّمْدَةَ ^(٤) لِلنَّاسِ السَّكَلِ ^(٥)

(١) هذه هي المرة الأولى الذي يُلقَّبُ بِهَا إِلَى الشَّامِ «مَعَاوِيَةُ» بِأَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ عِنْدَ التَّسْلِيمِ عَلَيْهِ وَقَدْ لَقِبَهُ بِهَذَا الْحِجَابُ بْنُ خَزِيمَةَ بْنِ الصَّمْعَةِ، وَقَدْ
افْتَتَحَ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ بِهَذَا التَّلْقِيبِ وَالتَّسْلِيمِ - رَاجِعْ ص ٧٧، ٨٠ وَقَعَهُ
صَفِيحِينَ.

(٢) وَقَعَهُ صَفِيحِينَ ص ٧٧ - ٧٨

(٣) الْمُسْتَقِيمُ الْمَطْرُودُ

(٤) الْقِتْنَاءُ الْمُسْتَوِيَّةُ

(٥) الْمَتَرَفِعُ مِنَ النَّاسِ الْمَسْمُورِ تَحْرِقًا إِلَى الْقَتْلِ

حماوية : عنك مَرَز ؟

الرجل : نعم (ثم أضاف)

يا أمير المؤمنين — إني كُنتُ مُهْمَنٌ خَرَجَ مَع « يَزِيدَ بْنِ أَسَدِ الْقَسْرِيِّ »
مُخَوِّفًا لَهُ « مَنَان » فَقَدِمْنَا أَنَا وَ « زُفَرُ بْنُ الْحَارِثِ » فَلَقِينَا وَجِلًّا زَعَمَ
أَنَّهُ مَن قَتَلَ « مَنَان » فَقُتِلَاهُ .

وإني أخيرك يا أمير المؤمنين أَنَّكَ قَوِيٌّ عَلَى « حُلِّ » بِدُونِ مَا يَقْوَى
بِهِ عَلَيْهِكَ — لِأَنَّ مَعَكَ قَوْمًا لَا يَقُولُونَ إِذَا قُلْتَ ، وَلَا يَسْأَلُونَ إِذَا
أَمَرْتَ .

وإن مع ذلَّ « حُلِّ » قَوْمًا يَقُولُونَ إِذَا قَالَ ، وَيَسْأَلُونَ إِذَا أَمَرَ ، فَنَقِيلُ
بِمَن مَعَكَ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ مِنْ مَعَهُ .

واعلموا أَنَّهُ لَا يَرْضَى « حُلِّ » إِلَّا بِالرَّضَى وَإِنْ رَضَاهُ سَكَنُكَ — وَلَسْتَ
و « حُلِّ » سِوَا . |||

.. لَا يَرْضَى « حُلِّ » بِالْعِرَاقِ دُونَ الشَّامِ ، وَرِضَاكَ الشَّامَ دُونَ الْعِرَاقِ .
التعليق :

إن في السكثير مما أتاه « الحجاج بن خزيمة » مِنْ أُنْصَالٍ وَأَقْوَالٍ
مُدْعَاةٍ لِلتَّسَاوُلِ مِنَ الْغُرُضِ مِنْ وَفُودِهِ ، وَتَسَرُّهِ مُتَلَفِّفًا مُسْتَضْعِفًا
وَتَسْلِيمِهِ عَلَى وَالِي الشَّامِ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لِمَرَّةٍ الْأُولَى مَا يَمْنَعُهُ احْتِرَافًا
بِالْغُلَاظَةِ ، وَغَرَّهُ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ بِسَبْقِهِ إِلَى هَذَا التَّلَقُّيبِ فِي التَّسَامِيحِ وَتَوَثُّرِهِ
الْأَلْفَاظَ النَّارِيَّةَ النَّثِيرَةَ فَيَا أَلَسَدَهُ مِمَّا يُحْسِنُ مَعَهُ أَنَّ وَفَادَةَ الرَّجُلِ قَدْ
اسْتَهْدَفَتْ غَرَضًا مُعَمَّنًا يُمْكِنُ أَنْ نَسْتَشْفَهُ مِنْ بَيَانِهِ عَلَى النَّصْرِ التَّالِيِ :

(أ) اسْتَضْعَابُ وَالِي الشَّامِ لِيَتَّخِذَ خُطُوبَاتٍ حَمَلِيَّةَ فِي مَسْأَلَةِ التَّعَصُّصِ

لـ « عيان » بالتأهب للوثوب على أبناء عومعه (بنى عبد المطلب) الذين صرح بأنهم القتل لـ « عيان »

(ب) ليس غير الحرب من وسيلة لتحقيق هذا الغرض . فهى . لذلك جندك من أهل الشام وسيرهم في جُراة للالاة « على » تحقق مآملك .

(ج) الألفاظ النارية تنطى العنصر ترى إثر صدور الحكم في القضية . بأن « بنى عبد المطلب » هم الالاة ، وكلها ألفاظ للأمر باتخاذ إجراءات مرمية لا تحمل أى تأخير ، ويسوقها للدفع إلى القتال في أسلوب ملتبب ففراء يقول : ثب و اغضب واحسب وسر وانهض واهرزز وفي الألفاظ حركة وجراة وتدافع وتقفز وتداع للقتال مدعوم بمجمة استغصبت وهزيمة استغصبت .

والمبارات تنصو إلى نفس القصد من الإثارة والمهاب للوقف فتراها :
بنو حنك فتلا شيخكم — أنت أولى الناس بالوثوب — اغضب للإله .
واحسب — سر بنا سير الجرى — انهض بأهل الشام — اهرزز
الصعدة للترقم المسور III

هذا — والرجل مُعْصِل على الإمام في نعمة إياه بأنه الترفع التَّجَاه على الناس (العُلب) وبأنه المسور يُنْزِيه القتل بالقتل (السَّكْب)
وقد قَوْم (الحجاج) عوامل النصر والهزيمة في الحركة الموقفة بين الظلمة الإمام والى الشام من بد أن أسكده أنها واقعة حنا نتيجة لتحليله للوقف بين الإمام والوالى بدقة متناهية تُضاهى أصح التعاليل وأصدق النتائج الترفية عليها التى يتوصل إليها المحللون السمايون الماصرون .

قد أثبت أن « عليا » لا يرضى إلا بالرضى الشام يعني أنه لا يرضى
بأنصاف الحلول ، والقبول بالهض والمغاضمين من البعض الآخر -
غيره لا يرضيه إلا الثقل لما هو حق له كاملا ، ثم فرغ على هذا القول بأن
ما فيه رضى « علي » هو يسقط نفوذه على أصناف الخلافة كلها وهذا :
يستوجب الضغط من « معاوية » لحربه على أن يكون واليا على
أقل تقدير على الشام .

ولما كان الظلمة الإمام لا يرضى باقتصاص لإقليم الشام من أرض
الخلافة و « معاوية » لا يرضى أن يُنصَحَ من الشام موقع رضاء - إذن
الحرب واقعة لا محالة بين الظلمة والوالى لقور مصيرهما .

ولم ينف « الحجاج بن خزيمة » عند حد بيان حكمة الحرب ، وإنما
أراه قد كشف عن عوامل النصر والهزيمة المتاحدين كل من للفتازم
حيث أثبت لوالى الشام أن القوة إلى جانبه كقوله بإحراز النصر على
السكرترة السكاثره التي مع الإمام .

قال هذا بناء على نظرة فاحصة قِيَسَتْ (الموقف الاستراتيجى) على
كلا الجانبين ، وقدم الدليل على صحة الاستنتاجات التي توصل إليها بما
ذكره من أن قوة القلة تعود إلى أمر جوهرى ينبى عليه نصر الجيوش
وهو ما يعرف حديثا بـ (الضبط والربط) وقد رآه « الحجاج » محكما
بين أنصاع « معاوية » حيث يصغون تماما إلى كلامه ، وينفذون أوامره
دون نقاش (لا يقولون إذا قلت . ولا يسألون إذا أمرت) والأمر على
خلاف ذلك تماما لدى الإمام !!!

ولاشك أن مثل هذا التحليل والتقييم كان له كبير الأثر في دفع
والإشام إلى الحرب من بعد أن صرح له بأن (بنى عهد المطلب) هم
التيّة لـ « عثمان » ومن بعد أن أوضح له إمكان النصر عليهم على
الرغم من قلة الجند .

ويمكن إدراك أثر الإحساء الدافع إلى الحرب من رثاء « معاوية »
لـ « عثمان » حيث قال :^(١)

أَتَانِي أَمْرٌ فِيهِ لِنَفْسِي غَمَةٌ وفيه بُكَاءٌ لِلْمَيُومِ طَوِيلٌ
وفيهِ نَفْسٌ شَامِلٌ وَخَزَائِفٌ وفيهِ اجْتِدَاعٌ لِلْأَنْوَابِ أَصِيلٌ
نَصَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَهَلْدَةٌ كَسَادٌ لَهَا صُمٌّ الْجِبَالِ تَزُولُ
ظَهْرُ عَيْنَا مَنْ رَأَى مِثْلَ هَالِكٍ أَصِيبَ بِهَا ذَنْبٌ وَذَلِكَ جَلِيلٌ
تَدَاعَتْ عَلَيْهِ بِالدَّبِيَةِ مَضْبَةٌ فَرِيقَانِ مِنْهَا : قَائِلٌ وَخَذُولٌ
دَعَامَ نَفْسُوا عَنْهُ عِنْدَ جَوَائِهِ وَذَا كَمْ هَلَى مَا فِي النَفُوسِ دَلِيلٌ
لَدِمْتُ هَلَى مَا كَانَ مِنْ تَهَيُّ الْمَوِيِّ وَقَصْرِي فِيهِ حَسْرَةٌ وَمَوِيلٌ
سَأْنِي^(٢) وَأَبَا مَرْوَةَ^(٣) بِكُلِّ مَشْنَفٍ
وَبِهِمْ^(٤) لَهَا فِي الدَّارِ مِنْ مَحْلِيلٍ

(١) وقعة صفين ص ٧٩ - ٨٠

(٢) ساطالب بناره

(٣) كنية الخليفة « عثمان بن صفان »

(٤) السيوف

تَرْكُكَ الْقِسْمِ مُمْمٌ فَإِذَا بَعْدَ ذَلِكَ أَسْأَلُ
فَلَسْتُ مَنِيغًا مَا حَبِيتُ بِسِلْفَةٍ أَجْرُهَا ذَلِيلٌ وَأَنْتَ قَلِيلٌ
فَلَا تَوَمَّ حَتَّى تَشْجُرَ^(١) الْغَيْلَ بِالْقَنَا

وَيَشُقُّ مِنَ الْقِسْمِ الْقِسْوَةَ الْقَلِيلُ
وَيَطْعَنُ طَعْنَ الرِّحَى بِتَقَالِيسِ^(٢)

وَذَلِكَ بِمَا أَسَدَوْا إِلَيْكَ قَلِيلٌ
سَأَلْتَهَا حَرْبًا مَوَاتًا مَلْعَةً وَإِلَىٰ بِهَا مِنْ عَامِنَا لِبَكْفِيلٍ
البيان الأدبي : يُعَبَّرُ

القصيدة من ضرب الرنادر فيه « معاوية » عن كَمَّة وحزنه الذى
أصابه نتيجة لاغتيال الخليفة « عثمان » مما سيقرب عليه الدخول فى
معارك مَقْبِيَّة وإلا فدون ذلك أحوال الخِزْي والمَار ، ثُمَّ يَنْبَغُ أَنْ اغْلِيْفَه
قد اغتيل بدون وجه حق وأن قتلته عصاة تأمرت عليه ، وصح منهم
الاتفاق الجنائى عليه وإن كانت أديارهم قد توزعت إلى مباشرة القتل
، وإلى حرمانه النجدة باعتزال الأحداث وتركها تلقه وتقبض عليه ،
وسيجد فى الأخذ بثأره خلاصاً من عارِ أحوالِ دمه ، وسيدخل لذلك
فى معارك قتالية ضارية يسارع إليها .

لقد طغى عاطفة الحزن على الشاعر فاندفع يستخدم عبارات ليست
من طابع العصر الإسلامى مثل : الأخذ بالثأر ، وشنَّ حرب عَوَان

(١) يطعن الفرسان بالرمح

(٢) ما يفرش من جلد تحت الرحى ليستقبل عليه الطحين

طاحنة نوسلاً لهذا الغرض ، وتقطع حبال الود إلى الأبد بين الأقرباء .
وقد اجتمعت على الشاعر مآلم الحزن والندم والغنى لقصيره في حق
« عثان » (تركك) بما جملة ينهض مهدداً بحرب لا تُنتهى ولا تُذكر
تمريضاً عما فرط منه .

البينة لـ « معاوية »

للوقف السياسي : يبدو أن نيران الفتنة اللاتهابية عند ما نظارت
ألسنتها نهلت الشام قد أحدثت آثارها السيئة ضيقاً وندماً^(١) في صدر
« معاوية » كما أنها قد جعلت باتخاذ الإجراءات العملية نحو (إعلان
حركة المطالبة بالانفصال) واتخاذها الشكل الرسمي والقانوني تقوم عليه
السواقة في ولاية الشام بزعامة واليها الموزون من قبل الخليفة « علي »
قد خرج « معاوية » إلى المسجد ، ثم نادى في الناس أن يحضروا ،
فقام فيهم خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه عليه السلام
ثم قال :^(٢)

« يا أهل الشام — فقد علمتُ أنَّ خليفة أمير المؤمنين « عمر بن
الخطاب » وخليفة « عثان » وقُتل مظلوماً وقد تعلمون أنَّ وليه ، والله
يقول في كتابه : « ومن قُتل مظلوماً قد جعلنا لوليِّه سلطاناً »
وأنا أحبُّ أن تعلموني ما في أنفسكم من قتل « عثان » فقام
« كعب بن مرة السلمي » فقال :^(٣)

(٢) وقعه صفين ص ٨١

(١) وقعه صفين ص ٧٩

(٣) نفس المرجع ص ٨٢

« والله لقد قُتُ مقامى هذا وإنى لأعلم أَنَّ فىكم مَنْ هُوَ أقدم صبة
 برسول الله ﷺ وآله منى ^(١) - ولكنى قد شهدت مِنْ رسول الله
 مُشَهِداً لعل كثيراً منكم لم يشهده .

وإنا كنا مع رسول الله ﷺ نصف النهار فى يوم شديد الحرارة
 « لتسكونن فنته حاضرة » فَرَجُلٌ مَقَمٌ فقال رسول الله ﷺ : هذا
 للقمع يؤمئذ على الهدى .

قال « كعب » قَعَمْتُ فَأَخَذْتُ بِمِصْبِيهِ وَصَرَعْتُ مِنْ رَأْسِهِ فَإِذَا
 « عِثَان » فَأَقْبَلْتُ بِوَجْهِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ قُلْتُ : هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ؟ قال :
 نعم !!!

فإِذَا كَانَ مِنَ الْحُضُورِ إِلَّا أَنْ أَطْبَقُوا عَلَى « معاوية » وبأيموه على
 الطالب يدم « عِثَان » أميراً لَا يَطْمَعُ فى الظِّلَافَةِ ، ثُمَّ الْأَمْرُ شُدَّ بِدِ
 الْقَصَاصِ مِنْ خِطَابِ الْأُمَّةِ لَهَا خَلِيفَةٌ ، وبأيموه البعض على كتاب الله وسنة
 نبيه ^(٢) ، ثُمَّ أَقْبَلَ « مالك بن عُبَيْرَةَ الْبَكْلَى » ولم يَسْكُنْ قَدْ حَضَرَ
 الْهَيْمَةَ ، وَلَكِنَّهُ قَدْ تَسَامَعَ بِهَا أَنَّهَا قَدْ نَعَتْ عَلَى الظِّلَافِ ^(٣) فى الْأَمْرِ
 لِلْبَاهِجِ عَلَيْهِ ، وَكَأَنَّهُ لَمْ يَحْزِنْ رِضَاءَ فَمَا كَانَ مِنْهُ إِلَّا أَنْ سَارَعَ إِلَى حَيْثُ
 « معاوية » وَوَقَفَ خَطِيْباً وَقَالَ ^(٤)

(١) قيل كان فى المسجد نخراً من أربعمائة من أصحاب النبی علیه السلام
 (٢) ورد فى حديث « عِثَان بن عبيد الله الجرجاني » ص ٨٠ صفين
 (٣ ، ٤) أنظر ص ٨٠ وقعة صفين

« يا أمير المؤمنين ^(١) - أخذت ^(٢) هذا لك ، وأندت الناس »
وجئت للسفهاء مقالاً .

وقد عرفت العرب أنا حتى فقال ، ولست بحى مقال ، وأنا نأتى بمظلم
فصالحنا على قليل مقالنا ، فابسط يديك أيا يديك على ما أحببنا وكرمنا »
ثم تبعه « الزرقان بن عبدالله السكوني » فأنشد ^(٣)

« معاوية » أخذت الخلالة بأتى

شَرَطْتُ قَسْدَ بَوَا لَكَ الْمَلِكُ مَا فِيهِ
بِيَمَّةِ نَعْلٍ لَيْسَ فِيهَا غَبِيزَةٌ أَلَا كُلُّ مَلِكٍ مَعَهُ الشَّرْطُ مَا فِيهِ
وَكَانَ كَبِيتِ الْمَسْكُوتِ مُذْهِباً

فَأَصْبَحَ مَجْبُوراً عَلَيْهِ الْأَرَائِكُ
وَأَصْبَحَ لَا يَرْجُوهُ رَاجٍ لَصَّةٍ

وَلَا تَنْتَعِي فِيهِ الرِّجَالُ الصَّمَالِكُ
وَمَا خَيْرُ مَلِكٍ يَا « مُعَاوِي » مُخَدِّجٌ

تَجْمَعُ فِيهِ الْغَيْظُ وَالْوَجْهُ حَالِكُ
إِذَا شَاءَ رَدَّتْهُ السُّكُونُ وَجَدَّ

وَهَذَا وَالْحَقُّ الْغِلَافُ الشَّكَاكُ

البيان الأدبي :

يبدو أن البيعة لـ « معاوية » كانت مسرعة لظهور حكامها

(١) يبدو من التعليق لوالى الشام المخلوع بأمر المؤمنين أنه سيابمه خليفة
على الأمة لاختصاص هذا القرب بذلك (٢) أنقصته وذبحت بكائه

النفوس — فبينما كانت في أساسها وعلى فرض التسليم بصحتها كانت مباينة على الأخذ بدم « عثان » في ظاهرها الأعم — غير أن « مالك بن هبيرة السكندی » لم يفهمها إلا ملسكا يمكن أن يُصار إليه فباع عليه بيعة عامة ، ثم يأتي الشاعر « الزبرقان السكوني » فيرى أن اللك وثقة ساقها الله إليه في صورة خلانة — فلا يبنئ الانتقاص لهذا اللك أو تمريره للضعف والفساد بأي شرط يُدخله ما دامت البيعة عليه قد تمت واضحة لا مطن عليها ، ويرى الشاعر أن التقصير إلى الهدف في صراحة ووضوح أفضل من اصطناع أساليب الدووان حوله وثباته في النمرة للإقتضاض عليه فلربما كان ذلك سببا في احتيازه ناقصا — وما أروع الاحتواء له كاملا !!!

ولذا كان « معاوية » قد نعى هذا للنقي لضعف في موقفه السياسي وقدراته القتالية فشاوره ابن من : السكون وغيره وهكذا والشكاسك أقدر على معاونته .

إنه عرض للمساعدات الحربية لاحتياز الملك كاملا حيث لا جدوى في ملك منقوص .

بين « عبيد الله بن عمر » و « معاوية »

الموقف السياسي : قُتِم « عبيد الله » على « معاوية » في الشام وكان قدومه مشارا لتساؤل — غير أن والي الشام رأى في ذلك التقدم فرصة يجب ألا تُفقد وإنما يبنئ أن يتم قبل لحسابه في النزاع الناشب بينه وبين الخليفة الإمام — فإما كان منه إلا أن سارع في طلب مستشاره « عمرو »

وَمَا أَنِ وَاللَّهِ حَتَّى يَأْتِيَهُ الْفُلَانُ : (١)

معاوية : يا « عمرو » إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحْبَبَكَ « عمر بن الخطاب » بالشام
 هندوم « عبدالله بن عمر » وقد رَأَيْتُ أَنَّ أَقْبَمَهُ خَطِيئَةً فَيُشْهِدُ
 عَلَى « عَلِيٍّ » يَقْتُلُ « عُمَانَ » وَيُنَالُ مِنْهُ
 عمرو : الرَّأْيُ مَا رَأَيْتُ .

وَمَا أَنِ اتَّفَقَ الرَّأْيُ حَتَّى يَبْتَكَ « معاوية » إِلَى « عبيد الله » فَأَتَانَا
 فَقَالَ ه :

معاوية : يَا ابْنَ أَخِي إِنَّ لَكَ اسْمَ أَيْمِكُمْ فَانْظُرْ بِمَلَأْ عَيْنَيْكَ وَتَكَلِّمْ بِكَلِّ
 فِيكَ فَإِنَّتِ لِلْأَمُونِ الصَّدَقِ فَاصْغُرِ لِلْأَمْرِ وَاشْتَمِ « عليا » وَاشْهَدْ
 عَلَيْهِ أَنَّهُ قَتَلَ « عُمَانَ »

عبيد الله : أَيُّهَا الْأَمِيرُ (٢) أَمَا شَتَّيْتَهُ فَإِنَّهُ « عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ » وَأَمَهُ -
 « فاطمة بنت أسد بن هاشم » فَأَعْسَى أَنْ أَقُولَ فِي حَبْنِهِ ،
 وَأَمَّا بَأْسُهُ فَهُوَ الشَّجَاعُ الطُّرُقُ ، وَأَمَّا أَيَّامُهُ فَأَقْدَرُ فَرَقَتْ -
 وَلَكِنِّي مُلْزِمَةٌ دَمَ « عُمَانَ »

عمرو : إِذَا وَاللَّهِ قَدْ تَكَاثَرَتِ الْقَرْصَةُ !

وَمَا أَنِ خَرَجَ إِلَى النَّاسِ حَتَّى قَالَ « معاوية :

معاوية : أَمَا وَاللَّهِ لَوْلَا قَتْلُهُ « المرزبان » وَخِيفَتُهُ « عليا » عَلَى نَفْسِهِ
 مَا أَتَانَا أَبَدًا - أَلَمْ تَرِ إِلَى تَقْرِيطِهِ « عليا »

عمرو : يَا « معاوية » إِنَّ لِمَنْ تَقَلَّبَ فَاخْطَبُ . فَرَأَيْتُ حَدِيثَهُمَا إِلَيْهِ

(١) وقعة صفين ص ٨٢

(٢) نسخة ابن أبي الحديد - راجع مصطلحات (صفين)

ثم خرجا في إثره فلما قام خطيباً تكلم فيها شاء أن يشكم حتى إذا
 ما أتى إلى آخر « على » أمرك وأنهى مقاله فعاتبه « معاوية » قائلا :
 ابن أخى إنك بينى وبين أخى أو خيانه .

فاحتدل عتابه وانصرف ، ثم بعث إليه قائلا : « كرهت أن أقطع
 الشهادة على رجل لم يقتل » هنان « وعرفت أن الناس يحملوها على
 فتركها »

فهمزه « معاوية » واستغف بجمعه وتناول عليه «
 وما أن بلغ ذلك « حبيد الله » حتى ثارت نفسه فأنشد :

« معاوية » لم أحرص بخطيب خاطب
 ولم أك معكاً في رلوى بن غالب
 ولكنى زلوت قنكاً أمة

على قذف شيعى بالمراقين غائب
 وقذف « علياً » به « ابن عفان » جبهة
 يمد بالشعنا أنوف الأكارب
 فاما اعتقاف أشهد اليوم وثمة

فلت لكم فيها « ابن حرب » بصاحب
 واكفه قد قرب القوم جهده ودوا حواله ديب المقارب
 فقال أحسنتم ، ولا قد أسأتم
 وأطرق أطراق الشجاع المواب

خاماً ابن « حنان » فأشبهه أنه « أصيبَ بربنا لا يساً ثوباً تائب
 حرام على آحاله أتف شمسره فكيف وقد جازوه ضربة لازب؟!
 وقد كان فيها « للزير » عجاجة و « طلعة » فيها جاهدة غير لاوب
 وقد أظهروا من بعد ذلك توبة نهاليت شمرى ماما فى المواقب
 البيان الادبى :

القصيد وثيقة صادرة من شخص موثوق به يسجل فيها المواقف
 والأحداث التى أساطت باغتيال الخليفة « حنان » وفيها يقرر مايلى :
 (١) الإمساك عن اللهاجة للإمام لم يك نائج هى أو نخر من كذب ؛
 ولكنه الإلها النفس الذى حله على عدم ارتكاب جريمة التذف فى
 حق الخليفة النائب الذى بذل غاية جهده فى محاولة التقريب والتوفيق
 بين الآراء ولسكنها النفقة كانت تدور حوله لتفعل فقلها فى الغناء ،
 والتزم الجمدة منها من بعد أن أخفقت مساعيه ، ومحاولتكم انطروج
 والانتفاض عليه واتهامه بجريمة هو منها براء أنا لست لكم فى كل
 ذلك بصاحب .

(ب) « طلعة » والزير كمياً دوراً خطيراً فى التعاليم على « حنان »
 بلغ حد الـ (عجاجة) وبذل غاية الجهد ، ثم أظهروا التوبة عما فعلوا من
 بعد أن كان ما كان ووقع ما وقع ، وأشهد على أن « حنان » قتلَ بربناً
 عن بعد أن تاب من الممارسات التى أجبت عليه نيران النفقة .

وتبلغ القصيدة « معاوية » فيهنر غلطورتها التى تهدد دعواه التى
 ينهض بها فى الصميم وتسقطها من أساسها لإنهاته براءة الإمام من تهمة
 القتل واعتزاله الأحداث من بعد أن لم تغلج جهوده فى الوساطة ،

وما كان من « معاوية » إلا أن بعث إلى « عبيد الله » ورضاه وقربه وقال: حشبي هذا منك .

وبهذا منك « يكون عبيد الله » قد بلغ بشعره ما لم يستطع أن يبلغه بغيره من إقناع — وما ذلك إلا غلشية « معاوية » من أن تتناقل الألسن القصيدة فتفيد عليه ما هو فيه .

وَفَدُّ الْمَصَالِحَةِ

للووقف السياسي : قدم على « معاوية » وقد من قراء الشام وأداروا معه نقاشاً حول وجهة نظره في نزاعه مع الإمام وشيخيهما إقناعاً ببعضهم بعضاً عساهم يتوصلون إلى تعديل لوائف الطرفين ، والكشور على نقطة التقاء ، وللمصالحة بدل الاحتراب — فكان الحوار التالي :

الوفد : يا « معاوية » هلاكم تقاتل « علياً » . وليس لك مثل محبته ولا هجرته ولا قرابته ولا سابقته ؟

معاوية : ما أقاتل « علياً » وأنا أدعى أن لي في الإسلام مثل محبته ولا هجرته ولا قرابته ولا سابقته — ولكن خيروني عنكم — ألسن تعلمون أن « عثمان » قُتل مظلوماً ؟

الوفد : بلى

معاوية : فليخُ إلينا قتلته فنقتلهم به ، ولا قتال بيننا وبينه .

الوفد : فاكْتُبْ إليه كتاباً يأتيه به بعضنا .

ونعلا — أنجز « معاوية » رسالة موجهة إلى « علي » أسلمها إلى « أبي سلم الخولاني » جاء فيها :^(١)

«مِنْ» معاوية بن أبي سفيان «إلى» علي بن أبي طالب :
 سلامٌ عليك — فإن أحد إليك الله الذي لا إله إلا هو :
 أما بعد — فإن الله اصطفى محمداً بعلمه ، وجعله الأمين على وحيه ،
 والرسول إلى خلقه ، واجتنبى له من المسلمين أقواناً أيده الله بهم ،
 فكانوا في منازلهم على قدر فضائلهم في الإسلام ، فكان أفضلهم في
 إسلامه وأنصحهم لله ورسوله الخليفة من بعده ، وخليفة خليفته ،
 والثالث الخليفة المظلوم «عثمان» فكلهم حسدت ، وعلى كلهم بعثت .
 عرفنا ذلك في نظرك الشر ، وفي قولك الجبر ، وفي تدسك الصمداء ،
 وفي إبطائك عتب الخلفاء — تُباد إلى كل منهم كما يُقاد النحل
 الخشوش^(١) حتى تباع وأنت كاره ، ثم لم تكن لأحد منهم بأعظم
 حسداً منك لابن عمك «عثمان» وكان أحفهم ألا تفعل به ذلك في
 قرابته وصهره — فقطعت رحمه — وقبعت محاسنه ، وألقت الناس
 عليه ، وبطنت وظهرت حتى مُرِبَتْ إليه أباطة الإبل ، وقُيدَتْ إليه
 انطول العرب ، وجعل عليه السلاح في حرم رسول الله ، فقتل مذك في
 الحلة وأنت تسمع في داره المائنة — لا تزدع الظن والهمة عن نفسك
 فيه بقول ولا فعل .

فأقسم صادقاً أن لو قت فيما كان من أمره مقاماً واحداً تمننه
 الناس عنه ما عدل بك من قبلنا من الناس أحداً ، ولما ذلك عندهم

-
- (١) المحزوم الذي حُرِمَ بوضع حلقة في أنفه ليسهل قياده
 (٢) الصوت المرتفع



